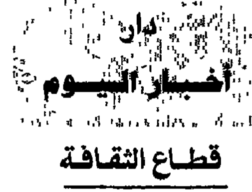


قصة واقعية عن بطولات معركة ٦٧



حب .. وحرب

95



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

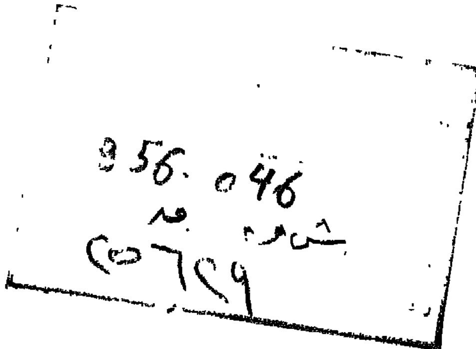
□ يونيو ١٩٩٦ □

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة



أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٧	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١	دينار
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٢٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بتى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٣٠٣٢١ ٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

الحصن الخالد * لبنى والهلال * النيرة العالية *
* البيانات الكاذبة * الاجتياح * أول الشهداء *
* القصر الجمهوري * [illegible] * السلالة الجمهورية *
* المعجزة * انتصارات جيدة * الصوت الرخيم *
* الوثيقة * عندما يتحول الموت * الأعرابي الكاذب *
* [illegible] * الأمريكيات * المساواة *

كتاب اليوم

■ يونيو ١٩٩٦ ■

حب .. وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

شوقي حامد

* الحصن الخالد * لبنى والهلال * النيرة العالية *
* البيانات الكاذبة * الاجتياح * أول الشهداء *
* القصر الجمهوري * [illegible] * السلالة الجمهورية *
* المعجزة * انتصارات جيدة * الصوت الرخيم *
* الوثيقة * عندما يتحول الموت * الأعرابي الكاذب *
* [illegible] * الأمريكيات * المساواة *

الغلاف
والإخراج الفني :
مجدى حجازى

حب ..
وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

إهـــداء ..

إلى أرواح الشهداء الذين سطروا بدمائهم أروع آيات البطولة.. وسجلوا بتضحياتهم أرفع سمات الشجاعة..

إلى أرواح الزملاء الذين قدموا ملحمة رائعة من العطاء والفداء..

إلى روح الشهيد النقيب: سيد عبد الغفار والشهيد: سيد ياسين..

إلى روح الضابط جمال والضابط خالد..

إلى روح الشهيد / الرقيب: فاروق عبد الوهاب والرقيب: على سليمان..

إلى أرواح الشهداء الجندى تغيان وزميله الجندى فرغلى والجندى حسن وإسماعيل وإبراهيم.. إلى غيرهم وغيرهم من

الأرواح الطاهـرة التى صعدت إلى بـارئها فى هـدوء دون صخب إعلامى أو ضجيج دعائى.. اختارت التضحية بأنفسها من أجل مصر.. وفضلت الاستشهاد بكرامة على الأسر المهين.

إلى أبطـال الكتيبـة ٣٤٢ مشاة ورجـال اللـواء ١١٤ الـذين خاضوا معارك يونيو ٦٧ غير المتكافئة..

إلى هـؤلاء الصنـاديـد الـذين واجهـوا مـدرعـات اليهـود بصـدورهم وقلوبهم بعـد أن عجـزت نيرانهم عن مواجهتهـا.. وأنتزعـوا رغم ضعفهم وقلة امكـاناتهم من عـدوهم أسمى آيات الاكبار وأرفع أوسمة الإعجاب..

إلى هـؤلاء المغاويـر الذين طمست الهزيمـة معالم بطـولتهم وشوهت مـلامح جسارتهم.. فظلت راسخة فى الأعماق.. ومـاثلة فى الذاكرة.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ولا تحسبـن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا.. بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضلـه.. ويستبشرون بـالـذين لم يلحقـوا بهم من خلفهم.. ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾. صدق الله العظيم

شـوقى حـامـد

حب ..
وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

مقدمة

ظلت أهوال الأسر تراودنا ونحن نخطو أولى خطواتنا فى الكلية الحربية عام ١٩٦٢ وحتى واجهناها فى معارك يونيو الخالدة عام ١٩٦٧..

حكى لنا عنها النقيب محمد عبد الرازق زهرة مدرسة فن القتال حينذاك..

وقص علينا كيف واجه الأسرى المصريون فى معارك ١٩٥٦ صنوفا مبتكرة من العذابات مثل نزع أظافر اليد وكى المناطق الحساسة بالحديد والصعق بالتيار الكهربائى ولم يضن علينا النقيب زهرة فى سرد كل ما واجهه الأسرى على أيدى من ليس لهم ذمة أو ضمير لايرعون الله ولايلتزمون بأى مواثيق أو اعراف دولية تحدد أسلوب معاملة الأسير مثل الاعتداء على العفاف وبتر الاعضاء التناسلية وغير ذلك مما لايقره ولايرضاه

حتى الإنســان البـدائى الأول الـذى كــان يعيش فى الغـابـات ويتعامل بلغة الحيوانات!

وعنـدمـا فـرض علينـا الحصـار فى يـونيـو ٦٧ ونحن على مشارف خط المواجهة الأول مع إسرائيل فى أبو عجيلة والحسنة والعـريش.. واجهنــا شبح الأسر بأعيننـا.. وفــاضلنـا بين أن نستسلم له أو نفلت منــه.. لم يكن أخطر مايمكن مـواجهته تلك المذابح الجماعية التى مـارستها القوات الإسرائيلية الغـاشمة فى مواقع أمامية كثيرة لتروى ظمأ رجـالها للدماء.. وتشبع رغبتهم فى القتل.. وتسبر غـورهم فى إزهــاق الأرواح وإنما كان الخطـر الداهـم هو الـوقوع فى الأسر.. هذا الأسر الـذى يبدأ بـانهاء كل مقـومات رجـولة الأسير.. وينتهـى اما بقتلـه بنيران رشاشـات اليهـود أو تحطيم وتدمير عنـاصر الحياة فى تكـوينه الإنســانى وهو أسوأ من القتل.

ألفنا ونحن نحـاور اليهود خـلال حصارنـا فى شبه جـزيرة سيناء مشـاهد القتل وبحيرات الـدماء.. داكنـة الحمرة غليظـة القوام.. اعتـدنا على رؤيـة الجثث وهى مسجاة والاشـلاء وهى متنـاثرة تتخـاطفهـا الطيور الجارحـة لتعلن عن آثـار جريمـة وتفصح عن بشاعـة أسلوب مارسه اليهـود البغاة تجاه أسراهم من المصريين العزل..

وعندمـا فكروا فى ستر فضـائحهم ومداراة جـرائمهم أمروا الأسرى بحفـر قبـورهم قبل أن يمطـروهم بـوابل أسلحتهم ثم يسحقـوهم بجنـازيـر دبابـاتهم حتى لايكلفـوا أنفسهم مشقـة مواراتهم التراب.

واستبـاح اليهـود مع رجـالنـا الصنـاديـد كل شيء.. ولم يتوقفوا عند حد أو يلتزموا بميثـاق.. كانوا أشد من النازى الذى اذاقهم من قبل صنـوف العـــذاب وأهــدر آدميتهم وأحـرقهم فى الأفران الجماعيـة.. كانوا أبشع وأقسى من الحيوانـات المفترسة التى تتلذذ بـرؤية الدماء الطـاهرة تسيل.. وبمشاهـدة الأجساد البريئة وهى تخر صرعى.. كانوا لايـرعون الله.. ولايتحلون بذمم أو ضمائر.. وليس لديهم مشــاعر إنسانية وآدمية.. تعـاملوا مع مقاتلينا بقانون الغابة.. وكانوا هم هوامها وضواريها!!

حب .. وحرب ١

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الحنين الهادىء

الحضن الدافىء

وقف شوقى مشدوها على بعد أمتار من منزله العتيق الكائن بالحى الشعبى المجاور لجامعة القاهرة.. تسمرت قدماه فلم يقو على نقلهما خطوة أخرى وزاغت عيناه فتوقفتا على مشهد مأساوى بدا أمامه من خلال السرادق الضخم المقام قبالة باب منزله تماما.. جال ببصره بين صفوف المعزين الذين إمتلأ بهم السرادق ، جميعهم من جيرانه ومعارفه وأقربائه.. استرعى انتباهه أن جانبا كبيرا منهم زملاءه بالدراسة وأقرانه من جيله الذين أمضوا معه أجمل فترات العمر.. وأحلى أيام الطفولة السعيدة.. وسنوات الصبا المنطلقة.

الجميع واجم.. الكل تنضح قسمات وجوههم بالأسى العميق والحزن الدفين .. أحمد عبد الرحمن ومحمود وفتحى الشبكشى ومحمد حنفى ومحيى حماد.. إنهم بعض رفاقه الذين قطعوا معا مشوار المدرسة اليومى وهم يتضاحكون دون تحفظ.. ويتحدثون بانطلاق.. وعندما انتقلوا من مدرسة الأورمان الاعدادية إلى السعيدية الثانوية لم يتغير من أمرهم شىء.. إختفت فقط حقيبة المدرسة التقليدية وتحولت إلى حافظة جلدية حوت بعض الكتب والكشاكيل تشبها بطلبة الجامعة.. غير أن ملامحهم الصبيانية وملابسهم الطفولية كانت تكشف مراهقتهم وتفضح عدم إنضمامهم بعد إلى المرحلة الجامعية.

راح شوقى يفكر فى كيفية عبور السرادق فى طريقه إلى باب منزله دون أن يشارك فى واجب العزاء.. إنه تواق للقاء أمه وأشقائه بعد فترة غياب زادت عن الشهر.. إنه فى شوق جارف لحضن أمه الدافئ ومشاعرها الحانية التى طالما أمدته بالقوة والقدرة على مواجهة الصعاب.. أين هو من أشقائه الذين أحاطوه بالحنان وغمروه بالحب.. كان لهم دائما الأب والأخ والصديق بعد أن فقدوا والدهم ولم يتعد الخمسين.. كان هو رب العائلة رغم سنوات عمره القصيرة التى لم تتعد العشرين.. كانت أسرتهم الصغيرة تظللها الألفة ويحفها الهدوء ويسودها الود والترابط.. هاأنذا قادم إليكم بعد طول فراق.. ها أنذا أتوحد معكم لايفصلنى عنكم سوى خطوات قليلة أود الإسراع بها لالتقى بكم . هكذا حدثته نفسه وهو يحاورها ـ ولكن كيف يتسنى له أن يعبر هذه المسافة ويدلف إلى منزله دون أن يظهر أمام المعزين.. وحتى لوظهر كيف يمكن له أن يصافح أهل المتوفى فقط ويعدهم بالعودة بعد تغيير ملابسه والسلام على أمه.. ونظر إلى هندامه وكأنه يختبر مظهره قبل أن يخرج من الردهة المظلمة فى طريقه إلى واجهة السرادق.. تحسس الجروح التى ملأت ساقيه.. والأربطة والضمادات التى لفت أقدامه.. واستعرض ثيابه غير المهندمة التى تسلمها من معسكر الشاردين ببورسعيد وأعدوها لهم على عجل.. لا.. لا.. لايمكن أن يؤدى واجب العزاء فى أحد جيرانه بهذه الهيأة التى لاتليق.. لابد من تغيير ثيابه وتعديل مظهره حتى لايثير على الأقل تساؤلاتهم الفزعة.

فجأة أفاق شوقى من شروده وكأن عقربا لدغه ـ لمح شقيقه الوحيد يتصدر المتلقين للعزاء.. يصافحه شباب الحى بحرارة وقد عجز حتى عن مد يده إليهم لمصافحتهم.. بعضهم ربت على كتفه قبل انصرافه من السرادق وهم يودعونه.. البعض الآخر احتضنه بعنف.. وقبله بصدق.. إن دموعه تنساب بغزارة من مقلتيه.. لايمكن أن تكون دموع شقيقه تأثرا بوفاة أحد الجيران.. لايمكن لهذه العبرات المنهمرة إلا أن تكون لفقد عزيز من أهله.. رباه.. أبعد هذا العذاب الذى كابده وهذه المرارة

التى عايشها طوال الشهر المنقضى وهذه الأهوال التى مرت به والتى لم يكن يتصور أن تنتهى بسلام يجد أمامه لحظة وصوله هذا المشهد الدرامى.. لقد نضب معين دموعه وجفت مآقيه وتجمدت مشاعره.. كان يمنى نفسه بالراحة بعد عذاب.. والسكينة بعد انزعاج.. كان يرنو إلى شحنات معنوية من أفراد أسرته تعود عليها وغمروه هم بها.. لقد وصل فى وقت غير مناسب.. كان يجب أن يصل مبكرا حتى يلحق بالعضو المفقود من أسرته.. ربما استطاع مساعدته. ربما نجح فى انقاذه على الأقل ربما استطاع توديعه وتقبيله قبل أن يفارق الحياة.. لكن هكذا أراد الله ولا راد لقضائه ولابد لنا من الانصياع لمشيئته.. وراح القارىء يردد آيات معبرة عن قدرة الله على بعض عباده.. واختياراته التى لايمكن لعقولنا أن تدركها ولانملك أمامها إلا الرضا والقناعة بما قسمه منها.

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتى لم تمت فى منامها.. فيمسك التى قضى عليها الموت.. ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.. ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وقع نظره من جديد على وجه شقيقه.. انه ينبىء عن أن المصاب جلل. الخسارة فادحة.. الصلة التى تربطه بالمتوفى صلة وثيقة.. ترى من يكون.. لابد أن يكون واحدا من أعضاء أسرته الصغيرة.. هم خمسة ليس لهم سادس.. أربعة أشقاء وأمهم.. آه.. لقد ماتت أمى.. ماتت من كان يود لقياها ولو للحظة.. كم كان يود أن يرتمى فى حضنها وينهل من نبع حنانها.. كم كان يشتاق لذراعيها وهى تضمه إلى صدرها وكفيها وهو يغمرها بقبلاته ويلثمها بقلبه قبل شفتيه.. آه خرجت من صدره بزفرات ساخنة ، مادت الأرض تحت قدميه واظلمت الدنيا فى عينيه واختفى بريق الثريات التى ملأت السرادق وتحول إلى شعاعات باهتة تلوح من بعيد خلف دموعه التى بللت ملابسه.. لم يستطع أن يكتم آهاته أو يحبس آناته أو يتحكم فى زفراته .. آه قالها من جديد.

كان يود أن يسند رأسه على صدرها ويقترب أكثر من نبض قلبها..

فقد كان دائما ملجأه وملاذه.. كان يتمنى لو حكى لها ما رآه وقص عليها ما مر به طوال هذا الشهر اللعين.. انها وحدها فى هذه الدنيا التى كانت ستصدقه.. لن يجرؤ على سرد تلك الأهوال أو أن يجتر تلك الفظائع إلا لها ومعها.. لكن الآن وبعد أن فقدها لايمكن له إلا أن يصمت.. لن يحكى كيف أنقذته بركة دعواتها والعناية الإلهية من المدرعات اليهودية.. مرت على خنادقهم وداست على أجسادهم وسحقتهم تحت جنازيرها.. وأبدا لم يجبن هؤلاء الجنود.. ولم يخف هؤلاء الرجال.. لم يفقدوا للحظة شجاعتهم ولاإيمانهم بربهم.. واجهوا نيران اليهود بصدورهم.. أوقفوا تقدم دباباتهم بعنادهم.. نالوا منهم وأصابوهم بالذعر وانتزعوا إكبارهم وإعجابهم.. كيف لهذه الامكانات النيرانية الضعيفة أن تتصدى للفولاذ. وتوقف تقدم الدبابات. وتحطم الصلب.. لابد أن هؤلاء المصريين يتمتعون بشجاعة نادرة وبسالة غير طبيعية.. لا انهم يتمتعون برعاية السماء ومساندة الرب.. نعم هم أضعف من الاستمرار فى القتال لكنهم لم يتخاذلوا أو يتهاونوا.. نعم يسقطون بالعشرات وتسيل دماؤهم تروى حبات الرمال.. لكن أقدامهم راسخة فى الأرض.. وأعناقهم تطاول السحاب.. آه.. آه.. آه.. انه لايمل هذه التأوهات ولن تنقطع هذه العبرات مادام على وقفته فى هذه الردهة المظلمة تخيل ابتسامة أمه الحانية وهى تودعه قبل رحيله إلى سيناء وقد ارتسمت على واجهة السرادق.

لم يدر شوقى كم مر عليه من الوقت وهو يختفى فى الردهة المظلمة أمام السرادق الضخم.. تاه مع ذكرياته.. تدافعت الصور إلى ذهنه ومرت المرآى فى خياله سريعة خاطفة.. تصاعدت نغمة الحرب وسيطرت على مشاعر رجل الشارع المصرى.. استولت الأناشيد الحماسية والأغانى الوطنية على البث الإذاعى والتليفزيونى لتحفيز الهمم وتأجيج الأحاسيس القومية.. بات كل أفراد الشعب بمختلف فئاته ونوعياته يترقب لحظة الخلاص وينتظر ساعة الصفر التى ستخلصه من الشوكة التى ذرعها الاستعمار فى قلب المنطقة.. لحظة الانتقام من عدو بغيض

أهان العرب واحتل قطعة عزيزة من أطهر بقاعه وطرد أهلها وأذل شعبها.

طالما حلم شوقى بتلك اللحظة.. بالمشاركة بخبرته.. بقلبه ونبضه وروحه.. كان يتلقى دروسه العسكرية بالكلية الحربية يستعد لها.. كان يحارب على جبال اليمن ويساعد ثورته الوليدة وفكره وقلبه مشغولان بأرض فلسطين.. أرض الميعاد.. كان يثق فى قضيته ويتمسك بعقيدته ويؤمن بهدفه.. كان متأكدا من قدرته ورجاله على قتال اليهود وإجلائهم عن بقعة الأرض العربية الطاهرة التى احتلوها، كان واثقا أنهم قادرون على دك حصونهم وحصد أرواحهم وطردهم شر طردة.

تذكر شوقى تفاصيل تلك اللحظات بوقائعها وأحداثها.. انها محفورة بذهنه، مسطورة بذاكرته. كان يتعايش مع ساعاته وأيامه ترقبا لتلك اللحظة.. يعد لها العدة.. ويؤهل نفسه بدنيا ومهاريا لها.

تذكر شوقى عندما زاره رجال سريته بمستشفى الحلمية العسكرى فى أواخر مايو ١٩٦٧ كيف أبلغوه انه ربما كانت آخر زياراتهم له.. أنبأوه بصدور الأوامر الإنذارية للكتيبة.. وطلب منهم قائدها بالاستعداد للتحرك إلى الخطوط الأمامية بسيناء لكنهم استسمحوه فى زيارة خاطفة لقائدهم طريح الفراش بالمستشفى.. وهاهم الآن يودعونه قبل السفر مباشرة.

آه قالها للمرة العاشرة وهو يتذكر كيف حرمته إصابة ركبته اللعينة من المشاركة فى لحظة العمر التى انتظرها كما حرمته من قبل فى قيادة رجاله على ربوع اليمن.. فى المرة الأولى أصر قائد كتيبته على عدم نزوله ارسالية مرضية من اليمن ليجرى عملية جراحية بركبته واحتفظ به وسط رجاله حتى فرغت الكتيبة من مهمتها ونزلت إلى مصر.. أما هذه المرة فيجب عليه أن يبادر بانقاذ نفسه من هذه الورطة.

لايمكن أن تمنعه تلك الإصابة القديمة من المشاركة فى لحظة الخلاص.. لابد له أن يشارك فى الزفة السعيدة لفلسطين وعودتها

لحضن العرب.. لابد له أن يسهم فى إزاحة المحتل البغيض الجاسم على هذه الأرض الطاهرة مهما كانت التضحيات.

اتخذ قراره بسرعة.. لم يتردد لحظة.. ولم يتراجع عما انتواه.. لابد أن يتمرد على إصابته اللعينة.. لابد أن يقهر آلامها ويتناسى أوجاعها.. لابد أن يهرب من مبضع الجراح الذى ينتظره حتى لو كان الثمن عدم شفاء ركبته وإصابته بعاهة فى أهم مفاصل جسده.

بمجرد طلوع شمس اليوم التالى جلس على كرسيه المتحرك وقاده بتصميم نحو غرفة الأطباء.. الحمد لله.. التقى بالجراح حسن رضا.. ورغم قسوته وغلظته التى تعودها من العمليات الجراحية الكثيرة التى يجريها إلا أنه لقيه بوجه باش .. ما لك .. لماذا اتيت إلى هنا.. اننى فى طريقى إليك..؟ أجاب شوقى الأمر لايحتمل الانتظار.. ملامحه تنبىء عما انتواه من قرار نهائى لاحنث فيه.. أود الخروج من المستشفى فورا كى ألحق برجال الكتيبة إلى سيناء ـــ ألحق برجال سريتى وأقودهم فى معركة الشرف وأقاتل معهم لرد الاعتبار والثأر من اليهود العتاة.. لعلك لاتدرى الأواصر الوطيدة التى تربطنى بهم.. لعلك لاتتفهم الوشائج القوية التى تجمعنى وإياهم.. كيف أتركهم لقائد غيرى.. لايدرك امكاناتهم.. ولايتفهم قدراتهم.. ولايحدث التمازج والتجانس المطلوب بينهم لتكوين مجموعة عمل منسقة ومنسجمة لتنفيذ المهام الجسام الملقاة على عاتقهم ؟.. إنهم ينتظروننى بلهفة ويترقبون وصولى بشغف.

ماذا دهاك.. وما الذى تهزى به وتردده ولا أفهمه أنا أفهم فقط أنك لابد أن تستسلم لمبضعى غدا أعمله فى ركبتك كيف أشاء.. أستأصل الأورام الزائدة.. وأصل الأوتار المقطوعة.. وأزيل الغضاريف المتآكلة.. فلتصمت وتسمعنى.. لابد لك من الانصياع فليس أمامك بديلا سواه.. وليس لركبتك لو أردت لها السلامة سوى الجراحة.. هكذا وقعت كلمات د/ حسن رضا عليه كالصاعقة.. لكنها لم تنل من تماسكه ولم تعدل من قراره وقال بنبرات أشد عنفا وصرامة فلتسمعنى حضرتك سأخرج فى التو.. لتذهب ركبتى وجراحتها للجحيم الذى لن أقبل أن أرمى فيه

رجالى لو قاتلوا العدو من غيرى.. ركبتى تحتمل التأجيل.. ومفصلى أستطيع أن استعيض عنه بمفصل صناعى أو حتى عكاز خشبى ، لكن المعركة لن تنتظرنى.. ورجالى يحسبون الدقائق ويعدون الأميال التى تفصلنى عنهم.. اذن لك ماشئت رغم اننى أعتبره ضربا من الجنون.. لك ماتريد شريطة أن تكتب إقرارا بتحملك لكافة المسئوليات والتبعات لقرارك الخاطىء.. هكذا انطلقت كلمات د/ حسن بلسما يمنحه الحرية.

ماهى إلا دقائق حتى كان قلب شوقى يعدو داخل السيارة التى أقلته فى طريقه إلى منزله.. وطلب من والدته التى لم تكد تضمه إلى صدرها أن تعد له حقيبته وتجهز له حاجياته ليستطيع أن يلحق بآخر معدية ليعبر بها القناة قبل حلول المساء.

ليته فطن أنها كانت لحظة الوداع.. ليته شعر ألا لقاء.. آه يا أماه.. وكم كان مرارة تلك الآه وهى تصدر من أعماقه.. كم كان يود حتى ولو شارك فى جنازتها.. وانسابت الدموع فى صمت.. واجتهد الخيال فى قطع مشوار الذكريات.

حب .. وحرب ٢

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الجندي والهلال

لبنى والهلال

مرت الساعة الست التى استغرقتها الرحلة من القاهرة إلى المنطقة التى اختلتها الكتيبة بسيناء طويلة وكأنها ست سنوات .. لم يغفل شوقى عينيه عن عداد السرعة وكأنه يرى فيه الخلاص من حالة القلق والتوتر التى انتابته..

إنه غريب وهو بعيد عن رجاله شعر بالوحشة وهم بعيدون عنه .. أنه لن يغفر لنفسه مجرد التفكير فى الركون إلى نصيحة الطبيب والاستسلام لمبضع الجراح .. كيف سمح لهذا الخاطر أن يجول بباله .. كيف لم يذهب مع رجاله الذين زاروه دون أن يمر حتى على الطبيب . ماذا كان يضيره لو تحمل هذه المسئولية. أنها ساقه وهو أدرى بمصلحتها .. أنها صحته وهو الوحيد الذى يتحمل تبعاتها ..

مصر لم تكن بحاجة إلى كل رجالها كما هى فى احتياج إليهم الآن والكتيبة لم تكن مستعدة ومستكملة فى أى فترة من فتراتها كما هى مكتملة الآن .. بمجرد نزولها من اليمن أجتهد رجالها لاستكمال معداتها وتكملة الناقص منها واصلاح التالف وضبط الأسلحة وصرف الذخائر والمهمات.

أخيرا ظهرت الخيام بمنطقة تمركز الكتيبة ـ نعم .. انها خيامهم ..

هى هى بعينها الخيام التى كانت منصوبة بمنطقة هايكستب بعد العودة من اليمن لاعادة التشكيل واستكمال الاستعداد أنـه يعرفها من بين آلاف الخيام.. لقد حفظها كما يعـرف الأب ابناءه أسهم من قبل فى رتق الممزق منها وشارك فى دق أوتادها .. وشـد حبالها وحفظ ألوانها .. هذه الخيمة (الميس) صـالة الطعـام المتحركـة دائما مع الكتيبـة وصاحبـة النصيب الأوفر من الاهتمام .. أول الخيام المنصوبة كلما ذهبت الكتيبة إلى منطقة وحطت رحـالها سارع رجـالها فى نصب هـذه الخيمة كأول المهـام التى يحرصـون على انجازهـا .. لابد أن يتوافر خلفهـا مكان يصلح للمطبخ .. غالبا مـايتم بناؤه من الخشب والصاج المعرج .. وبـه فتحات تصل بينه وبين الخيمة الميس ليسهل تداول ونقل الصحـاف.

خيمـة الميس لها مكانـة خـاصـة عند الجميع .. فهى مكـان لقـائهم اليومـى.. بعد الظهيرة .. يتجمع كل الضبـاط لتناول وجبة الغـذاء .. كم هو مشتـاق لهذا اللقاء .. لقد فاتـه نحو اسبوعين انقطع خـلالهما لعلاج ركبته وتحضيرها للجـراحة .. ها هو يعود من جـديد لهذا اللقاء الأسرى الهام..

يتصدر العقيـد أركان حرب / عـاطف عبدالغفار الجلسـة .. إنه نعم الأب وخير الأخ الكبير لاخوانه الصغار لايعرف التمييـز طريقا إلى قلبه فى معاملة أخوانه .. كل ضابط يشعر أنه المحظى لديه وهو المفضل عنده .. ومع ذلك فهم جميعا يحترمونه ويخشونه.

عنـدمـا يغضب يثـور لكن فى التـزام .. ويصيح ولكن فى تأدب .. لايخدش حياء من يعملـون معه .. الجنـود لهم مكانة لائقـة فى نفسه .. يعـرفهم بأسمائهم ويفهم احتيـاجـاتهم .. يـوصى قـادتهم الاصـاغـر عليهم.. ويوجههم لطاعتهم وسماع وتنفيذ أوامرهم.

يجلس الرائد رمسيس رئيس عمليات الكتيبة يمين العقيد / عاطف .. انـه الرجل الهادىء .. مخفـف الصدمـة .. وقنـاة التوصيل الجيـدة بين القائد والضباط .. ينقل تعليماته إليهم وييسرها عليهم .. ويبلغه طلباتهم

واحتياجـاتهم .. كم تحمل عنهم بعض المسئوليـة .. وكم شارك معهم فى أداء مهـامهم .. وكان النقيب سيـد عبدالغفار أقـدم الضبـاط بالكتيبـة يجلس دائما على يسار العقيـد / عاطف ـ إنه يقـربه إليه لمعرفتـه بطيبة قلبه وحسن سريـرته .. إنه بـورسعيدى المولـد ولم تؤثر سنـوات عمره الطويلة التى أمضاها بالقاهرة بعد تخرجه من الكلية الحربية فى لهجته.. تستطيع أن تتبينهـا مـن أول لقـاء .. أمـا النقيب سيـد يـاسين رئيس الشئـون الإداريـة وهـو مايلقبـونـه بـالـرجل الصـامت .. يتأمل كثيرا ويتحدث قليـلا لكنه فى جميع الأحوال ينجـز الأعمال والمهام التى يكلف بها بكفـاءة واتقان .. ينتـزع اعجـاب الضباط عنـد تعـامله أمـامهم مع القادة.. لايهتز ولايتوتر .. دائما يتحدث بثقة ويفهم قدراته ولايتخلى عن حقوقه..

اصطدم مـره بالعقيـد / عاطف وواجـه ثورتـه بعنف .. ولم يتراجع عن مـوقفه بل طلب تصعيـده إلى العميد / سعيـد قائد اللـواء .. غير أن العقيـد / عـاطف تفهم أخيرا أن النقيب سيـد لم يكن يتعمـد الخطأ ولم يقصر فى واجبه.. فاستدعاه بشجاعـة أدبية نادرة وطيب خاطره ولم يدع الموقف يزداد تأزما والهوة تزداد اتسـاعا .. تصطف بقية الضباط يمينه ويسـاره تبعا لاقـدميتهم لايـوجـد اثنان فى نفـس المركز .. هنـاك دائما الأقـدم والأقل أقـدمية حتـى مع تساوى الـرتب وتـاريخ التخـرج وكل شىء.. الأقدمية حينئذ تحسب بحروف الهجاء .. من يتغيب لأى ظروف حتى ولو كـان فى أجازة ميدانية.. يتقـدم الذى يليه فـورا ليحل محله .. النقيب صلاح حسين والنقيب صلاح بدوى.

ثم بعـــد ذلك يأتـى الملازم أول / همام ريـاض وزميلـــه ممـــدوح اسماعيل الـذى يسبق شـوقى مباشرة فى الأقـدميـة ويأتى بعـده رستم وأمير السبكى ومحمـد صبحى وعبدالعـزيز مـرعى ومصطفى حسن .. أنه يـذكر جميع زمـلائه .. له مع كل منهم مـوقف .. ويشارك جميعهم ذكريات جميلـة أمضوها معا فى اليمن ثم بها يكتسب .. وهـاهو ذا يعود إلى احضانهم من جديد..

قفز شوقى من العربة ناسيا أن بركبته آلاما شديدة لا تحتمل .. شوقه إلى رجاله انساه هذه الآلام وسعادته بوصوله بينهم قبل ساعة الصفر لاحدود لها .. سارع اليه الجندى فرغلى انه يشم رائحته من على بعد أميال.. كان ينتظره دائما عند نهاية مطلع الجبل باليمن ممسكا بيده منشفة ليمسح بها عرقه وباليد الأخرى يناوله كوب الليمون الذى أعده بعناية ليعوضه عما افتقده من سوائل .. إنه الآن يسرع إليه دون المنشفة وكوب الليمون حسبه لقاؤه .. والتف حوله بعض الجنود هذا يسلم عليه والآخر يساعده فى حمل حقيبته وبعد مراسم الاستقبال التى لم تستغرق دقائق.. كان وجها لوجه أمام العقيد / عاطف .. استقبله العقيد / عاطف بفتور وبادره بالسؤال .. ماذا أتى بك ؟ يالها من صدمة غير متوقعة .. ماذا دهاه.. لقد كان دائماً يقربه إليه ويغمره بحنانه وعطفه .. نهره مرة واحدة لأنه شاهده يدخن وهو يصعد الجبل باليمن وقال له فى حنان أبوى .. أتمنى أن أراك وقد أقلعت تماما عن التدخين .. إنى أعلم بمصلحتك لأنك أحد أبنائى.. فكيف له الآن أن يتخلى عن أبوته .. ربما استطاع أحد الضباط أن يوقع بينهما ويوغر صدر العقيد عاطف عليه .. إنها خسارة فادحة .. إن حزنه لكبير على حرمانه من هذه الأبوة التى عوضته عن فقد أبيه وهو فى ريعان شبابه.. أجاب شوقى على سؤال قائده .. جئت اشارككم فى الأمل وأشهد معكم لحظة العمر .. لحظة الخلاص .. لم يتخل العقيد / عاطف عن فتوره واستمر فى جفوته وقال أجب على سؤالى .. ماذا أتى بك ؟ معقول .. إنه ليس العقيد/ عاطف .. الأب .. الأخ الكبير الذى طالما هش فى لقائه واستحسن تصرفاته وأشاد بتميزه فى القتال .. معقول أهذا هو العقيد عاطف الذى خصه فى أحدى المعارك باليمن بأخطر المهام وأشاد به أمام جميع زملائه وقال عنه يومها .. اخترت شوقى للمهمة الصعبة لعلمى بمقدرته على الاضطلاع بها.. وامكاناته وشجاعته على مواجهة الأهوال

التى اتوقعها فيها .. لا .. إنه ليس العقيد / عاطف .. إنه شخص غيره .. لم يعرف أن قائد الكتيبة قد تغير خـلال فترة وجوده بالمستشفى .. لكنه هو بعينه .. قامته المديدة .. قوامـه الرياضى المشوق .. شعره الرمادى المكـون من خليط متمازج بين الأسـود والأبيض .. كلماتـه السريعـة الحاسمة .. إذن مـاذا تغير إنه العقيد عـاطف .. وهو شوقى الـذى كان يحظى منه بمعـاملة معينة حتى لو أخطأ .. لأنـه دائماً كان يشجعه على الاجتهاد ويـدفعه للابتكار فى اتخاذ القـرارات المناسبة حتى لـو اكتنفها بعض الخطأ ويقـول لـه .. لايوجـد قـرار فى العالم ليس بـه نسبـة من الخطأ.. لكن كلما قلت تلك النسبة كنـت ضابطا ممتـازا وأحسنت قيادة رجالك ووحدتك.

وللمرة الثالثة أسأل لماذا قطعت علاجك وجئت إلى هنا؟

وخرجت كلمات شـوقى أكثر حده وانفعـالا .. ركبتى تتحمل الانتظار لكن المعركـة لن تنتظر ، رجال سريتى يودون مشـاركتى لهم ويترقبون عودتى إليهم.. كنت لاأطيق فـراقهم .. لم أنم ليلتى عندمـا علمت بتحرك الكتيبـة إلى سيناء.. فلتـذهب ركبتى إلى الجحيم حتى لوتم بترهـا لكننى لابد أن أحارب معكم.

وبنبرات أبويـة حانيـة أعاد العقيـد عاطف إلى شـوقى ثقتـه المفتقدة وساعده على التماسك بعد أن كاد الانهيـار يدب فى أوصاله .. أنا أعلم أن ركبتك تمر بحالـة حرجـة لاتستطيع أن تؤدى معهـا مهامك القتـالية .. وإنها تحتاج لجراحـة فورية هكـذا أخبرنى د. حسن رضا عنـدما زرتك بـالمستشفى وأنا أثق فى رأيـه العلمى .. ورد شـوقى لاتحرمنى من حلم حياتى ولاتحكم علىّ بالفناء وأنـا بعيد عنكم فى هذه الظروف العصيبة .. فلتـدع لى بالتـوفيق وسأكون إن شـاء الله عند حسن ظنك كما تعـودت منى دائما منذ أن خـدمت تحت قيادتكم وأنضممت إلى صفـوف الكتيبة وهى تحتل قمم اليمن المحيطة بمداخل العاصمة صنعاء.

تلمس شوقى سريعـا مهام سريته فى اطـار المهمة الشاملة للـوحدات

الأكبر الكتيبة ٣٤٢ واللـواء ١١٤ والفرقة الثـالثة المشـاة .. ورغم صغر رتبته إلا أنه اكتسب بعض الخبرات القتالية من خدمته السابقة باليمن ، وهذه المرة كلفه اللواء بمهمة دفاعية بحتة ..

سد الثغرة المنبسطـة بين جبلى لبنى والحلال والتى يخترقها الطريق الأوسط أحـد الطرق الثـلاثة الـوحيدة التى تخترق المسرح الصحـراوى الجبلى لشبه جـزيرة سيناء .. لـو أن اللواء ١١٤ بقيادة العميـد/ سعيد إبراهيم تمكن من اعـاقة ومنع العدو من التقدم صـوب القناة من خلال هذه الثغرة لفشل اليهود فى تنفيذ جانب كبير من خطتهم.

كانـت القوات المسلحة المصريـة تتبع العقيـدة الشرقية التى تقـودها المدرسـة السـوفيتيـة .. تـدور فى نفس الفلك جيـوش كل من التشيك ورومانيـا والمجر وبلغاريـا وغيرها من دول الكتلة الشرقيـة .. ويحميها مايسمى بحلف وارسـو .. نقل إلينا هـذه العقائد القتـالية بعض الخبراء الروس الـذين أستقدمهم النظـام عقب انتهاء حـرب ١٩٥٦ م مباشرة .. كما أوفدت القـوات المسلحة بعض ضباطهـا النابغين إلى كلية «فـرونز» للحصول على دورات تدريبية هناك.

وكان من بينهم لحسن الحظ العقيـد / عاطف .. لاشك أنـه حجه فى فن القتـال خبير فى طبيعة ودروب سينـاء .. سبق لـه أن قاتل عليهـا فى حرب٥٦.

يعـرف وديـانها كما يعرف طـرقـات وسط البلـد .. ويحفظ تبـابها ووهادها.. يعلم مسالكها ووعورة جبالها.

عقب عـودته مـن تسلم مهمة الكتيبـة من قيـادة اللـواء التى كانـوا يسمعون عنهـا ولايدرون أين هى أجتمع العقيـد عاطف معهم بـالخيمة الميس إياها.

لابد من تعـديل أوضاع الكتيبة التى تم احتـلالها على عجل .. مهمتنا أن نكثف الـدفـاعـات على النسق الثـانى للـواء .. فى الأمـام ستحتل الكتيبتان٣٤٠ و٣٤١ وتفـرد دفاعتها الخطيـة بعرض الثغرة بـالكامل ..

وتأتى دفاعـات كتيبتنا خلفهما بعد ترك مسـاحة مناسبة كمـركز قيادة متقدم للواء .. ستكون المدفعيات المعاونة خلفنا وكذلك الوحدات الإدارية من ذخيرة لتعيينات لمياه وخلافه.

استطـرد العقيد عـاطف القاءه لـواجبات الكتيبـة بالتفصيل .. كـان شوقى فى قمـة تركيزه حتى لـو تعرض لأى سـؤال استطاع أن يتألق فى اجـابتـه وينسيه مـوضـوع ركبتـه المعتلة .. ستكـون السريتـان الأولى والثانية فى الأمام أما السرية الثالثة فستحتل مواقعها خلف قيادة الكتيبة على التبه التـى نقف الآن فى مواجهتهـا وتبعد حـوالى مائة وخمسين مترا عن الخيمـة الميس . كان الضبـاط قـد خرجـوا من جلستهم ليشرح لهم العقيد عاطف مهامهـم وواجباتهم على الأرض .. سرايا الهاون والمضادة للدبابات والرشاشات ستكـون لها واجبات منفصلة تبعا لطبيعة المعارك ومجريات الأمور.

واصل العقيد عـاطف إلقاء المهمـة والضباط ينصتون لـه باهتمام .. تعودوا أن يكـونوا آذانا صـاغية عنـد إلقاء المهمة واستيعـابا لها .. انها الدستور الذى يتعاملون بــه طوال الفترة القادمة .. إنها العقد المبرم بين الـــوحـــدة والـوحـــدات الأكبر الـــذى يتضمن كل شىء الـــواجبـــات والمســئوليات.. كما يتضـــمن الحقـــوق والمسـانـدة والمعاونـة التى سيحصلون عليها من الوحدة الأم.. عنـدما وصل العقيد عاطف إلى مهمة سرية الرشاشـات .. اشرأب عنق شوقى .. وأرهف سمعه .. سيتم توزيع مـدافع الماكينة التسعـة على سريتى الأمام لتكثيف نيرانها .. أمـا المدافع المضـادة للطيران فستحتل مـواقعها على شكل مستطيل يحيـط بمركـز قيادة الكتيبة لحمايته والدفاع عنه.

كانـت سريته تتكون مـن فصيلتين .. فصيلة مـدفع ماكينـة . تسعة رشـاشـات ذات عيـار ٧,٦٢ × ٣٩ .. وهى رشاشـات ذات امكـانيـات نيرانية عـالية وقليلة الأعطال قـادرة على انتاج مايقـرب من ألف طلقة فى الـدقيقة الـواحدة.. أمـا الفصيلة الثـانية فهى تتكـون من أربعة مـدافع

مضـــادة للطيران ذات عيـــار أكبر ٧,٦٢ × ٥٤ .. ولها تجهيـزة معينـــة للضرب على الطيران ويمكنهـا فى الحالات التــى لاتشـــارك فيهـــا القــوات الجوية أن تسهم بنيرانها فى المعارك الأرضيــة .. لكن معدلات نيرانها أقل وأعطالها أكثر نسبيـا .. كان شوقى هو الضـــابط الوحيد بـــالكتيبة الذى يستطيع التعامل معهـا بعد أن تزود بـــأسرارها من خلال دورة تـدريبية طويلـــة حصل عليها بمعهد المشـــاة بألماظة فور تخرجــه من الكلية وقبل انضمامه للقوات العاملة باليمن.

حب .. وحرب ١٠

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الفرصة الثالثة

النبرة العالية

فرغ العقيد عاطف من القاء تعليماته وشرح تفصيلا مهمة كل رجال الكتيبة.. وطلب من النقيب سيد عبدالغفار وصلاح بدوى قائدى السريتين الأولى والثانية ترديد ما فهماه منها وناقشهما فيه.. أما النقيب صلاح حسين قائد السرية الخلفية فقد اكتفى بسماعه فقط نظرا لانتظار ما سيسفر عنه القتال.. انتصب العقيد عاطف واقفا وكان هذا معناه أن يقف الجميع.. وقال فى كلمات حاسمة انها معركتكم.. وهذه مصر تناديكم فلتنسوا أبناءكم وأرواحكم وأهليكم.. ولتتذكروا فقط ما يمكن أن تقدموه لبلدكم التى طالما أعطتكم.. ولتبدأوا فورا فى تجهيز مواقعكم وتكسية خنادق رجالكم ومدافعكم. ولتعلموا انه ليس أمامنا الا ساعات قليلة ونعطى للعميد سعيد قائد اللواء تمام الاستعداد.. وبنفس اللهجة الحاسمة التى لاتعرف التردد قال العقيد عاطف: لينصرف الجميع كل الى مكانه الذى تم تحديده على الأرض والخرائط.. وليبق فقط الملازم أول شوقى. آه.. انها ركبته من جديد.. سيسند له مهمة سهلة بعيدة عن القتال حتى لايرهقه.. سيرفض بكل تأكيد.. وستكون المرة الأولى التى يتمرد فيها على كلمات وتعليمات العقيد عاطف.. لقد فشل فى أن ينسيه اصابة ركبته اللعينة.. انها العقبة الوحيدة التى تحول بينه وبين المشاركة فى الحلم.. تمنعه من الوصول للمجد والخلد الذى ينشده.. راح

شوقى يفكر فى لحظات خاطفة كيف سيواجه العقيد عاطف ويرفض المهمة السهلة التى سيسندها اليه.. ويطلب منه نسيان اعاقته المرحلية.. ان المعارك ستجعله يندمج.. ستتوارى أمامها الآلام.. ستختفى الأوجاع.. لقد طلب منهم أن ينسوا ابناءهم وأرواحهم.. فكيف لم ينس هو مجرد ركبته.. آه من هذه الركبة اللعينة.

على غير ما توقع.. زال تخوفه وانقشعت غمامة الفكر الأسود التى ظللته لبرهة بمجرد أن نطق العقيد عاطف أولى كلماته.. شوقى يتعاظم دورك فى المهمة التى فرغت منها الآن اذا علمت أن لك واجبا تخصصيا بخلاف جميع زملائك. اليهود لن يواجهونا فى معارك تصادمية متكافئة.. انهم يسعون دائما فى قتالهم الى تحقيق المفاجأة.. ولقد أعملت فكرى فى كيفية تحقيقهم لها.. ليس أمامهم الا اتباع أسلوب قتال ليلى.. ليس لهم قبل بمواجهتنا رجلا لرجل حتى لوكانت الغلبة فى النهاية لهم.

لن يقبل اليهود الخسائر المحسوبة والمتعارف عليها فى علم فن القتال.. ثروتهم البشرية محدودة وغير قابلة للنقص.. ولذلك فعليك منذ الآن أن تستعد للقتال الليلى برشاشاتك . سيغيرون علينا بطائراتهم ليلا تمهيدا للهجوم البرى.. واذا لم تتمكن مدافعك الأربعة من احداث خسائر كبيرة فى طائراتهم.. فليس أقل من بث الذعر فيها وتطفيش نيرانها بعيدا عن مواقع الكتيبة لنكون مستعدين لقواتهم الأرضية.. فلتسمع اذن هذه الأوامر.. منذ تلك اللحظة لن تنام الا مع أول ضوء.. وتستيقظ مع آذان المغرب.. وخلال ساعات الليل عليك ان تنسق التعاون بين مدافعك وتمعن التفكير فى كيفية مواجهة طائراتهم.

أصبح شوقى بعد ذلك يتصنت على أزيز الطائرات.. ويتسمع أصوات المحركات.. بات رجاله قادرين على تمييز صوت الفراشات ليلا بعد أن علموا ان مهمة الكتيبة لن تنجح الا بنجاح مهمتهم الخاصة فى حرمان طيران العدو من احداث خسائر جسيمة بصفوفهم.

فى أول يونيو تصاعدت نغمة الحرب الى ذروتها.. وساد الجميع

مشاعر التعبئة القصوى استنفـرت كلمات الزعيم جمال عبدالناصر همم الشعب.. أكـد لهم أن اسرائيل ستبـادر القـوات المسلحـة المصريـة بـالهجـوم.. وأنه يتـوقع أن يكـون ذلك خـلال ٧٢ سـاعـة.. وطلب من الجميع أن يكـونوا على أهبـة الاستعداد وغـاية الحذر خـاصة أنـه أمر بإغلاق المضـايق أمام الملاحـة الاسرائيلية وطلب اجلاء قـوات الطوارىء الدوليـة.. كان عبدالنـاصر يمهد للقيام بضربـة قوية للقـوات الاسرائيلية القائمة بالهجوم.. انه يعلم ان الخسائر فى الأرواح تصيبهم بالذعر وأنه لايمكن استمرارهم فى المعارك مع حدوث أى خسائر بشرية.

قفز الى ذهن شوقى فى هذه اللحظة الوليمة الدسمة التى دعتهم إليها والدتـه يوم الثالث من يـونيو.. بينما شـوقى ورجاله يحتلـون مواقعهم ويرهفـون أسماعهم انتظارا لقدوم طـائرات العدو سمع صـوتا رخيما طالما افتقده منذ وصوله الى مـوقع الكتيبة بسيناء.. ياأبو الأشواق جئتك من القـاهرة بـوجبة دسمة شريطـة أن أشاركـك فى تناولها.. انـه صوت زميلـه فاروق عبـدالشفيق.. كـان يرافق أحـد مـدافع الكتيبة فى ورشـة الاصـلاح ومر عليـه قبل أن يرحل بـالمدفع من القـاهرة بعـد اصلاحـه صباح الثالث من يونيو بالمستشفى فـوجىء بأنه قد لحق بالكتيبة.. فلم يكن منـه إلا أن اتصل بـوالـدتـه بالمنـزل.. وأبـدى استعـداده لأداء أى خدمة.. فناشدته أن يمر عليها..

وخلال الفترة التى قطعها فاروق بسيـارته من الحلمية الى الدقى.. كانت الحاجـة قد دبرت وجبـة شهية من بعض الدجـاج المشوى وقطع جاهزة من الكنـافة من محل أمية الحلوانى بجوار منـزلهم.. آه يا أماه.. رددهـا شوقى بحـرارة وقـال لو أننـى علمت أنها الوجبـة الأخيرة التى سأتناولها من يدك لقمت بتجميدهـا واحتفظت بها مدى الحياة لتذكرنى بحنانك وحبك .. آه أيتها الأم الغالية كـم أشعر بالندم على أننى لم أتوقع رحيلك وأنا أشـارك بعض الزمـلاء تلك الأطعمة الشهيـة.. أستشعر ذلك مع كل لقمـــة.. مع كل ملعقـــة.. مع كل قطعـــة لحم.. مع كل نسيرة دجـاجة.. كنت تحدثيننـى فى شوق وتنـاجيننى فى ابتهـال وأنا أتنـاول

طعـامك.. كيـف لى أن أنسى منـاجـاتك.. كيف لى أن أغفـل ابتهـالاتك.. استقبلت فقط بركـاتك ودعواتك التى أعـادت لى العقيد عـاطف وأنسته آلام ركبتى.. وجعلتـه يخصنى بمهـام مضـــاعفـة.. يـالهذا الاحســاس البارد.. يالهذه المشـاعر الباهتة التى أنستنى أمى وجعلتنـى أفقد قدرتى على الاستنتـاج وأتنـازل عن حـاستى فى التــوقع.. آه يـا أمـاه كم كنت بحاجـة اليك.. كم افتقدك.. انهمرت الـدموع وانسـابت العبرات وعاد من جديد شريط الذكريات يلح على مخيلته لينسيه ما هو عليه من انهيار.

فى السـاعة التاسعة من صبـاح الخامس من يونيو انتفض شوقى من نومــه فزعـا على صوت الجنـدى مدبـولى «مراسلـة» العقيد عاطـف وقد ارتسمت عل وجهه آيات الرعب.. القائد يستدعيك على عجل ويطلبك بأى مـلابس.. هرول شـوقى نحـو قائده حـافى القـدمين.. ويالهول مـا رأى العقيد عاطف الذى طالما أعجب بربـاطة جأشه وتماسكه يتحدث بخوف شديـد وتخرج كلماته تعبر عن احساس عميق بـالصدمة، أزفت سـاعة الصفر.. وبـدأ سيناريو المعـركة الشرسـة على غير ما استنتجت.. عبرت طائرات العـدو منطقتنا صوب القنـاة بأعداد كبيرة.. وبـارتفاع منخفض لايمكن لشـاشــات الرادار أن تلتقطـه.. لابـد أن مهمـة هذه الطـائرات ضرب مطـاراتنا وتـدمير طائراتنـا لتحييـد القوات الجويـة عن مسانـدة معاركنا الأرضيـة لتعرية قواتنـا البرية واجبارها على خـوض معارك غير متكافئة.. انهم دائما يهربون من القتال المتكـافىء.. ليس لديهم الشجاعة الكافيـة لخوض مثل هـذه المعارك وقبـول أى خسـائر.. ولم يكـد العقيد عاطف يكمل كلماته حتى فـوجىء به شوقى يقفز عليه ويطـرحه أرضـا.. خبرته بـوحدات المظلات مكنته مـن تمييز صوت طائرات اليهـود عائدة بعد أن أتمت مهمتهـا فى عمق مسرح العمليات.. صرخ شوقى وهــو راقد بجـوار العقيد عـاطف على الأرض على حكمـدار أحد مـدافعه المضـادة للطائرات.. أطلق نيرانك يـافاروق وبمجـرد أن خرجت عدة رصـاصات من مدفــع فاروق وفى لمح البصر كانت الطـائرات اليهوديـة قد أمطـرته بوابـل من رشاشـاتها فأسكتته على الفـور.. وكان فـاروق أول شهداء

المعركـة بعد أن سكنت احدى الطلقـات فى صدره.. كان فـاروق رجلا فى السلم.. ولم يتخل عن رجـولته هـذه وهو يعانى سكـرات الموت.. رفض أن يعبر عن آلامه الـرهيبة خلال اللحظـات القصيرة التى سبقت صعود روحه الى بـارئها حتى لايتأثـر رفاقه وينعكـس هذا التأثير على أدائهم.. تجرع آلامه فى صمت.. وفاضت روحه فى هـدوء ولفظ آخر أنفاسه وهو يردد اسم مصر وينطق بالشهادتين.

هكـذا كـانت البـدايـة.. الكتيبة فقـدت أحـد رجـالها فـزاد هـذا من اصرارهم.. وضاعـف من عزائمم.. وسـار نبأ استشهاد الرقيـب فاروق بين الـرجال كسريـان النـار فى الهشيم.. ارتسمت على الـرجال مـلامح العناد والـرغبة فى الثأر.. لابد من الثأر للـدماء الطاهـرة التى جرت من جسد فاروق وامتزجت بحبات الرمال.. وتجمع نفر من الرجال يوارون جثمان الشهيـد الأرض.. حفروا لـه قبره أسفل موقع مـدفعه.. انسـابت الدمـوع تودعه فى صمت مهيب.. تعـاهده على الانتقام.. وتعـده بالثأر.. تحدث العقيـد عاطف فى الجميع.. دائما يخرج صـوته معبرا عن الحالـة التى يتحـدث فيها.. التأثـر العميق خـاطب العواطف بهدف تأجيجهـا.. وناشد الحمية والنخوة بهدف تحفيزها أكد أنه صار علينا أن نثأر لمصر وليس للشهيـد فاروق فحسب.. إن فـاروق رمز للـوطن ، إنهم يرمـون الوطن برصاصـات الغدر ويقذفونه بصواريخ الدمـار.. لابد أن يواجهوا الفشل ويحصـدوا الندم.. لابـد أن نذيقهم بأسنـا.. ونروعهم ونـرعبهم مهما كانت التضحيـات.. لابد أن يشعروا بالآلام ويحسوا بـالآثام التى ارتكبوهـا من خلال نجـاحنا فى إحداث اصـابات بصفـوفهم وتمكنا من ايقاع خسـائر فى أرواحهم. سنضرب بلارحمة وسنقـاتل بـلاشفقة.. اذا لم تتمكن النيران من الانطـلاق فسنمـزقهـم بأيـدينــا.. وسنقتلهم بأسنـاننا.. سنرتـوى من دمائهم.. ونأكـل لحومهم وشحومهم انتقـاما لصلفهم وثأرا لجرائمهم...

وردت المعلـومات من قيـادة اللـواء تفيـد تقدم العـدو فى اتجاه الحد الأمامى للـدفاعات.. أجهزة الاستطـلاع أكدت أن دبابـات اليهود تنطلق

بأعداد كبيرة صـوب دفاعاتنـا فى اتجاه الغرب.. لم تمهد مدفعيـاته لهذا التقدم اكتفـاء بما أحدثتـه نيران القوات الجويـة فى مرابـض المدفعية.. وامعانـا لاحداث المفاجأة لقـواتنا.. واعتمادا على خفة الحركة المتنـاهية لدباباته وقدرتها العـالية على المناورة.. ودخلت بعض المدرعات فى حقول الألغام التى تم نصبهـا أمام الدفاعـات.. انفجرت أول دبابة وتصـاعدت منهـا ألسنـة اللهب والـدخان.. انطلقت الهتـافـات الله أكبر.. جـاء ثأرك يا فاروق.

بأسرع مما تخيلنـا. الله أكبر.. الله أكبر.. الدبابة الثانيـة فى لغم آخر.. والثالثـة بطلقة مـدفعية مباشرة هـوت عليها من أحـد المدافع الخلفية.. لم تـزد مدة المعـركـة عن خمس دقائق خسر فيهـا العـدو نحو ثـلاث دبـابات.. ومـات له مـا يقـرب من تسعة أشخـاص.. ارتفعت معنويـات شوقى ورفـاقه فبلغت عنان السماء.. تمنـوا اقترابهم لمناطق القتل التى تم اعدادهـا أمام كتيبتى النسق الأول.. لكنه لم يفعل.. ولم تأت الـرياح بما تشتهى أنفسنا.

انسحبت دبـابات العـدو وتخلصت من المعركـة بأسرع مما تخيلـوا اجتهد فى اطفـاء حرائقه وانتشار جثث قتـلاه وانقاذ مصـابيـه.. وتوقف تقدمه.. وهدأت الأحوال وسـاد سكون رهيب سماء المنطقة.. أعاد اليهود حساباتهم.. وتـراجعوا مؤقتا عن تنفيذ خططهم.. لابـد لهم من فكر آخر يحميهم من الوقوع فى معركة متكافئة ومواجهة خسائر بشرية تقليدية.. ترى أيكـون انسحابهم بـلا رجعة أم يعـاودون الكرة من طـريق آخر؟. ليس أمامهم سوى هذه الثغرة وإلا عليهم التقدم من خلال مناطق جبلية شديدة الوعورة ذات ميـول حادة وأرض «غرز» لاتصلح لسير الحملات الميكانيكيـة التى ترافق الدبـابات.. تذكـر العقيد عاطف المقـولة الشهيرة لموشيه ديان الـذى قرأ كثيرا عنه.. (لو توقع عـدوى أن آتيه من طريقين لاثـالث لهما أتيته من الطـريق الثـالث) إمعانـا فى حـرصه على احـداث المفاجأة.

بسرعـة أدرك العقيد عـاطف نـوايا اليهـود وركـز فكره فى استنتـاج

خطواتهم التاليـة وتوقع ملامح المعركة المقبلـة.. صاح على همام ضابط استطلاع الكتيبـة قائلا.. لتصعـد أنت ومعك بعض رجالـك إلى أعلى قمة فى جبل لبنى.. ترقب النـاحية الأخرى من الجبل وتتابع تحركـات اليهود وتخطرنا بها أولا بأول ولتحمل معك بعض المعـدات اللاسلكية وتنسق تعاونك مـع الرائد رمسيس رئيس عمليات الكتيبـة وسنفتح معك الخط كل نصف ساعة وعليك ألا تستصغر أى معلومة أو تقلل من شأنها..

ان كل حركة لليهود لها انعكاسها لدينا.. ولنا أمامها حركة مضادة.. ما عليك أنت إلا ابلاغنا بكل شىء فأنت عيننا هناك..

لم يكد العقيـد عاطف ينتهى مـن توضيح المهمة للضـابط همام إلا واستقبل النقيب صـلاح حسين قـائد السريـة الخلفيـة وقـال كل شىء جاهـز لدى اليهود.. فبالـرغم من وعورة وصعوبة الأرض خـارج الثغرة المنبسطـة التى نحتلها بين جبلى لبنى والحلال.. إلا أنهم يفضلـون ذلك على وقوع أى خسائر لـرجالهم.. ومن ثم علينا أن نتوقع أن يـأتونا من الخلف كما قال ديـان.. وبهذا تنقلب أوضاعنا الدفاعيـة.. تصبح كتيبتنا هى كتيبة النسق الأول.. وتصبح سريتك ياصـلاح هى أول قوات لنا فى مـواجهـة عـدونا ولـذلك فقـرارى الفـورى هـو سحب المدافع الماكينـة الموجودة بـالسريتين الأماميتين تجهـز مواقع لها فى سريتك.. سيعـاونك شــوقى فى إدارة نيرانها.. ويتم فـورا تجهيـز مـرابض ومـواقع للمـدافع المضادة للدبابات.. أما الضابط صبحى قائد سرية الهاون فعليه الآن أن يربط بيـاناته على أجهـزة الهاون لتنطلق داناتـه وتقع خلف التباب التى يحتلهـا صـلاح بسريته بعـد أن يتم تعـديل مـواجهتهـا للخلف.. وعليك يا صـلاح أن تعد عـدتك وتتفهم مهمتك فى نحو السـاعة قبل أن تتمكن مدرعات العدو من اجتياز الأرض الوعرة والالتفاف علينا من الخلف.

هـرول صلاح عـائدا الى موقعـه واجتمع بضباط فصـائله الثـلاث.. وشرح لهم الموقف الـذى كان غامضـا عليهم تماما.. وطلب منهم تعـديل أوضاع رجـالهم.. وتجهيز وتكسيـة خنادقهم لتكـون مواجهتم للخلف.. وإعداد مواقع للرشاشات التسعة.. والمدافع المضادة للدبابات وبينما هم

ينخـرطون فى تنفيـذ التعليمات وقبل أن تتم العمليـة لمح صــلاح أتربـة وغبارا قادمـا من اتجاه العريش.. ومالبثت أن كشفت الأتــربة عن تقدم دبــابات خضراء اللــون.. تتمركــز بعض منهــا أسفل التبة التى احتلتهـا السرية الخلفيــة التى أصبحت بقدرة قادر سرية المجهـود الرئيسى بينما استمر تدفق البعض الآخر فى اتجاه الاسماعيليـة.. كان علينا أن نتعرف على هوية تلك الدبابات الخضراء.. صديقة كانت أم عدوة.. البعض أفتى أنها صــديقة للقــوات الجزائرية التى أبت إلا أن تشــارك مصر معركتهـا والآخرون أكدوا انها عدوة لليهـود الذين نجحوا فى الالتفاف خلف الجبل لتفادى نيران مــواقعنا.. وقطعت جهيـزة قول كل خطيب .. أمـر صلاح أحد مدافعه بالضرب عليها لمعـرفة هويتها.. وكانت المفاجأة ، لم تحفل الــدبابــات بالــرد واستهزأت بــالدانــات القليلة التى لم تحدث فيهـا أى خسائر ولم توقع بها أى اصابــات.. فجأة وهم على هذا النحو من التردد وعدم المعـرفة.. وجدوا العقيـد عاطف بينهم وقال فى صــوت تنم نبراته العميقــة على الأسى.. انها عـدوة.. دبــابـــات اليهـود لقـد فـرض علينـا الحصار.. ولابد من مواجهته..

حب .. وحرب ٤

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الدبابات الخضر

- ليلى والجنرال
- [illegible]
- الدبابات الخضر
- الاجتياح
- [illegible]
- الجسور المدمرة
- الأقصى
- [illegible]
- المعجزة
- الخائنة جميلة
- [illegible]
- المواجهة
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

الدبابات الخضر

طأطأ الـرجال رؤوسـهم بعـد أن علموا أنهم وقعـوا فى الحصـار.. وأن هذه الدبابات الخضر التى طـالما اختلفوا على هويتها لم تكن إلا جزءاً من اللواء السـابع الجولانى أفضل وحدات اليهـود المدرعة وأكثرها استكمالا وأوفرها خبرة ..

زاد من ضـيقهم الكلمات القليلـة التى خرجـت من فم العقيد عـاطف قبل أن يغادر مكـانه وسطهم فى طريقـه وهو عـائد إلى مركز قيـادته .. لتعلموا أن وحدات اللواء بـالكامل أصبحت محاصرة ، فصل العدو بينها وبين مـرابض مدفعيتهـا فى الخلف وأمـاكن وحـداتها الإدارية من ميـاه وتعيينات .. ومن الآن أصبحت نقطـة المياه تمثل ثـروة لكل منكم وطلقة الذخيرة تعنى الكثير لحياته لابد لكم من الاعتماد على أنفسكم.. والتركيز فى كل أموركم .. عندما يشتد الخطر يقل التعاون ويهتم كل منا بنفسه.. ولذلك أتوقع ألا يكون هناك تنسيق بيننـا وبين اللواء .. لن يكون أمامنا إلا الاعتماد على امكانياتنا النيرانية الضعيفة فى مواجهة هذه الدبابات إذا أردنا فك الحصار والخروج من المأزق .

انصرف العقيد / عـاطف وعيون الـرجال ترقبـه وأذهانهم مشغـولة بالتفكير فيما قـاله .. بسرعة تعقـدت الأمور وتحولت وتبدلت المقـادير ..

وزاد من تعقيدهـا أن الضابط همام الـذى صعد جبل لبنى لـلاستطلاع أبلغ الـرائد رمسيس أنـه تمكن بعـد مجهـود من إصـلاح عطل بجهـاز اللاسلكى أخّره عـن التبليغ عما يراه .. وأنه منذ صعد الجبـل وهو يرى «قـولات» وجحافل مـدرعـة لايستطيع عدهـا أو حصرهـا تتقدم صـوب الاسماعيلية .. غبار الـدبابات يتصاعد وصوت المحـركات لاينقطع .. لقد اتخذ اليهـود من هذه الطـرقـات الوعـرة والدروب غير الصـالحة للسير طرقـا رئيسية لتقدمهم ليتفادوا الـدفاعات والفخاخ المنصـوبة لهم .. ثم مـالبثـوا أن استعـادوا مسـارهم الطبيعـى لتقـدمهم على نفس الطـريق الأوسط الذى يـربط أبو عجيلة بـالاسماعيلية بعد أن التفوا حـول قوات اللـواء ١١٤ مشاة وقـاموا بحصـارهـا وتثبيتها وقطعـوا عنها خطـوط امدادها وحتى حرموها من معاونة مدفعيتها .

جلسوا يفكـرون فى موقفهم الـذى فرض عليهـم .. يتدبرون أمـرهم ويـدرسون معطيـاتهم .. كم لـديهم من مـدافع ويقـارنون بينهـا وبين مـا أمامهم من دبـابـات .. تعلموا فى مبـادىء الحرب أن قطعة المدفعيـة المخندقة تستطيع أن تدمر دبـابتين مهاجمتين قبل أن يتم تدميرها ، لقد تجمع معهم عشرة مـدافع مضـــادة أربعـة من طـراز ب١١ وستـة أقل حجما من طراز ب١٠ وكلتـاهما من النوع الروسـى عديم الارتـداد قوى التأثير .. وإذا تم تطبيق المبادىء التى تعلموها فلديهم القدرة على تدمير عشرين دبـابـة فقط .. ولكن مـا أمـامهـم ليس أقل من خمسين دبـابـة ومدافع ذاتيـة الحركة .. فلنفكـر إذن فى صنع قنابل مـولوتـوف .. هذه القنابـل لاتحتاج إلا إلى زجاجـات فارغـة وبعض البنزيـن .. انها تحتاج لرجال جسـورين يتميزون بالشجاعة الفائقـة وقوة ضبط النفس .. لابد لهؤلاء الرجـال أن ينتظروا مرور الـدبابات اليهـودية فـوق خنادقهم ثم يقذفـون عليها تلك القنابـل على الفتحات والأماكن الضعيفـة فى محاولة لتعطيلها أو تدميرها أو حتى إشعالها لتنفجر ذاتيا .. كان النقيب صلاح يقود ذلك الاجتماع المصغـر .. ويدير تلك الحوارات المثمرة التى تـولدت

من الأزمـة التى يمرون فيهـا فكلما تأزمت الأمور كلما اجتهـد الرجـال وخـرجت الابتـكارات .. فالحـاجة أم الاخـتراع ولن يـكونوا فى أزمـة أشد من هذه الأزمة .. ولم يحتاجـوا إلى الاجتهاد والابتكار كما احتاجوه الآن ..

فجأة لمح شوقى بعض الأتربة تتصـاعد من اتجاه الجنوب قادمة من الحسنـة أسفرت الأتـربة عن تحرك دبـابات قـادمة من هـذا الاتجاه فى مواجهة الـدبابات اليهودية المتمركـزة خلفهم والتى أصبحت بعد تعديل الأوضـاع أمـامهم .. وبسرعـة قبل أن ينتبهـوا إلى مـا يحدث أو يتبينـوا حقيقته .. فتحت الـدبابات القـادمة فى تشكيل المعركـة وأطلقت وابلا من الدانات نزلت من الدبابـات اليهودية فى مقتل .. لقد أتى الفرج من حيث لايتوقعونه .. الحمـد لله انفكت أزمتهم .. وتهاوى حصار اليهود الملاعين أمام قذائف ونيران الدبابات القادمة التى لابد أن تكون دبابات صديقة.. دارت معركة تصـادميه من التى يسمعون عنها فى الأفـلام ويتدارسونها فى الكتب .. الدبـابات المصريـة ذات أعيرة أكبر وتأثير نيرانى أشد .. نعم انهم لايعـرفون طـرازها .. أهـى ت٦٢ .. أم ت٥٤ .. وما تفيـد المعرفـة يكفيهم فقط التأثير .. دانات اليهـود لاتكاد تـؤثر فيها .. تقع الـدانة على الدرع الأمـامى لدبابـاتنا فتهزه فقط ولاتحدث فيـه أى تدمير أو تأثير .. بينما تقع دانـات دبابـاتنا فى مقتل من الـدبابـات اليهوديـة .. الدخـان الأسـود يتصاعـد منها .. اللهب الأصفـر يتأجج .. الانفجـارات الذاتيـة لدبـابات اليهـود تتزايد .. جـاءت كلمات العقيد عاطـف وهم وسط هذه النشـوة تكشف عنهم الغمـوض وتـزيل الضبـاب المفـروض «المعـركـة الدائرة أمـامكم محاولة للواء ١٤مـدرع بقيادة العميد عبدالمنعم واصل لفك حصار قواتنا .. فطنت القيـادة العليا لمسرح عمليات سيناء بالموقف المتأزم الذى فرضـه اليهود علينا .. فلم تتركنا وانما سـارعت بنجدتنا .. وأرسلت مددا لمساعـدتنا .. اذن نحن لسنا وحدنا .. الله معنـا .. وقيادتنا ليست غـافلـة عما نحن فيـه .. لكن كل شىء بحسـاب والأمـور إذن

لم تقلت من يدها .. لابد لنا إذن من مساعدة دبابات العميد واصل .. لابد من المشاركة فى المعركة أنها معركة الخلاص من الحرج الذى وقعنا فيه وليس من اختيارنا .. فلتطلق مدافعنا داناتها لمساعدة العميد واصل ودون أوامر من العقيد عاطف أصدر الضابط أمير السبكى أوامره للمدافع المضادة للدبابات بالانطلاق .. راح الضابط أمير السبكى يصيح هنا وهناك لإدارة نيران مدافعه .. مدفع الرقيب حسين هو أول المشتبكين .. براقو حسين تصويبك ممتاز .. لابد ألا يقل تصويب فراج عما فعله حسين .. فلتضرب أنت على هدف تال .. دبابة أخرى .. وبينما كان رجال سرية المدافع المضادة للدبابات يشتبكون تلقائيا لمساعدة معركة دبابات اللواء ١٤ مدرع كان رجال السرية الثالثة يتابعون الموقف باهتمام ويترقبون مصير الدبابات اليهودية التى تصاعدت منها أعمدة كثيفة من الدخان الأسود وتناثرت منها أشلاء الجثث المحترقة وتبعثرت أجزاؤها المفككة واشتدت ألسنة اللهب حتى خالوه انفجارات ذرية من كثافة نيرانه .

ومع ازدياد الانفجارات فى صفوف الدبابات اليهودية ومع تقدم الدبابات المصرية صوب غريمتها وشدة تأثير نيرانها لم يكن أمام القوات اليهودية سوى الانسحاب .. التقهقر .. التخلص من المعركة .. الحمد لله .. لحظة الفرج قريب عما تخيلنا .. لحظة إنفكاك الحصار آتية لاريب فيها .. لقد ذاقوا مرارة الكأس .. شربوه حتى الثمالة أنهم يحاولون الفكاك من أمام نيران دبابات العميد واصل التى تقع عليهم كالزلزال وتؤثر فيهم كالصاعقة وتدمر دباباتهم وتحصدها كما الجراد.. دباباتهم كأنها جرذان مذعورة أمام قطط رومية متوحشة .. لاقبل للفأر بمواجهة القط .. فما بالك باختلاف النوعيتين .. دباباتهم التى لاتعرف نوعيتها ولاهويتها تعتمد على خفة الحركة والسرعة والقدرة على المناورة .. الله الله .. انها تهرب .. انها تجرى مذعورة من حيث أتت لاتحفل حتى بلم أشلائها المتناثرة أو جر وحداتها المعطلة أو

تنظيم انسحابها كما تنص أبسط قواعد القتال ونظريات الحرب .. المفروض أن تستر نيران بعض الدبابات انسحاب الأخرى لكنهم يجرون بلا تنظيم ويهرعون بلا وعى .

مدرعات العدو تهاوت أمام نيران دبابات اللواء ١٤ مدرع الأشد تأثيرا والأكثر فتكا .. انهم دائما لايواجهون النيران بالنيران .. لايجازفون بتعريض أنفسهم لمعارك متكافئة .. قرروا سريعا التخلص من الورطة وإيقاف المعركة .. هدأت النيران وانخفضت ألسنة اللهب .. وساد المنطقة سكون أشبه بسكون القبور .. هربت الدبابات اليهودية .. وبدلا من أن نشاهد منظرا مثيرا ودباباتنا تطاردهم وتحصدهم وهم يرتدون على أدبارهم بلاترتيب أو تعاون .. شاهدنا العجب العجاب .. دبابات اللواء ١٤ مدرع .. ترتد هى الأخرى وتذهب من حيث أتت .. أين شجاعة العميد واصل التى طالما سمعوا عنها ؟ أين قدرته الفائقة على إدارة معاركه التصادمية وقتال الدبابات المعادية ؟ ذهبت أدراج الرياح.. تبخرت مع ذرات التراب المتهاوية التى أعلن خفوتها واضمحلالها عن انتهاء المعركة بأسرع مما تخيلنا .. أهى خطة ؟ .. أهو تكتيك ؟ ما الذى يحدث بحق الشيطان يدفع قواتنا على الاحجام عن مطاردة دبابات مهزومة .. قوات مكسورة .. فلول تهرول بلا أى نظام ودون أدنى مقاومة .. وجاءتهم كلمات العقيد / عاطف تشرح لهم الغموض كما هى العادة ..

ليس لدباباتنا قدرة على المطاردة بعد أن قطعت أكثر من خمسمائة كيلومتر على الجنزير والمعروف أن الدبابات تنتقل بواسطة حاملاتها إلى مكان المعركة المنتظرة قريبا من مسرح العمليات المتوقع .. لكن المسكين العميد واصل تلقى أوامر عديدة بالسفر إلى هنا والتقدم إلى هناك والجرى إلى هذه المنطقة والاندفاع إلى تلك المهمة إلى أن أنهكت قواه وخارت قدراته . تصور العميد واصل أنه أنجز مهمته بدحر قوات اللواء السابع الجولانى اليهودى وإعادتها من حيث أتت .. وربما جاءته أوامر

أخرى بالتقدم إلى منطقة أخرى أو تحديد مهمة تالية.. أن هناك أسبابا لايعرفونها كفيلة بأن تجعل دبابات اللواء ١٤ مدرع لاتغامر بمطاردة العدو مهما كان ضعيفا .. لابد للعميد واصل أن يضطلع بمهمة أخرى لنجدة قوات أكبر أو لمواجهة ظروف أصعب فى منطقة استراتيجية أخرى.. ولكن كيف سيكون موقفهم بعد هذا الانفراج الذى لم يستكمل أسبابه .. وهذا الانفتاح الذى لم تتم فصوله .. انقشعت دبابات اليهود وتهاوت دفاعاتهم وانفتح الطريق أمام قواتنا للتحرك صوب الاسماعيلية ولو حتى على سبيل إعادة التجميع والتشكيل تمهيدا للقيام بمهام أخرى .

انتابتهم حالة من الاحباط العميق وتسرب إلى نفوسهم بعض اليأس.. صمت العقيد عاطف لم يصدر أوامره بالاستعداد للتحرك استغلالا لانفكاك الحصار أو حتى للانتقال لمواقع أخرى أشد تحصينا وأكثر منعة .. صمت العقيد عاطف يدعو إلى الريبة ويبعث على الشك .. لم يتعودوا منه الصمت فى هذه المواقف .. وجدوه قريبا أكثر مما يجب وجدوه شاعرا بكل خلجاتهم .. بكل نبضهم .. بكل أحاسيسهم .. ترى ماذا أسكته ودفعه إلى اتخاذ هذا الموقف السلبى غير الواضح ؟ .. راحوا يتفكرون ويناقشون موقفهم الذى هم عليه الآن .. يحاولون تصور الخطوة التالية فى ظل الصمت الغريب الذى بدا على قائد الكتيبة .. قال النقيب / صلاح : إنه ينتظر تعليمات العميد سعيد قائد اللواء دائما النقيب صلاح ينتظر التعليمات .. علمته التجارب ألا يغامر ويبادر بالتصرف دون الرجوع لقيادته .. قال شوقى : لا يا صلاح انه يفكر فى الخطوة التالية ويعيد حساباته فى ظل المعطيات الجديدة .. ونطق رستم أحد ضباط السرية الثالثة : يا جماعة إن صمت العقيد عاطف ينبىء عن حالة من عدم المعرفة وقلة المعلومات ربما انقطع الاتصال بينه وبين القيادة ولذلك فهو يتريث فى اتخاذ القرار حتى لايقع رجاله فى المحظور.. وربما وصلته معلومات تفيد عدم جدوى التحرك لمواقع أخرى .

وبينما هم يتفكرون وقع نظرهم على مشهد غريب أصابهم بالفزع وسبب لهم الذهول . نفس الدبابات الخضراء التى كانت تهرب وتتخلص من المعركة أمام دباباتنا .. تعود أدراجها من جديد .. وتحتل نفس مواقعها وتوجه مدافعها إليهم .. انها تواجههم وتتربص بهم .. تأخذ مرابض نيران على التباب المواجهة لتبابهم .. تعيد إحكام الحصار حولهم .. تقطع عليهم الطريق نحو الاتصال بقواتهم فى الخلف وتحرمهم من خطوط الامداد .. وتحول بينهم وبين مناطق الشئون الادارية .. انقطعت عنهم فرص الامداد بالمياه التى لاحت بعد هروب الدبابات .. ضاع مجهود دبابات اللواء ١٤ مدرع سدى .. تبدد الأمل وتلاشى بصيص النور الذى ساد مشاعرهم لفترة قصيرة .. هكذا الحروب .. تتغير مواقف القوات المشاركة فى القتال لحظيا .. قد تشعر للحظة أنك منتصر لامحالة .. وأن مجريات المعركة أصبحت فى يدك وأنك أحكمت السيطرة على كل المقدرات .. وفجأة ينقلب الحال وتتبدل الأوضاع .. وتجد نفسك فى حالة دفاع مفروضة عليك ولاتستطيع لم شتاتك خلالها .. القائد المحنك هو الذى يضع حلولا فورية لكل الاحتمالات والخبرة تكسب المقاتلين المتمرسين سرعة البت فى المواقف واتخاذ القرارات الفورية المناسبة .

فجأة سمع شوقى صوت العقيد عاطف يصرخ هاتفا فى جهاز اللاسلكى الخاص بالنقيب صلاح بضرورة حضوره إلى مركز قيادة الكتيبة فورا .. راح يفكر فيما يريده .. انه يثق فى شجاعة قائده وتمرسه على فنون القتال .. أصقلته خدمته فى وحدات المظلات حتى وصل إلى قيادتها ورتبته لم تتعد المقدم .. وزاده اشتراكه فى حرب اليمن وقبلها ١٩٥٦م حنكة ودراية بفنون المراوغة والمناورة والالتفاف والتطويق ..

انتصب شوقى واقفا على أهبة الاستعداد أمام العقيد / عاطف بعد أن أدى التحية العسكرية بشدة وكأنه يستحثه على نسيان موضوع

ركبته إياه .. لا أعتقد أنه مازال يتذكره .. ولم تدم شكوكه كثيرا .. ابتدره قائلا .. اخترتك للقيام بمهمة استطلاعية بدلا من همام الذى يقبع على جبل لبنى بالرغم من حلول الظلام وانتهاء مهمته .. أود التأكد من بيانات قيادة اللواء الخاصة بالعدو المحاصر لنا .. العميد سعيد يقول انه على بعد ستة كيلو مترات ولايتعدى قوته عن عشر دبابات، فغر شوقى فاه .. وارتسمت على محياه آيات الفزع والذعر مما دفع العقيد عاطف لسؤاله .. ماذا دهاك أتخشى القيام بهذه المهمة الصغيرة ؟ أتخاف الوقوع فى الأسر ؟ اخترتك لأنى أعلم شجاعتك وقدرتك على مواجهة تلك المهام .

وكأن العقيد عاطف يستحثه على القيام بدور البديل لمهام ضابط استطلاع الكتيبة وجاء رد شوقى يعبر عن صدمته واحباطه .. ليس لكل هذه الأسباب .. فلم يتسرب الخوف بعد إلى نفسى منذ وصولى موقع الكتيبة .. ولكننى أرى العدو وهو لايبعد عن موقع السرية الخلفية والتى أصبحت سرية المجهود الرئيسى كما تعلم سيادتكم سوى مائتى متر على الأكثر .. وقد تستطيع سيادتكم أن تحصى دباباته ليس بنظارة الميدان التى فى عهدتك وأراها على صدرك وإنما بعينيك المجردة .. وفى صوت آمر قال العقيد عاطف لا أحتاج لمزيد من معلوماتك .. ولكننى قد تعلمت كيف أحترم معلومات القيادة الأعلى أود التثبت من خلالك بصحة ما ورد من قيادة اللواء .

لك السمع والطاعة .. لكن لى بعض المطالب التى أراها ضرورية للقيام بمثل هذه المهمة .. كما أن لى بعض الاستفسارات .. ما هى وسيلة المواصلات ؟ من أين لى برجال استطلاع ؟ هل أشتبك مع اليهود لو أنى تورطت معهم ؟ وجاء رد العقيد / عاطف سريعا وكأنه جهزه قبل أن يسأل شوقى .. العربة المدرعة جاهزة .. واختر ما شئت من رجال الكتيبة حتى ولو وقع اختيارك على الرائد رمسيس سأكلفه بالانضمام لك فى هذه المهمة .. ما مطالبك ؟ العربة الجيب الخاصة

بحضرتك .. أوافقك على ذلك خذها متى شئت وطالما تكون جاهزا للمهمة. وأضاف شوقى سأختار بعض رجال سريتى وليس رجال همام لأنى أثق فى قدرتهم على تفهم أوامرى دون أن تصدر من لسانى .. وأطلب من سيادتكم أن تأمر الضابط صبحى بإطلاق بعض الدانات المضيئة من هاوناته أمامى للكشف عن مواقع اليهود خاصة وقد حل الظلام تماما .. وبسرعة كان صبحى يتلقى أوامر العقيد عاطف بذلك .. أما آخر مطالبى فهو التنسيق مع النقيب صلاح حين عودتى من المهمة حتى لايتصور أننى من اليهود ويطلق نيرانه على العربة .. وبنفس السرعة قال العقيد / عاطف فى جهاز اللاسلكى .. صلاح سيذهب شوقى مع بعض الرجال لاستطلاع العدو .. وحين عودته سيضىء أنوار العربة التى تقله ثلاث مرات .. فلتفهم جيدا إشارته وتأمر رجالك بصمت النيران .

جاهز يا فرغلى - جاهز يا حسن .. أنت يارقيب داوود هل أعددت سلاحك وتممت على ذخيرة الرجال .. عثمان أنا أعلم أنك تعودت على قيادة العقيد / عاطف وهو بجوارك فى المقعد .. لكنك هذه المرة ستسمع أوامرى أنا وأرجو أن تكون كتلة حذر ويقظة لأن المهمة تحتاج للكثير من التركيز .. هكذا جاءت كلمات شوقى حاسمة لتوضيح مهمة الرجال وأضاف مهمتنا أن نتأكد من مواقع مدرعات العدو وعددها .. ولكى لاتتفهموا الأمر على غير واقعه .. لقد أفادت معلومات مركز قيادة اللواء بتحرك الدبابات بعد أن حل الظلام إلى الخلف عند النقطة مائة وسبع وستين .. ومطلوب منا تأكيد تلك المعلومة .. وبعفويته المعهودة قال فرغلى الذى كان قريبا من قلب شوقى .. لكننا لم نسمع محركاته ولم نر أضواء دباباته أو مركباته ونحن على مسافة لاتتعدى مائتى متر فقط تسنح لنا برؤية وسماع كل شىء .. أجاب شوقى .. لا أقول كما قال لى العقيد عاطف .. أنك خفت .. وإنما أشعر بما تحسه من غرابة .. ولا أستطيع أن أقنعك بما لست مقتنعا به لكننا يا فرغلى لانرى ونفهم

مثل قيادتنا .. حتى ولو كانت الأوامر غير مقنعة من وجهة نظرنا القصيرة فلاشك أن لديهم الدافع على هذه التعليمات والقيام بمثل هذه المهمة .

بدأت العربة الجيب تنزل الميل الجنوبى لتبة السرية الثالثة بهدوء شديد .. كأنه من غير المسموح إطلاقا إضاءة أى أنوار .. وقام شوقى بإصدار تعليماته بكتم الأصوات وحتى الأنفاس .. ولم تكد العربة تتقدم مائة متر فقط حتى نطق فرغلى همسا وكان يجلس بجوار شوقى فى الخلف مباشرة .. أترى يا فندم تلك الكتل السوداء التى على مرمى البصر اننى أتخيلها دبابات اليهود وهى منتظرة لاتبعد بين الواحدة والأخرى أكثر من ٢٥مترا .. رد شوقى استمر فى ملاحظاتك فى صمت ولا تتحدث إلا إذا أمرتك بهذا .. استمر السائق عثمان فى تقدمه لمسافة أخرى ثم اضطر للوقوف فورا تنفيذا لأوامر شوقى الذى أمر رجاله بالهبوط بعد أن قام بتشكيلهم فى مجموعات إغارة صغيرة .. هو وفرغلى فى الأمام وداوود وحسن فى الخلف بعشرة أمتار على أن يكون التعاون عن طريق الخبط بإصبعه على دبشك البندقية الخشبى نقرة واحدة تعنى الوقوف اثنتان تعنى التقدم .. ثلاث تعنى الاشتباك مع الأفراد الذين يظهرون أمامهم على أن يكون الارتداد إلى العربة سريعا بعد الاشتباك وعلى السائق عثمان أن يدير واجهة العربة فى اتجاه العودة وإدارة المحرك دون توقف حتى إذا ما ارتدوا بعد الاشتباك ينطلق عائدا لموقع الكتيبة سريعا ..

تعجب داوود من الضابط شوقى الذى لم يصدر نقرة واحدة بدبشك البندقية بالرغم من أن الدبابات باتت على بعد أمتار قليلة وقاموا بعدها وتمييزها بوضوح .. لكنه لم يكن يعلم أن شوقى يريد معرفة الدافع على حالة الصمت التى كانت عليها دبابات اليهود ولم يعرف ذلك إلا بعد أن وصل فرغلى إلى إحداها وتأكد أن طاقمها قام بغلق جميع فتحاتها ويغط فى النوم انتظارا لصدور أوامر أخرى من قائد التشكيل ..

وأنه لاسبيل أمامه للتعامل مع تلك الدبابات لأنه لايحمل معه أسلحة مضادة لها ولو حتى آر.بى.جى .. وارتد شوقى وأمر رجاله بالعودة إلى العربة التى أقلتهم من جديد إلى مركز قيادة الكتيبة بعد أن أصدر عثمان الإشارة المتفق عليها مع صلاح .

اقترح الرائد رمسيس على العقيد عاطف أن يقوم الضابط رستم من السرية الثالثة بالمهمة التى أخفق شوقى فى القيام بها .. وكان العقيد عاطف قد علق على معلومات شوقى التى أفادته بأن العدو لايبعد عن السرية الثالثة بأكثر من مائتى متر فقط وأنه يقدر بثلاثين دبابة وبعض المركبات الذاتية الحركة بأن خوفه جعله يتخيل أمورا ليست حقيقية وأنه تصور بعض الصخور المتناثرة فى الصحراء على أنها دبابات .. لم يجد شوقى الرد المناسب والمعبر عن ثورته الداخلية من الظلم الذى حاق به .. اتهامه بالخوف وأن خوفه صور له أمورا ليست من الواقع فى شىء .. لاذ بالصمت حتى لايقع فى خطأ قد يستوجب العقاب .. ولم يرد إغضاب قائده الذى طالما احترمه ووثق به .. لم يرغب فى رد اعتباره من الرائد رمسيس الذى لم ينصفه وهو يعلم مدى شجاعته من خلال تنفيذه لمهام عديدة أصعب بكثير من هذه المهمة فى حرب اليمن .. استمع شوقى لأوامر العقيد عاطف بتكليف رستم بالمهمة وعاد يجر قدميه إلى مكانه بالقرب من السرية الثالثة .

فوجىء النقيب صلاح بعودة الضابط رستم ورجاله بأسرع مما تخيل .. فبمجرد نزولهم الميل الأمامى للتباب كادوا يصطدمون بدبابات اليهود وأعادوا على مسامعه نفس البيانات التى أتى بها شوقى .. ونقل صلاح إلى العقيد عاطف ما سمع وأكد له أن الدبابات لاتبعد كثيرا عن موقع سريته وأنها لاتزيد عن ثلاثين .. ولم تعرف مجموعة الأركان الصغيرة التى كانت تتكون من النقيب صلاح ومعه ضباطه الثلاثة قواد فصائل لسرية والضابط شوقى والضابط أمير السبكى رد فعل العقيد عاطف بعد أن تأكد من المعلومات الخاصة بالعدو .. واضطر شوقى

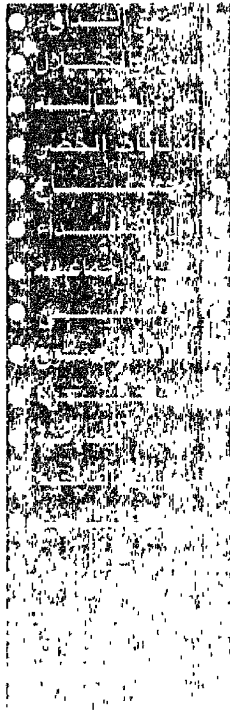
لإخفاء مشاعره المحبطة عن بقية زملائه حتى لاينتقل عدواها إليهم وتتأثر جسور الثقة بينهم وبين مركز قيادة الكتيبة ..

وانشغل فكره فى السبب الذى دفع دبابات اليهود إلى عدم إطلاق أى نيران عليه أو محاولة أسره ورجاله .. ولم يقتنع بخلودهم للراحة والنوم فى هذه الساعات العصيبة .. على الأقل كان يجب أن يكون هناك دبابة واحدة فى حالة يقظة كاملة وجاهزة لاطلاق نيرانها عليه .. وتجمعت فى ذهنه العديد من الاستفسارات شغلته نسبيا عن التأثر بحالة الاحباط الشديد التى انتابته بعد أن اتهمه قائده بالخوف . أنه لم يخف لو كانت لديه أسلحة مضادة للدبابات لما ترك الدبابة التى كاد أن يلمسها بيديه دون أن يدمرها .. لكن لقد تعود على مشاعر الظلم فى بعض الأحيان .. حتى عندما كان يقوم ببعض المهام القتالية الشاقة .. كان يشعر به عندما لايلقى نفس القدر من الاشادة والاستحسان .. لا.. لا يا شوقى لقد أفسدك تدليل العقيد عاطف لا .. لا .. لاتسمح لتأثرك أن يوغر صدرك ضده .. فهو لايزال نعم الأب .. وخير القادة .. وحتى لو لم يكن كذلك فعليك ألا تنقل أحاسيسك المحبطة إلى الآخرين .. حتى لايتسرب إليهم اليأس فى أحلك الأوقات التى تتطلب استنفار كل الهمم وتحفيز كافة الجهود والطاقات .

حب .. وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الاجتياح



الاجتيـــاح

ساعـة انبلاج الصبح من غسق الليل تحمل فى طيـاتها نسمات رطبة منعشة تسرى فى الأوصال فتغذيها وتمتزج بالدماء فتنقيها.. لم يكن من الصعب على الرجـال أن يتوقعـوا الخطوة التاليـة لليهود بعـد حصارهم الذى دام طـوال ساعات الليل.. طلبـوا من قيادة اللـواء تدعيمهم ببعض الدروع والدفع إليهم ببعض المدفعيـات من كتيبتى النسق الأول لمواجهة المعركة المتـوقعة.. لكن هيهات أن يحدث ذلك.. فالخطب شـديد ومن ثم كان على كل وحـدة أن تتدبر أمرهـا بنفسها خاصـة أن الأمور اختلطت والمعايير اهتـزت والتوقعات تـلاشت ونجح اليهود فى بث حالـة من عدم الثقـة فى المعلـومات والبيـانـات المتـاحة عنهم وتحولت اشراقـة النهـار الصبـوحـة إلى حمرة داكنـة وارتفعت ألسنـة اللهب وأعمـدة الـدخـان وامتلأت الساحة بالانفجارات.. اختلطت صراخات القتلى وأنات المصابين بـدوى المدافع وهـدير الـدانـات التى أطلقهـا اليهـود صوب الـرجـال والخيام والمعـدات بلاهوادة وبأعلى معـدلات ممكنة.. اقتلعت نيرانهم كل شىء بعد أن تسـاوى أمامها الانسان والجماد.. وهـوت داناتهم على كل مافوق الكتيبة فلم تذر على الأرض مايمكن أن يظل باقيا.. كانوا يطلقون نيرانهم ليس بهدف اسكـات النيران الهزيلة أو احتـلال مواقعنـا الكبيرة

وإنما لـلانتقـام والازالـة بعد أن تـوحـدت الأجســاد بـالأرض..وتمسك الرجال بمـواقعهم.. اختلط ترابها بدمائهم وامتـزجت رمالها بأشلائهم.. تحركت دبابات اليهـود تعيث فى موقع الكتيبة الدمـار وتلحق بها الوبال والخراب.. سالت الـدماء الطـاهرة فـوق كل ربوعـه.. وتناثـرت الاشلاء الكريمـة فى كل أرجائه.. استشهد الـرجال بالمئـات.. ولم يبق منهم أحد سليما إلا من أنقذه الله من هذه المذبحة الشيطانية.. لم يكن بالمعركة أى تكافـؤ.. فقد تضاعفت المدرعات التـى هاجمت موقع الكتيبة عـدة مرات عن الاستنتـاجـات التى استطلعهـا الضـابط شـوقى ومن بعـد رستم.. ولم تجد أمامهـا أى مقاومة تذكـر.. تضاءلت المدافع المضـادة للدبـابات العشرة وبعض الاربيجيهات الضعيفـة أمام السيل المنهمـر من المدرعات والآليات والمدفعيات وقـواذف اللهب اليهودية.. ولم يبق أمـام رجالنا إلا أن يقـاومـوا زحف الـدبـابـات بنيران أسلحتهم الصغيرة وبـزجـاجـات المولوتوف الحارقة التى أعدوها لهذه الليلـة المشئومة.. ثم بعد أن فرغت مقاومتهم.. تلقـوها بصدورهـم وأفئدتهم.. لم نلمح رجلا يجرى هـربا.. أو يصرخ هلعـا أو يلطم جـزعـا انتـزعـوا وهم فى أوج ضعفهم الاكبـار والتمجيد مـن عدوهم.. ظلوا فى مـواقعهم وخنادقهم بعـد أن سقطت كما تعلموا ليقـاتلوا العدو المهاجم يـدا بيد وبالقتال المتـلاحم.. لكن عدوهم كان أجبن من ذلك بكثير.. فبرغم قوته وجبروتـه.. فبرغم جسامة وفداحة خســائر المصريين.. لم يحفل بقتل من تبقـى منهم ولم يهتم بتصفيـــة بعض جيـوب المقاومـة البشريـة حتى لايعرض ثـروتـه ورجالـه إلى أى اصابات.. وكما داست المدرعـات ساحة الكتيبة ٣٤٢ واحالتهـا إلى بركة دماء وحـولت جـوها إلى فرن فسيـح خرجت منـه أبخرة الشـواء للحوم البشرية النقية.. توجهت فى طـريقها إلى كتيبتى النسق الأول للقضـاء على كل مابقى منهما.. لحظـات قصيرة لكنها مرت كـالجبال طويلة طـويلة.. لم تستغـرق المعركـة عدة دقـائق تحركتها دبـابات اليهـود وهى تطلق داناتها فتقع كـالصاعقة على كل مـاتلقاه أمامها فتعصف بـه وتحيله إلى

ركام وأشـلاء.. ولم تجد فى طريقها مـايبطىء تقدمها أو يـوقفه أو حتى يضعف دقة نيرانها.. صحيح أحـدثت دانات المدافع المضـادة للدبـابات المصريـة بعض الاصـابـات فى المدرعات اليهـوديـة.. لكنهـا لم تتـوقف ولم تحفل بمساندة المصابين فيهـا أو اصلاح أعطالها وانما اندفعت بكل ثقلها لمحو كل مالقيها من آثار باقية.. المعجزة وحدها هى التى أبقت على بعض الأرواح.. الأقـدار وحـدهـا هـى التى سمحت لبعض الأنفـاس أن تستمر.. عنـاية السماء هى التى شملت بعض الرجال بـالصـون.. وحتى هـؤلاء لم يصدقـوا أنفسهم فظلـوا يتحسسـون أجسادهم ويضمـدون جـراحهم ويجرون أقـدامهم يستحثـوهـا على السعى لكن إلى أين وإلى متى؟ لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينـوا فـداحـة الخسائر وفظـاعـة المذابح وانهيـار الأمل وتداعى الـرجاء.. ضـاع كل شىء ولم يبق شىء.. هذا هو الرائد رمسيس.. ممددا بجوار مركز قيادة الكتيبة وقد تحول إلى كتلـة من الـدمـاء ليس بها أى مـلامح أو عظـام.. وهـذا النقيب سيـد عبدالغفار الجسد الطـاهر البدين وقد تناثـرت أشلاؤه وتبعثرت أعضاؤه وهـذا النقيب سيد يـاسين لم يبق من ملامحه إلا فم مفتـوح وقد كـان لايفتحه وهو حى.. لم يعد باقيا من مساحة الكتيبة الشاسعة مترا واحدا إلا وغطت رمـالـه الدمـاء.. وقبعت فـوقـه الأطراف والأذرع والأقـدام.. الوحيـد الذى لم يظهـر له أثر فى هـذا المعترك الكئيب هو العقيـد عاطف قائد الكتيبـة لم يبق له وجود لاهـو ولاسائقه وعـربته الجيب.. تحـركت الفلـول البشرية القليلـة الباقيـة والتى لم تتعد أصـابع اليدين بفطـرتها وبغريزة حـب البقاء نحو ساتر يعصمهـا من النيران الهادرة.. ووجهتها أقـدامها إلى جبل لبنى القـريب جدا من جـانبها الأيمن.. تحولت أحجـار الجبل إلى أطواق نجاة لمن تبقى من الرجال تحميهم من الدمار والنيران.. تسلقـوا مطلع الجبل واستتروا بأحجاره وتحصنـوا بصخوره.. وجـاءت الدبـابات اليهودية تـلاحقهم وصبت نيراتها على الميول الأماميـة بـالجبل فأحالت سـواد صخوره إلى حمرة داكنـة وتولت نيران مـدافعها تسييح

المعادن الكامنة فسال الحديـد من بعض الأحجار واختلط سائله ببعض الـدماء التى أريقت من الأجسـام الطاهـرة التى أصيبت.. لم يمكن الميل الحاد للجبل المدرعـات اليهـوديـة لتكملـه مطـاردتها للـرجـال النـاجين فتوقفت هى وأكملت الطائرات الهيل التى أتت على عجل لمسـاندة معركة قواتها الأرضية مهمتهـا فى المطاردة باصرار غريب وكـأنها تود إزالة أى آثـار حيـة انتقامـا من جيب المقـاومـة العنيد الـذى اجبرهـا على تأخير معركتهـا يومـا وليلة وكلما انتهت غـارة جويـة تنفس الـرجال المحتمين بالصخـور الصـداء.. وابتعـدت أجسادهم قليـلا عن حصونها وأذرعهم قليـلا عن أحضانها وخففـوا من عنـاقهم للأحجـار إلا وعادت طـائرات اليهـود من جـديـد تغير عليهـم فيعـاودون هم الالتصـاق بـالصخـور والتوحـد بالأحجار.. ظل الـرجال على حـالتهم هذه طوال نهار ٦ يـونيو المشئـوم.. مـر عليهـم كأطـول نهار فى التـاريخ.. الطـائرات لاتتـوقف والغـارات لاتقل.. والخسـائر تـزيد وتتعـاظم.. والـدمـاء تسيل وتغطى الجبل بعد أن فـاضت بها سـاحـة الكتيبة من قبل.. استشهـد المئات من رجـال الكتيبة ضبـاطـا وجنودا لم تفـرق النيران بينهم.. إنهم كثيرون.. لايمكن احصاؤهم.. ولم يكن بـالمقدور تبيان النـاجى من المستشهد بل لعل شـوقى نفسـه لم يستطع أن يعرف كيف كتب الله لـه النجـاة.. كل مابقى بذاكـرته أنه ظل يطلق نيران أحد مدافعـه من قلب المعركة وداخل بـؤرة النيران والدمـار حتى توقف.. نفـدت ذخيرتـه فتوجـه إلى العربـة بجـوار مـوقعـه ليحصل على كميـة إضـافيـة من الـذخيرة التى كـانت «مشـونـة» فيها وقبل اقـدام من الـوصـول إلى العربـة لحقت بها دانـة مباشرة احالتهـا إلى كتلة متفجرة انبطح أرضا وراح فى غيبوبـة كاملة لم يدر معها كيف مرت بجواره دبابات اليهود دون أن تعبأ به ظنا أنه مات أفاق شـوقى من اغمائه فتذكـر الصورة القاتمة التى كـانت حولـه بعد زوال الغيبوبـة، أشلاء وأعضاء غطت المكان بـالكامل.. دماء سـالت هنا وهنـاك.. مدرعـات اليهـود تطلق نيرانها بلارحمة فى كل مكـان.. لم يكن

أمـامه سـوى الصعـود مع بعض رفـاقه إلى جبل لبنى.. وتكملـه نهاره الطـويل فى الاحتماء بـه والافـلات من نيران طـائرات الهيل اليهـوديـة.. تـرامى إلى سمعه وهـو فى هـذه اللحظـة كلمات القائد الـذى فى السرادق فأوقف شريط الذكريات وهـو يردد.. «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجـلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منهـا ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشـاكرين» «صدق الله العظيم» أخذ شوقى يبحلق فى جموع المعـزين وهى خارجـة من السرادق ترتسم على محيـاها آيـات الحزن والأسى وبعضهـا يزرف دمـوعا سـاخنة وهـو يصافح شقيقـه بالذات.. أما شقيقه فلم تقو قـدماه على حمله فأجلسوه بعد أن أصر على البقاء فى واجهة السرادق حتى آخر أنفاسـه مهما كابد من مشقة وجهد.. فجأة انتبه على وميض مصبـاح شرفة منزلـه عبث به أحد أبنـاء شقيقته فانعكس نـوره على وجه بعض السيـدات المتشحات بالسـواد يولـولون ويبكـون.. رباه مـا هـذا الذى يـراه انها أمـه وقد تـوسطت الجميع إنها ملامحها ووجههـا الذى طالما قبله.. جبهتها التى طالما لثمهـا .. وجنتاها اللتان طالما تـوردتا خجلا أمام أى مـوقف.. مقلتاها الـواسعتان أحمرتا من البكـاء.. الـدمـوع تنسـاب على خديها تعلن عـن جزعهـا وفـداحـة مصابها.. أحمدك يـا الله أشكرك يـارب.. إنه يستطيـع الآن أن يرتمى فى أحضانها ويبثهـا أشواقه ويقص عليهـا آلامه ويحكى لها قصتـه منذ أن غـادر المنزل وهى تـودعه ومـاصادف من أهـوال وعاش من مخاطـر.. ولكن وآه من كلمة لكن.. كيف له أن يعبر هذا السرادق الضـخم وهو على هيئتـه الرثـة وأثماله غير المهنـدمـة.. ومن ياتـرى المصاب الـذى سبب لأسرته كل هذه المآسى.. لابد أنها إحـدى شقيقتيه.. نعم هى هى بعينها زوجـاهما بجـوار شقيقـه.. وعلى محيـــاهما نفس آيـات الجزع والأسى المرتسمة على وجهه ولكن مرة أخـرى إن ملامح الأسى محفورة على كل الـوجوه.. مسطـورة على كل من فى السرادق.. شباب.. جيلـه من يعرفـه ومن لايعـرفـه الكل متأثـر لـوفـاة شقيقتـه إن بعضـا منهم لم يغـادر

السرادق عندمـا فرغ القـارىء من تلاوتـه .. إن كثيرا منهم نهض واقفا وشارك فى تلقى العزاء وكأن الفقيده شقيقتـه.. ترى هل غيابه لمدة شهر فى سـيناء يـولد بين النـاس هـذه المشـاعر الطيبـة؟ هل هـذا الغيـاب كفيل بإذابة الفـواصل وتقريب الفوارق وتلاشى المسـافات. إنها الحرب ورب ضارة نافعة.. لم يكن له أن يلقى هذا التعاون والتكاتف والمساندة ما لم يشارك فى معركة الشرف مع كتيبته كان معه كل الحق عندما أصر على مغادرة المستشفـى والمشاركة فى مهـام القتال مـع رجاله وتنـاسى أوجاعـه وآلامه.. شكرا لك يـارب .. آه ياأماه اهتـز بدنه هـذه المرة وهو يرددهـا انه يستطيع أن يعـدو نحوها وينهل من حنـانها بعد أن زلـزله فراقها.. لن يفارقها دقيقة واحدة بعد الآن.. لن يترك مابقى من عمره إلا وقد التصق بها بعد أن شرب مرارة فقدهـا وقبل أن يطلق لساقيه العنان متوجهـا نحوها تـذكر أنـه لايستطيع أن يجرى على الجروح التى ملأت قـدميه وسـاقيـه حتى ولـو لم تكن فكيف لـه عبور السرادق الملعـون.. أصبح السرادق أشبه بـالموانع التى يتعذر عبـورها أيـام كانـوا طلبة فى الكلية الحربية.. مرة أخرى وجـد شوقى نفسه وقد شرد ذهنه فى اجترار شريط الذكريات لكن بشىء من الأمل وببعض التفاؤل انقشعت الصدمة التى هزته لفقـد أمه.. ومهما كانت آلامه وأحزانـه على وفاة شقيقته فهى أقل بكثير.. تـرى أى شقيقتيـــه التى تـوفيت.. الكبرى التــى تشبهــه فى بياضهـا وشعرها الأصفـر أم الصغرى التى على عكسه تمامـا بسمرتها وعينيها السوداوين.. لم يسعفــه فكره فى المفاضلة.. ولم تقـو ذاكرته إلا على العودة من جـديد لتخيل مـاأصبح عليه الـرفاق بعـد أطول نهار فى التـاريخ.. نهار السادس مـن يونيـو عقب أن انتهى من تنظيف منطقـة رئاسة الكتيبة من كل مظاهـر الحياة.. لم يبق على أرضها شىء ينبض.. أحالت النيران كل ماهو حى أو متحرك إلى سكون.. إلى رماد .. إلى موات هدأ هدير المدافع.. سكن أزيـز الطائرات.. صمتت أنات المصابين بعد أن تـوقفت الأنفـاس.. وصعـدت الأرواح إلى بـارئهـا تعلن عن استشهـاد

المئـات.. غلف المكان سكـون قـاتم ووحشـة مخيفة.. خيم الظـلام على الجبل فحول أحجـاره إلى أشباح.. كل حجر يخفى خلفه شبحـا للموت.. إن الموت يتعقبهم منـــذ الصبـــاح يأبى إلا أن يقبـض أرواحهم ويكتم أنفـاسـهم قبل أن ينتهى مـروره على هذه المنطقـة الخراب.. كيف لـه أن يفلت من قبضتـه وقـد سيطر بها على كـل رفاقـه.. لم ينج منهم أحـد.. حتى الضابط محمـود الذى استلمه حديثـا قبل الحرب بأربعة وعشرين ساعـة فقط لم يفلت من لقائه.. كم كـان يأمل فى أن يصنع منه ضـابطا ممتازا.. كـان يرى فيه خليفتـه فى قيادة سرية الـرشاشات لـوأن العقيد عاطف صعـده لتولى قيـادة إحدى السرايـا المشاة.. أبدى بعـض ملامح الشجـاعـة وظهـر عليه بعض سمات الجرأة المبكـرة.. اقتنصـه صـلاح لتدعيم سريته بعد أن تحولت إلى سريـة المجهود الرئيسى لمواجهة اليهود الذين قدمـوا من الخلف أحس شوقى لحظة وداعـه أنه وداع بغير لقاء.. وغيره وغيره من الشهداء الأبرار.. يتـذكر من أو من أو من.. إنهم جميعا رفاقه بينهم أخوة لايمكن أن تتفصم عراها ـ ذكرياتهم محفورة بذهنه.. له مع كل منهم موقف.. وبينه وبين الجميع وشـائج قوية لايمكن للأيام أن تمحوها.. سيظل يذكرها أبد الـدهر أنتفض شوقى مذعورا وأفاق من غفوتـه عندما شعـر بيد تربت على كتفـه دون أن يسمع وقع خطواتها.. وقبل أن يهب للتحرك دفاعا عن نفسه رأى ابتسامة وديعة ارتسمت على وجه مألوف لم يفـارقه منذ أن تسلمه ضابطـا مستجدا بمسرح عمليات اليمن إنه النقيب صلاح حسين.. ياالله.. ليس بعيدا على قدرتك يا الله أن تحفظ صلاح وسط هذه الحمم ومن هـذا الجحيم المستمر لم يكن صعبا على عنـاية السماء التى كتبت لـه أنفـاسا أكثـر وعمـرا أطول أن تبقيـه مصانـا وسط هذا الدمـار وهذه النيران.. لقـد رآه والدبابـات تعبر فوق خندقه.. انه لم يجبن ولم يترك رجاله بل كان أمامهم وليس بينهم.. انها عظمة الخالق يهب لمن يشـاء الحياة.. يمنح لمن يشـاء الاستمرار ويكتب للآخرين الشهادة.. ليت الناس يـؤمنون بأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله

لهم وعليهم.. تبـادل الاثنان حـديثا هـامسا.. كيف انجـاهما الله.. وكيف التقيا بعد تفرق لم يكن له نهايـة.. آمنا أن الله قد يجمع الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تـلاقيا.. وهما على حالهما الهادئ سمعـا وقع أقدام آتية من قمـة الجبل.. رباه.. اليهـود اسقطوا مظـلات لتعقبهم أما لهؤلاء اليهود مـن رادع.. ألم يحن بعد مـوعد استرخائهـم.. منذ انبـلاج الفجر وهم يعملون مـدافعهم ونيرانهم بلاتـوقف.. ويحصدون أرواح المصريين ويلحقـون بهم الدمـار دون شبع.. وبعد كل هـذا يتعقبونهم وهـم فـوق الجبل بمظليين بعـد أن توقفت طـائراتهم ودباباتهم عـن الحركة.. اسرع صـلاح وشـوقى فى التحصن بسـاتر واعـداد سـلاحهما لـلاستعمال.. لامنـاص أمامهم إلا الـدفـاع عن النفس مهما كـان فارق القـوة بينهما.. المظليون اليهود على درجة عاليـة من الكفاءة ومزودون بإمكانيات كبيرة من النيران.. ومع ذلك لن يظلا صـامتين ولن يموتـا خائفين.. إذا لم يكن من الموت بـد.. فليس أقل من اصابـة نفر منهم قبل أن يلحقـا بالـرفاق وقبل أن يطلقـا نيرانهم فى مـواجهة العـدو المترجل القـادم.. استمعـا إلى صـوت مميـز طـالما استمعـا إليـه من قبل.. انـه صـوت همام ضـابط استطـلاع الكتيبة قـادمـا مع بعض رجـاله من أعلى الجبل.. وابتـدرهما قـائلا بعـد أن التقيا ثـلاثتهم. رحمنى الله لـوجـودى فى أعلى جبل لبنى ارقب تحركـات العدو.. أحسست بما أنتم فيـه من خلال المحادثـات مع العقيـد عاطف والـرائد رمسيس بالـلاسلكى كانـا فى آخر محادثـة لهما متوتـرين مضطربين.. ثم انقطع بيننـا الاتصـال.. أدركنا مـاوقع للكتيبة ورجالها بعد أن شـاهدت ألسنة اللهب تتصاعد وأعمدة الـدخان الأسود تعلو.. وراحـوا يكملون جوانب الصـورة صلاح يقص وشـوقى يتمم له ما خفى عليه وهمام يترجم المشاهد التى ميزها من أعلى الجبل ولم يكن بمقدوره أن يتفهم معناها.. وهم على حالهم هذا انضم إليهم الملازم أمير السبكى ضابط السريـة المضادة للدبابات ومعـه رستم أحمد حسن أحد قادة فصائل السرية الثالثـة ومعهما بعض الجنود ممن آنسوا للضابطين

وتـوخيا فيهما النجـاة.. كـان أقدمهم الـرقيب عبـدالخالق حكمدار احـد المدافع ومعه زميلـه وبعد أن استعرضت المجمـوعة قائمـة الشهداء التى ضمت كل رجـال الكتيبة بـاستثناء من جلسـوا يستعرضـوتها استسلم بعضهم لحالـة الجزع التى سيطـرت عليـه من هـول ماشـاهـد وزرف البعض دمـوعـا غـزيـرة على زمـلائه الشهـداء.. وتـرك الجميع العنـان لخيالهم ليجتر ماكان ويتذكـر ماوقع.. وكان يجب على احدهم أن ينتشل الجميع من حـالـة الاسترخـاء الكئيب الذى سـادهم.. وجـاءهم صـوت النقيب صـلاح منقذا ومـوحيا لهم بـأن يكفوا عن الخيـالات وليواجهـوا ماهـو واقع.. فلنتوقف المشاهد والأحـداث ولنقم بتقدير موقفنـا وإعادة حسـاباتنـا لمواجهة مـانحن فيه.. وأردف صـلاح قائلا.. إن الأمـر جلل والخسائر فـادحة.. ولايمكن لنا مقاومـة مايعترينا من حزن أو مـواجهة مايعتصرنا من آلام.. لكن علينـا أن نتذرع بالصبر إذا كان لحيـاتنا قيمة غالية.. إذا كان لأهلنا حق علينـا.. إذا أردنا العيش.. فلابد من التماسك.. أما إذا فـررنا فلن يكون لنـا بقاء.. لم يضع صلاح وقتـا ولم يترك لأحد أن يفكـر فى الأمـر أو ينـاقش القـرار.. لابـد من المقـاومـة.. لابـد من الاستمـرار فـالحركـة كما يقـولـون بـركـة.. لكننـا يجب أن ننظمهـا.. وتخضعهـا إلى ضوابط ومعـايير .. بـداية يجب أن تكـون على قلب رجل واحـد وأن نعمل يـدا واحـدة ، إن أمـامنـا أهـوالا وأخطـارا لاقبل لنـا بمواجهتها ولايمكن أن تخطر لنـا على بال.. هكذا اتفقت قلوبهم وأعينهم قبل أن تنطق ألسنتهم.. وكـان على همام أن يعقـد البيعـة لصـلاح وأن يسلمـه قيادة المجمـوعة.. فهـو أقـدمهم وأكبرهم سنا وأكثـرهم خبرة.. وأقسمـوا صامتين يمين الـولاء والطـاعة.. وتـولى صـلاح عصا القيـادة وأنقـذ صوت المذيـاع ــ الـذى أمسكـه الرقيب عبـدالقادر وعبث بمـؤشر محطاته دون إرادة ــ صلاح من الحيرة التى انتـابته. جاء صوت المذياع مـؤكـدا استبسـال القوات المصريـة المرابطـة فى العـريش وقـدرتها على الصمـود أمـام العـدو وتمكنهـا ومحاصرتها لبعض وحـداتـه.. إذن هى

البـداية .. فلنـوجه أنفسنـا صـوب العريش وننضم إلى قـواتنا هنـاك.. سيسعدون بـاستقبالنا.. بالتأكيـد نحن اضافة لامكانـاتهم النيرانية لن نكلفهم شيئـا.. لن نـزيـد أعبـاءهـم ونثقل كـاهلهم.. مطلـوب منهم فقط بعض الأسلحة والـذخائر وهى متـوافرة لديهم.. وكـان يجب على صلاح أن يخطـرهم بنوايـاه وأن يشركهم بـالـرأى وجاءت مـوافقتهم على أولى خطواتهم بالاجماع.. وردد الجميع على بركة الله لم يضع الرجال وقتا فى استعراض التفـاصيل فى محاولة لاستغلال اللحظات المتبقيـة على طلوع الفجـر لقطع بعض من المسافـة التى تفصلهم عن موقع العـريش وهى تبلغ حـوالى المائة كيلـومتر.. وحتـى يتفـادوا الحركـة فى قيظ الظهيرة المحـرق.. عليهم الاجتهاد فى السير .. شكلـوا مجموعـة مقاومـة صغيرة توفر لها بعض البنادق الآلية ورشـاشا خفيفا بعد أن أصر على الانضمام لهم ممن كانوا يعملـون تحت قيادتهم وكتب الله لهم النجاة.. صحيح لم تكن لهذه النيران أى قيمة تذكر لـوقورنت بنيران اليهود لكنها على الأقل توفـر لهم الأمان عنـد مواجهـة الحيوانـات المفترسة المتـوقع لقـاؤها فى صحراء سينـاء.. وعلى بركـة الله نزلت المجمـوعة من قمـة جبل لبنى فى اتجاه العـريش.. لم تسلك الدروب الممهـدة ولاالطـرق المرصوفـة وإنما سارت على الجبال وعبرت التباب والوهاد تفاديا لمواجهة مدرعات اليهود التى التزمت بالسير على الطرق والمدقات فقط خـوفا من التيه الذى جاء فى كتابهم.. لم تكـد المجموعة تقطع عدة أمتـار فى طريقها نحـو العريش حتى شعـر شوقى بـآلام حـادة فى ركبته.. تصـادق مع هذه الآلام منـذ انضمامه إلى الكتيبـة لكنه وهو يكافح للحـاق بالرفاق وهم ينـزلون من قمة الجبل شعر انها فوق طاقـة احتماله وانها لايمكن مصادقتها وعليه مواجهة أمرين لاثالث لهما.. إما مشاركـة الرفاق مشوارهم الطويل نحو العريش مهما كابد من آلام وتحمل مـن أوجاع.. وإما التقاعس عن السير والتخلف عن الـركب لمواجهـة مصيره المجهـول.. لم يكن الموت يشكل أسـوأ الفـروض المحتملـة.. إنما شبـح الاصـابـة والأسر ظل يخيم على

مخيلته ويسيطر على أفكاره تجرع آلامه فى صمت وقـرر فرض حالة من الكتمان على مايواجهـه من أوجاع.. لكن العرج الذى سيطـر على خطواته فضحه أمـام رفاقـه وكشفه أمام زمـلائه.. كان أول قـرار اتخذه القائد الجديد للمجمـوعة النقيب صلاح هـو تكليف رستم بمعاونـة شوقى على السير لكن أمير السبكى أبى إلا أن يكون المساعـد الثانى لأزمة شوقى.. واجتهدوا جميعـا فى السير.. حاول شوقى اقنـاع مساعـديه أمير ورستم بالتخلى عنه دون أن يشعر أحد من الـرفاق.. فليس أمامه سوى التخلف عن المجموعة بعـد أن تضاعفت أوجاع ساقـه.. أنه لن يستطيع التكملة.. وعليه أن يفضل مصلحـة المجموعـة على مصلحته الشخصيـة.. «أشكر لكم أيها الأعـزاء روحكما المتعـاونة واخـلاصكما.. أنـا شـديد الامتنـان لكما.. لكن الأمر لن يستمر على هذا النحو خاصة اننى أشعر أن المشوار ربما جاء طويلا على الأصحـاء منكم.. فما بالكم وساقى اليسرى لم تعد صـالحة تمامـا للسير.. إننى لايمكن أن أكون عالة عليكما طـوال الوقت.. مـواجهـة الأسر والشهـادة أفضــل كثيرا على نفسى من ارهـاقكما بهذه الصـــورة».. وجـاء رد أمير السبكى حـازما «فلتصمت يـاشـوقى.. إمـا النجاة لنا جميعا وإمـا الشهادة.. لم أنس لك أفضالك فى مواقف كثيرة.. يوم أخـذت بيدى وأنا ضـابط جديد عليكم بـاليمن.. كان من الممكن أن أتعـرض لمحاكمـة عسكـرية تقضــى على مستقبلى ووجدت منك الأخـوة الصـــادقـة التى انقـذتنى والمشـورة المخلصـــة التى وجهتنى.. وإذا كنـا بصـدد تعديد أعمالك وتقييم مآثـرك وأفضالك علينا.. فهى لاتحصى فقد كان آخـرها قبل أن تـدخل المستشفى بساعـات معدودة عنـدما تحملت المسئولية عنى أمام العقيد عاطف وكان يـومها يود توقيع عقوبة شديدة علىّ بسبب عـدم الابلاغ عن عطل شـديد بأحـد المدافع يحتاج لاصـلاح رئيســى وقلت أنت يومهـا انك كنت تحاول اصلاحه بمعـرفتك عن طريق احـد الضبـاط مـن دفعتك ولـولاك لما اقتنع العقيـد عـاطـف بسـلامـة مـوقفى».. وأكمل رستم قائلا..إذا كـان لابد لك مسـاعدتنـا فلنقترح على

النقيب صلاح تبديل مهمة مساعدتك على السير مع بقية رجال المجموعة كل ٢٠ كم لكـن أن نتركك تـواجـه مصيرك فهـذا مستحيل.. وأمـــام اصرارهما لم يجد شـــوقي بـدا مـن السعي معهما والتخفيف عنهما مع مواجهة الآلام الحادة.. ومضـى ركب الرفاق ومازالت أذهـانهم مشغولة بالأحـداث الجسام التي مـرت عليهم ولم تخطر لهم على بـال.. ارتسمت بخواطـرهم صورة رسمتها بعنايـة ريشة فنان مكتئب متعطش للـدماء التي تناثـرت في كل الأرجاء.. دمـاء ودخان واشـلاء ووميض انفجارات وضحايـا وشهداء.. ترى هل تتكـرر المأساة في العـريش أم يجدون فيها معطيـات أفضـل يستطيعـون بها رد الاعتبار والانتقام؟.. لابد من الثأر هناك.

حب .. وحرب ٦

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

أول الشتاء

أول الشـــهــداء

حملق شوقى فى السرادق وهو قابع فى مكانه بالردهة المظلمة.. ارهف سمعه فتتناهى إليه صوت القارىء وهو يردد الآيات القرآنية البليغة.. «وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير» تحسس ساقيه والجراح التى امتلأت بها.. ومرت يده على ركبته المعتلة الذى لم يتصور أحد من رفاقه أنه سيكمل بها المشوار الذى قطعته والذى زاد عن مئات الكيلومترات.. ونظر إلى أثماله غير المهندمة التى تعوقه عن تبديل موقعه مع شقيقه الذى خارت قدماه فلم تقو على حمله فأجلسوه عنوة وأجبروه على تلقى العزاء وهو على مقعده حتى يده اليمنى مدها دون إرادة فى ضعف واضح لم يتمكن خلاله من مصافحة جموع المعزين فتركها دون مشاركة فعالة فى المصافحة.. لوأنه تمكن من تعديل هيئته ولولا آثار الجروح وآلام الاعاقة بركبته لكان بمقدوره أن يتناوب مع شقيقه واجب العزاء.. أو على الأقل منحه قسطا من الراحة يسترد فيه أنفاسه ويجدد نشاطه ويستعيد بعضا من قدراته.

عاد شوقى أدراجه إلى اجترار ذكرياته المؤلمة بعد النهار الأسود الذى مر عليه كأطول نهار فى التاريخ.. نهار يوم السادس من يونيو الكئيب.. ولم يدر لماذا صعد إلى مخيلته مشهد الرقيب فاروق أول شهداء الكتيبة

وهو مدرج بدمائه بجوار مدفعه.. عيناه شاخصتان جاحظتان.. وملامح وجهه جامـدة لاتعبر عن معاناته من آلامـه الفظيعة.. لم ينطق فاروق إلا بكلمات قليلة أوصى فيها شوقى بأولاده خيرا.. إنهم أمانة فى عنقك ترى أكان فاروق يعلم بشفافية الشهـداء إن شوقى سيكتب الله له النجاة من هذه المذبحة.. من مستنقع الدماء.. من أخطار الاصابة وأهوال الأسر.

أعـدك يافـاروق بأننى سأذهب إليهم وأشملهم بـرعـايتى واحيطهم بعنـايتى كما أبلغتك وأنت تلفظ أنفـاسك الأخيرة.. أعـدك يافـاروق والله على وعدى هذا شهيـد أننى بمجرد أن أسترد صحتى وأحصل على بعض الراحـة وأطمئن والدتى وأرد لها مـافقدتـه من استقرار ومـاأصابها من تـوتـر وقلق سأسـارع فورا إليهـم وأذهب لمساندتهم والـوقـوف إلى جوارهم.

عـاد بذهنـه لتذكـر الرحلـة من جبل لبنى إلى العريش.. استمعـوا فى البداية إلى تعليمات صلاح.. لاندرى متى سنصل إلى العريش لننضم إلى قواتنا هناك؟

ومـاذا سنجابـه فى رحلتنـا من أخطار وأهـوال.. لـذلك علينا تـوخى الحرص الكامل فى التحـرك واتباع الحذر الشـديد فى اقترابنـا من الطريق المرصوف.. وحتى تحركنـا وسط التباب والوهاد لابـد أن تكتنفه الحيطة حتى لانقع فى الأسر أو نتعرض للاصابة أو نفقد أحد عناصرنا.

كما يجب علينـا أن نقتصد فى مـواردنـا المائيـة والغذائيـة على قـدر المستطـاع. أنا أعلم أنها محدودة للغـاية ولاتكفى لاستخـدام فرد واحـد لهذه الرحلة الشاقة. لكننـا بشىء من التدبر والتعقل نستطيع أن نجعلها تكفينا مدة رحلتنـا هذه على الأقل.. وعلى الرقيب عبدالقـادر أن يضاعف من كمية الميـاه التى معنا من خـلال مبردات العربـات المعطلة التى على سفح الجبل.. قد يكـون عالقا بها بعض الصدأ.. لكن ميـاه بصدأ أفضل كثيرا من مـواجهة الموت عطشـا.. ومنذ تلك اللحظـة تناول الميـاه يكون بغطاء الـزمزميـة.. وليتولى شوقى عمليـة التوزيع فى الـوقفات.. كما أن التـدخين غير مسمـوح بـه إلا بأسلـوب جماعـى.. نحن جميعـا نـدخن

ولايوجـد هنا إلا بقـايا سجـائرنا فيما لـوتجمع لما زاد عن علبتين فقط.. وحتى لانضعف أمام حاجتنا للدخان علينا أن نشترك جميعا فى سيجارة واحدة.. ولنتناولها فيما بيننا.

فرغ صلاح من القـاء تعليمات التحرك للانضمام للمقاومـة الناجحة فى مواجهـة اليهود بالعريـش وكان على المجموعة أن تبـدأ فورا فى السير صوب ميناءنـا الساحلى.. إن بيننا وبينه نحو مـائة كيلو متر.. وإذا كان الفـرد العادى يستطيـع قطع خمسة كيلـو مترات فى السـاعـة فاننـا فى مقدورنا قطع هذه المسافـة فى عشرين ساعة على الأقل.. علينا أن نجد فى السير خلال السـويعات الباقية من الليل لأن الجسم لايتعـرض فيها إلى استنزاف كميات كبيرة مـن العرق وبالتالى لايحتـاج فيها إلى استعواض بعض من المياه التى نزفها.

تقدم صلاح المجموعـة حاملا القيادة الرمزيـة لها بصفته أقدم وأكبر الضباط سنـا وبجواره الملازم أول همام وخلفهما بقليل شـوقى وحـوله أمير السبكى ورستم أحمد حسن.. اتخذوا من الطـريق العـرضى الـذى يربط العـريش بالنقطة مـائة وواحد وستين على الطـريق الأوسط منارا يهديهم فى سيرهم.. لكنهم بمجـرد هبـوطهـم من قمـة الجبل وبـدأوا فى السير بمحـاذاة الطـريق وعلى مقـربـة منـه داخل الصحـراء وصل إلى اسماعهم أصـوات محركـات العـربـات والدبـابـات القـادمـة من اتجاه العـريش ووجهتها صـوب الاسماعيليـة.. لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينـوا انها عربـات ودبابـات يهودية تمثل الانسـاق التاليـة للوحـدات الغازيـة لسيناء لكن كيف يتسنى للقـوات المصرية بـالعريش أن تحتفظ بقدرتها مع هذه الجحافل القادمة منها؟

كيف لها أن تبقى صـامـدة مع هـذه الأعـداد الهائلـة من العـربـات المجنزرة والـدبابـات والمدافع ذاتيـة الحركة العـابرة لحدودهـا المخترقة لنطـاقها الـدفـاعى.. ربما اتبع اليهـود نفس الأسلوب الـذى اتبعـوه مع كتيبتنا عنـدما اكتفوا بحصارهـا وقطع خطوط الامداد عنهـا ثم اختراقها فى الـوقت المناسب.. يجب ألا نفكـر من الآن فيما عليـه موقف العـريش

حتى لايخور تصميمنـا على الوصـول إليهـا والانضمام لقـواتنا هنـاك. يكفينـا التأكيدات التى نسمعهـا من المذياع بأن صمـود العريش فـرض على اليهـود كثيرا من التنـازلات.. وأن البطـولات التى يقدمهـا الـرجـال انتزعت اعجـابهم واحترامهم.. هل من الممكن أن يكذب اعـلامنا؟ هل من الجائز أن نقلب الأوضـاع ونبدل المعطيـات الحقة.. وحتى لـو كان هـذا جـائزا يجب ألا نفقـد اصرارنا.. لسبـب بسيط أنه ليـس أمامنـا سـوى التقدم صـوب العريش بعد أن واصلت قـوات اليهود تقدمهـا وسيطرتها على مسرح عمليات سينـاء بالكـامل وفرضت سيـادتها على كل شبر فيه حتى وصلت مع نهايـة يـوم الخامس من يـونيـو إلى مشـارف القنـاة.. قطعت المجمـوعة نحو أربعين كيلـو مترا ولم يلبث أن طلع النهـار عليها وجاء صوت صلاح معبرا عن ذلك بالتوغل داخل الصحراء لمسافة أطول حتى لاتقع أعين اليهود علينا فيطاردوننا بعـرباتهم ودباباتهم خاصة ان الأرض منبسطة والتربة متماسكـة مما يساعد الحمـلات الميكانيكية على التوغل.. لكن عـربات العدو ودبابـاته تتحرك على الطريق بـاعداد غفيرة قـادمـة من العـريش متوجهـة نحـو الاسماعيليـة.. كيف إذن للعـريش صمودهـا؟.. من نصـدق.. كلام المذياع الـذى لم يفتأ رجـاله أن يعبروا بافتخـار شديد عن قـدرة وقوة رجالنا الصنـاديد بالعـريش.. أم أعيننا التى ترى جحافل مصفحات وآليات اليهود القادمة من هناك.. ولِمَ لا إن التوازن بين هذا وذاك جائز.

ولِمَ لا وقـد يكون اليهـود قد كـرروا فعلتهم مع كتيبتنا بحصـارهم للعـريش أنهم تقليـديـون لايغيرون تكتيكهم ولايغـامـرون بثـروتهم البشرية.. ولذلك فلربما لحقنا بقواتنا هناك لتدعيم امكاناتهم قبل أن يتم اختراقها.. وإذا كانـت الشهادة قدر محتوم ومكتوب علينـا.. فلتلتحق بنا فى العريش.

واصلت المجموعة سيرها صوب العريـش واستغرقت الرحلة ساعات النهار الطوال دون تـوقف.. من السادسة صباحـا وحتى قرب العشاء.. ورغم عنـاء السير فى قيظ الظهيرة لم يشأ صـلاح أن يـوقفهم لنلحق

بمقـاومتنـا هناك.. لننضـم إليهـم قبل أن يفقدوا قـدرتهم على الصمـود وتخفت مقدرتهم على الاستمـرار.. كان كل فرد فى المجموعـة يمنى نفسه بلحظة رد الاعتبار أو على الأقل الانتقـام وليس الثأر.. الثأر لن يكون إلا بالنيل منهم كما نالـوا من شهدائنا بإيقاع الخسـائر بينهم كما أحـدثوها فى كتيبتنا وقواتنا.. ولن تمكننا نيراننا من الثأر للعدد الكبير من الشـهداء واحـداث الخسـائر بالصـورة التى أوقعهـا اليهـود فى صفوفنـا.. كـان يقطعون الـرو ابى الصغيرة وهم يمنون أنفسهم بقرب لحظة الـوصول مع انتهاء كل تبـه لكن التباب تتوالد وتسلم كل منهـا للتبة التى خلفها.. الصحراء كالبحر تماما.. والتباب فيها كالأمواج فى المحيطات لا نهاية لها ومع كل تبة تنتهى المجموعة من قطعها تنتظر الفرج خلفها لكن المشوار طويل والمسافة بعيدة أنها مجرد مـائة كيلو.. وقد يأتى الخلاص هناك.. ربما استطعنـا أن نستعيـد تماسكنـا ونعيـد تنظيم صفـوفنـا وايجاد التوازن المفقود بيننا منذ أن فقدنـا قدرتنا على المقاومة فى نهار السادس من يونيو الكئيب.

ومع الغروب.. وقبل أن تخفت أشعـة الشمس وهى تميل فى الشفق.. ومع احمرار ضـوئها الـذى ينعكس على الأشيـاء فتتوهج وتتـلألأ كأنها كـواكب درية لاحت العـريش للـرفاق.. لاحت بمآذنها ومبـانيها.. بـدت بأقبيتهـا ونواديها ظهرت بطـرقاتها ونـواصيها.. إنها العـريش كما هى وكما زارهـا البعض فى الأيـام الثـلاثـــة الأولى من يـونيـو لشراء بعض مستلزمـات الكانتين من أطعمـة ومشروبات.. لم يلمح الـرفاق تغييرا أو تعديـلا فيها.. لم يستبينوا أى مقاومـة تذكر.. أرهفـوا السمع وأنصتوا.. ربما جـاء صـوت الطلقات مـن هنا.. وربما جـاء من هنـاك.. لكن عبثـا لم يتبينوا مـايدل على وجـود مقاومة.. لقـد خدعتنـا الكلمات الحماسية التى ترامـت على عواهنها من المذيـاع.. نفس ماحـدث واكتشفوه عنـدما كذب اعـلامنا فى تحـديـد عدد الطـائرات التى اصبناهـا والدبـابات التى دمـرناهـا والقوات التى اهلكنـاها لليهـود.. لكن هذه المرة انعكس كـذب اعلامنـا علينا وعلى تـوجيهاتنـا.. العريش ليـس فيها صمـود.. ولا فيها

مقـاومة.. اليهـود مسيطـرون تماما على مقـدراتها ويحتلـون مرافقهـا ويتخذون من امكـاناتها قـاعدة إداريـة لامداد جحافلهم التـى توغلت فى سيناء واستقرت على مشارف القناة فى مـواجهة المدن الساحلية الثلاث.. بورسعيد والاسماعيلية والسويس.

لم يكن من الصعب على الـرفـاق تكـذيـب كل مـاتنـاثـر من أقـوال وشـائعـات.. اللواء الشـاذلى بقـوات اللـواء الأول المشاة يحاصر فـرقـة يهوديـة ويستسلـم فى نفس الـوقت لحصـــار فيلق يهودى من الخارج ولايستطيع أحد أن يمسه بسوء خوفا على أرواح من يحاصرهم..

العميد فـلان تقدم ببعض مـاتبقى من قواتـه وحاصر فـرقة مـدرعة يهودية ويسـاومهم على سـلامتها شريطة تـركه يعبر القنـاة لينضم إلى المقـاومة المصريـة غربها.. انها مجرد شـائعـات أمل.. بالـونات اختبـار يطلقها البعض ليضـاعفوا من غريـزة حب البقاء وليـزيدوا من اصرارهم على الاستمرار.. إن الجنود المرافقين للمجمـوعة يرددون هذه الشـائعات ترديدا أجوف دون تفكير أو تعقل فيه مبالغة وتزيد إنها طبيعتهم والتى تتسم بالضحالة الفكرية والسطحيـة نظرا لقلة ثقافتهم وندرة تعليمهم.. لم يكن بين كل من رافق المجموعة من جنود من يحمل مـؤهلا عاليا.. أو حتى لـديه قـدر ضـــئيل من الثقافـة ولذلـك فقد كـان صلاح حـاسما لنتـوقف عن ترديـد مثل هـذه الشائعـات.. وتنـاقل مثل هذه الخيـالات والتخيلات.

ولنكن صرحاء مع أنفسنا.. واقعيين فى حســاباتنا حتى لانستغرق فى التفاؤل ونمعن فى الأحلام فنصطـدم بالواقع الذى قد يكـون فيه نهايتنا المؤلمة.

ماخطوتنا التالية؟ وماوجهتنا؟ وماذا نحن فاعلون؟

كانت هـذه الأسئلة تمثل اختبارا جديـا شاقا لقدراتهم الفكـرية التى خارت هى الأخرى بعد أن خارت قواهم البدنية.. الذهن المكدود فى البدن المهدود والاجابـة عليها تحتاج إلى مزيـد من اجالة الفكر وامعـان الذهن واجترار الخبرات والمعلومات.

لنجلس قليــلا نســترد أنفــاسنا ونفكــر فيما نحن ومــاذا عسانــا أن نفعل؟

قالها صلاح وترك جسده يسقط على الــرمال بعد أن نال منه الاعياء وأضناه الارهاق.. واستسلم بقيــة الرجال إلى حالــة من الثبات للحصول على قسط قليل من الــراحة.. لم يكن أمــامهم ســوى أمرين لاثــالث لهما كلاهما له مرارة الحنظل.

إما قطــع المسافة التــى بين العريش والقنطــرة غرب وهى تــزيد على مــائتى كيلــو متر سيرا على الأقــدام مستخــدمين الليل ستــارا والتبــاب والوهاد دروعا من هجمات مصفحات اليهود.

وإمــا التسليم والــوقوع فى الأسر ومــواجهــة ماسمعــوه من فظــائع اليهــود مع أسراهم.. توجهــت الأفراد إلى الله أن يمنحهم الهدايــة ويهبهم العــون ليتخذوا القــرار المنــاسب.. فقــد أظلمت الدنيــا وبــات عليهم أن يواجهــوا حلقات مغلقــة ليس فيها بــريق أمل أو بصيص نجــاة.. لو أن اعلامنا تحرى الصدق واعتمــد على الحقائق.. بدلا من التزويق والتنميق والتهــويل والتهليل.. اقتصر كــلام مــذيـــاعنــا عن عــدد الطــائرات التى اسقطت.. والـــدبـــابـــات التى أحـــرقت.. والأرواح التــى أزهقت.. وكل الاحصاءات والبيــانات جــاءت من بنات أفكار الــرجال الــذين لم يكلفوا خــاطرهم متــابعــة وكالات الأنبــاء العــالمية وهى تكشف زيف أقــوالهم وتفضح وتعرى كــذب افتراءاتهم.. واجهت مصر تجمعا أوربيا أمــريكيا.. تحالفت معظم الدول بــاستثناء الاتحاد السوفيتى ضدهــا.. وأوقعوها فى فخاخهم ونصبوا لها المصيدة اليهودية.

حب .. وحرب ٧

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

القبض الثمانية

القبور الجماعية

لم تمض دقائق معدودات إلا وكان معظم الرفاق فى سبات عميق.. وتعالت أصوات «شخيرهم» تعلن عن الاعياء والارهاق الذى أصابهم بعد المشوار الطويل الذى قطعوه والذى يفصل موقع كتيبتهم ـ بعد أن تحول إلى ساحة فسيحة من الاشلاء والدماء ـ وبين ماكانوا يتوقعونه على مشارف العريش .. تلك المدينة التى طالما سمعوا عن بطولتها وتمنوا أن يتحصنوا بمواقعها ويقاتلوا مع صناديدها.. لكن هيهات لهم ماتمنوه .. لم يأت سباتهم نتيجة المشقة التى عانوها من السير لأكثر من مائة كيلومتر فحسب .. وإنما سيطرت عليهم حالة من الإحباط الشديد أثرت على أعضائهم بعد أن تمكنت من نفسياتهم ودمرت معنوياتهم.. والعضلات خائرة .. والعظام واهنة .. والنفس مقطوع .. لاشىء يشجع على المضى .. وكل المؤشرات والدلائل تقود إلى النهاية المحتومة السريعة .. وان لم تكن بايدى اليهود الذين جاسوا بدباباتهم وسحقوا بدروعهم الاجساد الطاهرة والأنفس النقية .. فستكون بفعل الجوع والعطش اللذين ليس لهما من علاج.

لم يستسلم شوقى للنوم برغم انه لم يكن فى حالة أفضل من التى كان عليها رفاقه .. بل على العكس كان يعانى زيادة على معاناتهم من آلام ساقه المعتلة والتى تصاعدت لدرجة لم تعد محتملة ولعل تلك الآلام

هى التى افقدته القدرة على النوم .. وظل راقدا لايهنأ براحة ولاينعم بمنام .. ترى ماذا يخبىء لهم القدر وأين ستكون النهاية وعلى أية صورة ؟ أيكتب لهم الفناء بعد كل هذه المقاومة وهذا الكفاح.. أم يشملهم الله برعايته ويكلأهم بعنايته ويحقق لهم المعجزة التى تقودهم إلى بر الأمان .. لكن أين الأمان الذى ينشده .. ويحلم بلقائه.. لاأمان مع هؤلاء القتلة السفاحين .. حتى ولو استسلموا لشبح الأسر.. لن يسلموا من نيران اليهود .. ستحصدهم قبل أن يدرجوا فى قوائم الأسرى كما حصدت زملاءه فى صحن كتيبتهم عندما فقدوا كل قدراتهم على المقاومة ومواصلة القتال .. ستكون نهايتهم أبشع من هؤلاء الرفاق بعد مواجهتهم لآلام التعذيب والترويع فى معسكرات الأسر البغيضة التى طالما سمعوا عن أهوالها واستعرضوا مع من سبقوهم ويلاتها.

وهو على تأمله هذا سمع شوقى أنينا خافتاً أشبه بالفحيح .. ارهف السمع ليتبين مصدره .. ويستوضح موقعه .. ونهض يستحث الخطى للبحث عن صاحبه .. ولم يطل بحثه فقد رأى على بعد خطوات منه بقعة حمراء قانية تنزف دما من فتحات كثيرة فى الجسد الممدد بلا حراك.. أنه أحد المقاتلين وقد اخترق رداءه العديد من الطلقات وفى مواضع كثيرة بالصدر والأذرع والقدمين .. لم يدر شوقى ماذا يفعل ولاكيف يساعده.. حاول خلع سترته وتمزيقها لربط مواضع النزف فى محاولة ساذجة لايقافه .. وضمه إلى صدره ليستنهضه ليعاونه على التنفس.. وأشار له المقاتل بأن هدىء من روعك فالحالة متأخرة ولا أمل فى البقاء.. خيم الموت على كل أوصالى وانتشر فى معظم اعضائى .. لكنها أنفاس تطلع وتدخل إلى أن يقضى الله أمراً كان محتوماً .. وارتسمت على محيا شوقى تساؤلات عديدة وهمّ أن يطلق استفسارات كثيرة لكن الاعياء والتداعى الذى بدا عليه الزميل أمات الكلمات على لسانه .. وخرج صوت صاحبنا وكأنه حشرجة الموت .. قال أنا جندى فى وحدة المياه المتمركزة فى بئر الحمة على أطراف الطريق الواصل بين الحسنة والعريش .. لم يكن لنا قبل بمقاتلة جحافل اليهود الهادرة... ولذلك

عندما علمنا بسقوط العريش وطالعتنا بوادر دباباتهم قادمة فى اتجاهنا.. بادرنا برفع الاعلام البيضاء فوق عربات القنطاس دليلاً على استسلامنا وإذعانا لفارق الامكانات الهائل بين وحدة إدارية متمركزة خلف خطوط المواجهة لامداد القوات بالمياه وبين جيش جرار بعدته وعتاده .. وتصورنا الاعلام البيضاء ستحمينا من نيرانهم.. وتوقعنا ان يكتفوا بأسرنا والزج بنا فى معسكراتهم الشاسعة.. وصمت الرجل برهة وكأنه يناشد أنفاسه أن تسعفه ليحكى لزميله قصته وينقل تجربته مع هؤلاء القتلة والسفاحين وأكمل بصوت أبطأ ترددا وأخفض ايقاعاً وأوهن نبرة.. لقد تصورنا أن استسلامنا سيهب لنا الحياة .. ولم يكن من اليهود إلا أن تركوا أمام وحدتنا دبابتين عليهما مدفعان رشاشان وأمرونا من خلال مذياع صغير بالاصطفاف على شكل قطارين بين كل منا وجاره طول ذراع واحد .. ثم فتحوا علينا نيرانهم فسقطت كالحمم المتأججة أرواحنا .. وتريق دماءنا وتزهق حياتنا .. نعم وحدتنا التى زاد عددها عن المائة فرد لم يبق منها سوى اشلاء وجثث ودماء تسيل هنا وهناك.. كان نصيبى أن يسقط أحد زملائى على جسدى فما وقعت رصاصتهم فى مقتل .. وإنما أصابت مواضع أخرى .. ورحت فى غيبوبة لحظية لم أفق معها إلا وقد انتهى المشهد المأسوى الحزين.. زملائى القادة والجنود نالوا جميعاً الشهادة .. ومازالت أنفاسى تتصاعد وحاولت قدر طاقتى بما تبقى لى من حركة أن أزحف لألتمس النجدة وابتعد قليلاً عن الدماء الذكية التى غطت مساحة كبيرة من ساحة سريتى .. وكنت أغيب عن الوعى لسويعات .. وافيق للحظات حتى أدركتنى أنت وأنا على هذه الحالة المتهالكة.

وناشده شوقى أن يتماسك وليشير عليه كيف يساعده .. ويوجهه فى محاولة أخيرة لانقاذه .. لكن مقاتلنا قد أصبح على مشارف المحطة الأخيرة.. زاغت عيناه .. وسكنت خلاياه .. وانخفض نبضه .. وسارت فى جسده زرقة داكنة .. وفى جسمه برودة خامدة .. وقال لشوقى كلماته الأخيرة قبل أن يلفظ انفاسه اللاهثة أوصيك أن تخبر أمى بنبأ

استشهادى حتى لاتنتظرنى طويلاً مع أطفـالى وزوجتى .. فأنا من قرية عين غصين بالاسماعيلية واسمى محمد النحال كما أناشدك أن توارينى التراب حتى لايكون جسـدى نهباً للسباع والضبـاع والجوارح.. أنا أعلم انك متهالك من فرط التعب .. لكننى لى عليك بعض الحق .. فربما عاونك الله فى محنتك القـادمة .. وأنجـاك من المهـالك التاليـة التى لابـد لك من عناية ربانية على مـواجهتها .. وان تمنحك السماء التوفيق لتساعدك على اجتيازهـا .. وماهـى إلا لحيظات قليلة استغلهـا شوقـى فى أن استلهمه نطق الشهادتين فنطقهما الشهيد بصعوبة بالغة وفاضت روحه الطاهرة لتصعد إلى بارئهـا فى هدوء وتنهى بذلك قصة بطولة لـرجل شارك بقدر فى معركة بلاده ولم يكتب له البقاء حتى بعد أن آثر هو ورفاقه السلامة على الاستمـرار فى المقـاومـة .. رحمك الله يـا نحـال وألهم ذويك وأهلك الصبر على فراقك.

تحجرت الـدموع فى مقلتى شـوقى .. لم يكن محمد النحـال هو أول الشهداء الذين سقطوا خلال الأيام القليلـة التى مضت منذ بداية المعركة فى التـاسعة من صبـاح الخامس من يونيـو .. وبالتأكيـد أنه لن يكـون آخرهم .. فربما سقط زمـلاء غيره خلال الساعات القـادمة .. ان اليهود بين ظهرانينا ونحن وسطهم وبينهم وأمامهم .. أصبحـوا خلفنا.. جاسوا خلال الطـرق وعاثـوا من خلال المدقـات الممهدة ليقطعـوا شبه جـزيرة سيناء طـولا وعرضا .. أصبح جيش مصر بقـايا جيش.. بل هـو اطلال جيش ، رفـات مقاومـات قليلة وصغيرة ليس لها أى قبل أو مقـدرة على المقاومـة واليهود يعلمون أن الانسـان المصرى لاييأس ولاتخور قواه .. وإنما هى محطات يحاول فيها التقاط أنفاسه ليعيد تجميع قواه وتنظيم قـدرته ويبـدأ من جـديد .. ولـذلك فهم لن يفـرطوا فى تـدمير مقاومتـه الـداخليـة وبعثـرة قـدراتـه الذاتيـة .. ولن يتركـوه إلا جثثـا متهـالكـة لاتستطيع البداية من جديد.

لم يضـع شـوقى وقتا وتخلص من السحـابة الفكـرية الداكنـة التى أظلت سماءه لفترة قصيرة وبـدأ فى تنفيـذ الشـق التـالى من وصيـة

صـاحبـه.. من يدرى أيستطيع تنفيـذ شقهـا الأول أم يبحث عن ثـالث لتنفيذ الوصيتين؟ .. أخذ شـوقى من خلال بعض العبرات الساخنة التى طفرت من مقلتيه فى جمع بعض الأحجـار وحفر بعض سنتيمترات بطول الشهيد النحـال ثم حمله بين ذراعيه وأنـزله فى مثواه الأخير بعـد أن قرأ عليه بعض الآيات وغطى جسده الطاهر بالأحجار والرمال.

ترى أيقص على زمـلائه النائمين قصة الشهيـد النحال ويخبرهم بما سمع وشاهـد.. أم يصمت حتى لاتسرى فى نفوس زمـلائه روح التسليم والاستسـلام؟.. ان هـذه الـروح الانهزاميـة لم تصبهم للحظـة منـذ أن تجمعوا على الميول الأمامية لجبل لبنى عقب انتهاء معركتهم السريعة مع اليهـود.. لكن مع استمـرارهم فى مواجهـة تلك الأهـوال ربما تسربت الى نفـوسهم واجتاحت عـزائمهم.. حمد شوقى الله على أن أحـدا من رفاقـه لم يستيقظ ويتابع هذا المشهد المأساوى وعاد ادراجه اليهم وتمم عليهم جميعا، يغطون فى نـوم عميق.. إنهم جميعا يستسلمون لمنـامات وأحلام يتخيلـون فيهـا ان الله منجيهم من هــذا المأزق وبـاسط عليهم رحمتـه وعنـايته لاجتيـاز تلك المهالك.. وفى هـدوء أسند شـوقى ظهره على أحـد الأحجـار واستسلم لحالـة من الكمــون وأطلق لخيـالـه العنـان ليجتر ماشـاهده فى الـدقائق القليلـة الماضية.. ولم يستطع ان يحبس زفـراته ولا أناته وراح يـذرف دموعا غزيـرة ساخنة متأثرا بفقـد أسرع صديق صادفه فى حيـاته لم تدم صداقتهما سوى دقائق معـدودة.. ورغم حالة الحزن والقتامة التى شملته فى تلك اللحظات فقد قرر ألايخبر رفاقه بأى شىء.. وكفاه هو ما ناله مـن دمار معنوى وتوتر نفسى.. وليترك الأمور على الله يصرفها كيف يشاء.

حب .. وحرب !!

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الأفعى

استيقظ الرفـاق فزعين من سباتهم الـذى طال لعدة ساعـات بعد أن هـدهم الارهاق ونـال منهم التعب على صوت فحيح عـال لأحد الأفـاعى الشرسة وهى فى وضع ماقبل الهجوم على فريستها وبسرعة عاجلها أمير السبكى بضربـة قوية مـن دبشك أحد البنادق فـأفقدها تـوازنها وظلت تتلوى تحتـه .. كان أمير مستعداً للتعـامل مع هذه الضـوارى من خلال خـدمتـه لبعض الوقت بـوحـدات الصـاعقـة بانشـاص قبل انضمامـه لصفـوف الكتيبة .. وبمهـارة فصل سنكى البندقيـة وقطع رأس الأفعى وكأنه يذبحها كما يذبح الطاهى الـدجاجات .. ثم غرز فى جسدها البدين (الحربى) وهو عبارة عن سيخ طويل بطول مـاسورة البندقية يستخدم فى تنظيفها من الغبار العـالق بها بعد اجراء الرمايـة سواء فى التدريب أو القتـال .. هبوا أيها الـرجـال لقد رزقنـا الله بوجبـة دسمـة تسد رمقنـا وتعوضنا مافقدنا .. والتفت المجمـوعة حول أمير وهو يقوم بشى الأفعى على النيران وتلذذوا بسماع صوت حبـات الدهن وهى تسقط من الأفعى على النيران فتحدث نغماً طـرياً على آذانهم يمنيهم بقـرب تناولهم لجانب من الطعـام الآدمى الذى حـرموا منـه لعدة أيـام منذ ليلـة الخامس من يونيو وحتى فجر السابع من هـذا الشهر.. قسموا الأفعى بعد شيها على أنفسهم وحمدوا الله..

اعتدل صــلاح فى جلسته فى مـواجهة الـرفاق .. وبعـد أن هنأهم على طعامهم الذى لم يجدوا له بعض قطـرات المياه ليرووا ظمأهم بها .. قال لابد من استشارتكم قبل اتخاذ القرار الصعب الذى نحن بصدده .. ماذا تظنـون أن نفعل بأنفسنـا ؟ وأردف قـائلا وكـان سـؤالـه الـذى ألقـاه لم يهدف منه سـوى جذب انتبـاههم فقط .. لم يبق أمامنـا مناص غير قطع سيناء بـالطول فى اتجاه القناة إذا أردنا الحيـاة والاستمرار .. وهو مشوار طـويل وشاق وإذا علمناأننا سنقطعـه سيرا فى الفيافى وليس على الطرق الممهـدة .. كما اننا سنسير حفـاة بعد أن نتخلص من الحذاء ذى الرقبة الطويلة «الفيلد بـوت» الذى يميز بين هيئة الضباط والجنود لكى لانعرض أنفسنـا للأسر .. وجـاء صمتهم ايماء على موافقتهم لمقترحـاته إذن فليكمل تعليماته : إن علينا أن نسير بمحـاذاة الطريق الشمالى الذى يربط بين مدينتى العريش والقنطـرة ومسافته تقترب من مائتى كيلومتر ستـزيد هـذه المسافـة طبعـاً إذا كان تحركنـا داخل الصحراء وتسلمنـا التباب إلى بعضها فتضـاعف ماتقطعه من أمتار .. لكـن هذا أهون بكثير إذا كان سيـوفر لنا الحمايـة من نيران ومواجهة العـدو الذى يسعى إلى أسر من يواجهه من ضباط واستغل صــلاح انصات الجميع له فى تكملة تعليماته .. قبل أن نبدأ فى السير لابد أن نعرف مهامنا خلاله.

القيادة الفعلية ستكون لهمام بحكم درايتـه وخبرته بعمليات الملاحة البرية الليلية واستخدامه لمعداتها كالبوصلة مثلا .. ومن ثم فعليه التقدم أمـام المجموعـة ومعه فى معـاونته الـرقيب عبدالخالق والجنـدى زكى .. بقية الرجـال يسيرون مثنى وثلاثا دون أن يسمحوا للمسـافة بينهم أن تزيد عن عدة أمتار حتى لانفقد ترابطنا أمام المواقف المفاجئة..

شوقى سيتولى مهمـة العلاقات العامة فى التعامل مع العـربان الذين ربما لاقيناهم فى الطـريق أما أمير فسيقوم بـالمهام الصعبـة التى ترتبط بالقتال كالتعامل بالنيران مـع أفراد اليهود المترجلين أو حماية المجموعة ضد الحيـوانات المفترسة وسيقـوم رستم بتناوب المهـمة معه.. لم ينس صــلاح فى نهاية تعليماتـه أن يصدر أمـراً بـالتخلص من «الفيلد بـوت»

وكذلك تبـديل الملابس الداخليـة مع زملائهم الجنـود إمعانـا فى عمليات التمويه ومحاكاة الجنود فى هيئتهم تفادياً للأسر.

قذف شوقى حـذاءه وكاد يبكيه ألما وحسرة حيث تذكره بزميلـه جابر الذى تطوع وقام بصنعـه له عمولة فى مدينة فـايد التى اشتهرت بصنع هذه الأحـذية الخاصـة بالضبـاط من مواد خـام تتوافـر لهم من بقـايا كـاوتش الطـائرات المنتشرة فى كبريت وكسفريت والاسماعيليـة .. تـرى ما مصير زميلهم جابر .. لابد أنـه لقى المصير المحتوم ونال الشـهادة .. إنه كـان على وشك الارتباط بحبيبته التى ظل يعـاهدها على الـزواج منذ تخرجا معـاً من معهد التربية الـرياضية بالاسكنـدرية والزهـرية .. لكن الجندية أوقعته فى الخدمة بالكتيبة وأخـرته عن الوفاء بوعده مع حبيبته ريثما يستعد لذلك.. لكن ياصلاح أنا أستأذنك فى عدم تبديل ثيابى برغم تـرحيب فـرغلى بـذلك .. أنـا لاأستطيع أن ارتـدى ثيـاب أحـد حتى لو عرضنى هذا للأسر قالها شـوقى وكأنه يرجو صلاح الا يعترض على رغبته لأنه لن ينفذ أوامر تبديل الثياب.

كانت العـلاقة بينهما وطيـدة تعود لعدة سنـوات أمضوهـا فى رباط وثيق .. وكان أقرب النـاس إلى قلبه بعد همام الذى كـان من دفعته لأنه تخلف عن التخرج مع صلاح بسبب تقصيره فى الدورة النهائية بالكلية.. وجـاء رد صلاح معبراً عن الاشفـاق الذى لم يكتف بـالسير على ساقـه العـاجزة قـرابـة المائة كيلـومتر .. بل هو يستعـد الآن لقطع ضعفهـا .. فليمنحه الله التوفيق ولنسـاعده على مواجهة هذه المهمـة الشاقة ونخفف عنه بعض أعبائه إذا كان هذا بالمستطـاع .. لك ما تريد ياشوقى ولاعليك حتى من التخلص من الفيلـد بـوت إذا كان سيسـاعـدك على السير لكن شوقى كان أكثر المستفيدين من إلقاء الحذاء الذى كان يصعب من مهمة نقل ساقـه فى كل خطوة يخطوهـا وليكتفى بلبس الجورب حتى لاتتورم أقدامـه بفعل الاحتكاك والتأثر بحبات الـرمل خاصة وقت القيلـولة التى تصبح فيها الـرمال وكأنها جمرات حـارقة تشوى وتلفح الجلـد بلهيبها وحرارتها العالية.

قبل أن تبدأ القـافلة فى السير تذكـر شوقى أول عقاب تـوقع عليه فى الكلية الحربية وهو طالب مستجـد .. لم يكن الوحيد فى تنفيذ العقاب بل شاركه فيه كل زملائه فى المحاضرة .. كانوا ينصتون باصغاء إلى النقيب محمد عبدالرازق زهرة مـدرس مادة التكتيك .. وكانت المحاضرة تتحدث عن الفصيلة المشاة فى المعركة الدفاعية .. أفاض المحاضر فى شرح الدرس ثم اضطـر للخـروج عن بنوده لـلاجـابـة على أحد الأسئلـة .. وقـال فى معرض اجابته إنه كان لـه الشرف فى المشاركة فى حرب ستة وخمسين .. وإنه قطع مسـافة مـائة وخمسين كيلو مترا بين أبوعجيلـة والاسماعيلية سيراً على الأقدام ... وهنـا صدر عنا صوت ونحن نكتم ضحكنـا بعد أن تخيلنا أن الرجل بالغ فى ذكرياته .. ولم يكن من النقيب زهرة سوى أن منحنـا جميعاً طـابور زيـادة أداره بنفسه وأضـاف إليه بعض صنـوف العقاب أمثال العـدو والزحف وغير ذلك من أمور «عكننة» عهدنـاها بعد ذلك فى طوابير الـزيادة بـالكلية .. لم يكن النقيب زهـرة يبالغ .. ولم يقم بتقليـد خفيف الظل أبولمعـة .. وإنما نقل الينا خبرتـه الفعلية وتجربتـه الشخصيـة لكننـا فى هذه السـن كنا غير مـؤهلين لتلقى أيـة خبرات قـد تعرضنـا للعقاب .. أمـا الآن وبعد أن قطعنا فى أول وثبـة من جبل لبنى للعـريش مائة كيلـومتر .. ومن يعـرف كم ستكـون المسافـة التى نحن بصـدد قطعهـا الآن .. والمدة التى سنستغرقهـا فيهـا .. والأهـوال التى سنـواجهها وهل يكتب الله لنـا النجـاة أم سنلقى الشهادة وننعم بجنـة الخلد مع الصديقين. فلنتـوجه إلى الله بالدعـاء أن يجنبنا الأسر واخطاره ويبعدنا عنه ويبعده عنا لأن مانعرفه عنه يجعله فى المرتبة الأولى من بين أسوأ ماقد يلقاه المقاتل خصوصاً إذا كان الطرف الآخر من اليهود الذين لايعرفون المواثيق ولايعترفون بـالعهود ولايرعون الضمائر ولايحافظون على الانسانيات ولايعبأون بالذاتية والكرامة الشخصية..

تقدم همام الـرفاق وقـال وهو يبـذل بعض الجهد ليصل صـوته إلى أسماع كل الجنود ربط الاتجاه على البـوصلة وسأهتـدى فى قيادتى لكن ببعض المجموعات النجمية أمثال مجمـوعة كاثيوبيا والدب الأكبر ولهما

أشكال مميـزة يمكن لكم تمييزها بـوضوح .. وكنوع من أنـواع التسرية قال همام: كـاثيوبيـا يارفاق تتكـون من خمسة نجـوم على شكل حرف دبلو بالانجليزية أمـا الدب الأكبر فهى تتكون من سبعة نجوم على شكل يقترب من شكل المغـرفـة التى تستعملهـا ربة المنـزل فى طهيهـا.. وبين الاثنتين ارتبـاط ومع شيء بسيط من الحســابـات يمكن أن نستـوضح منهما اتجاه الشمال عن طريق الاهتداء للنجم القطبى وهـو أكثر النجوم تألقاً واضاءة عن كل مـاحوله وإذا عرفنـا اتجاه الشمال أمكن لنا تمييز بقية الاتجاهات ومن ثم تحديد اتجاهنا بدقة وسهولة.

ورغم أن همام كان يشرح درس الملاحة البريـة من قبيل التسرية على الرفـاق بعد حالة الاحبـاط التى انتابتهم لسقوط العريش فى أيـد اليهود واتخاذهم لها كقاعـدة ادارية لامداد قـواتهم الغازيـة غير أن الجنود بل وأمير ورستم ظلوا يتنـاقشون فى أين حـرف دبلو ؟ وأين هما الـدليلتان أقرب النجـوم إلى اتجاه الشمال هذا هو النجـم القطبى لا لا يارستم انت مش عارف .. فيه أكثر من نجم يشبهه فى شدة الاضاءة.. واضطر همام لإصلاح ذات البين ، لاعليكم ايها الـرفاق فى عمليـة تحديد اتجاه الشمال أو التعرف على النجم القطبى إنها أمور تخصصية ذكرتها لكم لاطمئنكم على قيادتى لكم خلال سويعات الليل التى نقطع خلالها عدة كيلو مترات وسط ديـاجير الظـلام .. الصحـراء فى العتمـة تبـدو وكأنها بحـر لجى لانهاية له تقذفنـا التباب بينها وتفرض علينا نوعـا من التيه لو لم ننتبه لـه بقواعـد الملاحة البريـة لواجهنـا فقد الاتجاه ومن ثم قمنـا بالـدوار والالتفاف حول أنفسنا دون انجاز أو تقدم.

بـدأت المجموعـة السير حـوالى الثانيـة من صباح ليلة السـابع من يـونيـو.. وكما أفهمهم همام خبير الملاحـــة الليلـة أنهم سيتخـذون من النجمتين المعروفتين باسم الدليلتين هاديـا لهم لمعرفة اتجاههم .. أما هو فسيطابـق ذلك على الاتجاه الذى ربطـه على بوصلته .. ومـاعليهم إلا أن يجدوا فى السير ولايتهـاونـــوا فى ذلك خـاصـــة فى ســاعـــات الليل التى لا يتعـرضـون خلالها للعطـش بفعل حرارة الشمـس المحرقـة فى هـذا

الفصل من العــام .. إن قيظ حــرارة يـونيـو أفقـدهم كثيراً من مخزون أجســادهم ومع كل معانــاتهم فلم يكن بـوسعهم التوقف . لأن التـوقف معناه الفناء.. وكم اصطدمت اقدامهم بـاشلاء الضحايا وجثث الشهداء ، بعضهم مات بـالنيران التى أصابته مـن اليهود أما الجانب الآخـر فكان فناؤه بفعل الجوع والعطش.

آه .. قالها همام بصوت عال .. اندفع صــلاح إليه وكان أقرب الرفاق منه .. مــاذا بك ياهمام اطمئن يـاصلاح اطمئن ليس بـى مكروه.. وانما انفلتت آهــاتى تحذركم من الـوقوع فى حقـل الغام للمشــاه .. واستفسر صــلاح كيف استنتجت ذلك .. إن أمامـى سلك اعصار يـربط بين لغمين لو اننى مـذقته بقدمى لانفجـر اللغمان وامسكنا العدو القـريب منا كما يمسك الفئران .. إن هذه المنطقة لابد أن تكون حيوية.. ولذلك قام العدو بنثر بعض الألغـام بطريقة مبعثرة اعتمادا على آنـه لايطأ المنطقة إلا على الجنزير ولاخـوف على رجاله من ألغام المشاه. ومــاالعمل؟ .. قال صــلاح وكأنه يستشير زميلـه بصوت هامـس .. ولما تأخرت اجابـة همام .. قال صلاح بشىء من الحسم .. أمير ان الأمـر بيدك.. عليك أن تكـون عيون المجموعـة خلال عبورها لحقل الألغـام ستقوم باستخدام أحـد السناكى الموجودة بالبنادق الآليـة بجس الأرض قبل أن تخطو أى خطوة وستعبر المجموعـة خلفك وعلى نفس موقع أقـدامك ، كان من السـهـولة أن أكلف أحـد الجنود بـالمهمـة لكن اختيـارى لك يأتى من احســاسى بجسامـة المسئوليـة.. نحن جميعا أمــانة فى عنقك.. قــالها صلاح وهـو يحفز أمير للقيام بهذه المهمة الصعبة .. تعاظمت ثقة أمير بنفسه بعد أن شعر بأنه عيـون المجموعـة وانه قــائدها حتى ولـو جاء ذلك بسبب حقل الألغــام العشوائى الذى ربما لجأ إليه العدو ليتلقى انـذارا مبكرا بدخول أى فرد منطقة دبــاباتـه التى تمركزت بــالليل فى راحــة قصيرة سرعان مــاتعاود بعدها القيام بمهامها القتالية.

هكذا عـرفنا من أسلوبهم فى القتال.. ظلت المجمـوعة تسير خلف أمير السبكى ببطء شديـد وبحذر أشد حتى لايقعوا فى المحظـور .. كانت كل

خطـوة لأمير تمثل الخطر بعينـه .. كانـوا يعبرون جسراً ضيقاً يتجسـد الموت من خـلاله ويكمن على ضفتيـه ربما تمزق سلك الاعصار فى هـذه الخطـوة أو لنفترض أن أمير لم يلمح هذا السلك الـرفيع فى هذه العتمـة القاتمة .. هذا الظـلام الدامس الذى يضاعف مـن الاخطار ربما اصطدم بلغم مباشر ، انها الطامة الكبرى فبالاضافة إلى اصابة أمير وبقية الرفاق اصابات متفاوتة .. يستطيع اليهـود أن يأسروهم دون معاناة وظلوا على حالهم هـذا نحو الساعتين أو يـزيد لم يدر الـرفاق كم قطعـوا فيها من مسافة لكنهم فقط كانوا فى قمة يقظتهم وحذرهم تخوفا من الألغام التى طالما قـرأوا وسمعوا عن اصابتها الكثير .. لقـد جاءت اصابـات زملائهم الضباط القدامى باليمن من هذه الألغام الملعونة.. ان شظيتها قادرة على هتك أنسجة العضـلات والنفاذ من عظمة الجمجمة والاستقـرار فى عظام العمود الفقـرى وقطع النخاع وهم وسط هـذه التخيلات الكئيبـة سمعوا همساً يحذرهم من أن حقل الألغام قد انتهى لكنه اسلمهم لمنطقة تمركز دبابـات اليهود .. التفت أمير السبكى سـائلا النقيب صلاح عن التصرف هل يظل على جسه لـلأرض وبالرغم من تأكـده بانتهاء مساحـة الألغام من خلال عدم وجود أى أسـلاك اعصار أو الغام واضحة فوق الأرض.. إن لغم المشـاه يختلف عما عداه من ألغـام .. لغم المشـاه لابد أن يظهـر بكـامله فـوق الأرض حتى إذا مـا انفجر انتشرت شظـايـاه فى مساحـة نصف قطـرهـا يزيـد عن عشرة أمتـار لتصيب كل من فيهـا .. أمـا لغم الدبـابات فإنه يـدفن تحت الأرض ويحتاج لضغـوط كبيرة حتى ينفجر ولايـوجـد بينـه وبين الألغام الأخـرى أى ارتبـاط كأسـلاك أعصـار أو خلافه.. كان صلاح يقلب معلومات مـادة هندسة الميدان فى رأسه عندما استحثـه أمير مستفسراً مرة أخـرى ما العمل يـانقيب صلاح ؟ .. أفـاق صـلاح من شروده وقال لـلرفـاق علينا أن نعبر منطقـة دبـابات العـدو هرولا وبأسرع مايمكن لكن شريطة ألا يحدث أى صوت خلال الهرولة.. كما اننا يجب الا نبعـد فى عدونا حتى لانتعـرض لفقد أحد زمـلائنا وإذا لم يستطع شـوقى أن يجرى على سـاقـه المعتلـة فليتحـامل على نفسـه

وليتخلف قليلاً عن الـركب وسنقوم بانتظاره بمجرد أن نفـرغ من عبور المنطقـة التى يجب أن نعبرها ليـلاً تحت سـاتـر الظلام حتى لانتعـرض لهجمات اليهود نهاراً .. قـالها وبدأ فى الجرى والمجمـوعة خلفـه وشوقى يقفز على ساق واحدة خلفهم جميعاً .. شـد حيلك ياأبوالشوق .. لايمكن أن تتخلف عن الـركب بسبب سـاقك العليلـة ، قـالها أمير وهو يسـانـد شوقى فى جريـه.. فلتذهبا أيها الصديقان .. قالها شـوقى وهو يكافح فى الجرى على سـاق واحدة .. واستحث أمير ورستم فى تـركه لكنهما عقـدا عهداً ألا يتركاه حتى ولـو كان المقابل مواجهة ثـلاثتهم للشهادة .. وبعد فترة من العدو جرب شوقى أن يجرى على سـاقيه بعد أن أرهقه الجرى بسـاق واحـدة ولم يعـرف حتى الآن كيف سـاعـده الله على ذلك وكيف استجابت ساقه لمحاولة النفـاذ من الخطر المحدق بهم .. جرى .. وجرى كما لم يجر فى حياته وكـأنه فى سباق لألعاب القـوى والعدو مائة متر .. هكذا يعين الله الانسـان لحظة الخطـر .. هكذا يمـده الله بمدد مـن عنده لمجابهة الظـروف الصعبة التـى يمر بها .. هكـذا شاء الله للمجمـوعة أن تعبر منطقـة الدبـابـات خلال السـاعـات الأخيرة من الليل كان اليهـود خلالها فى سبـات كامل أو هكـذا تخيلوا .. ومع ذلك لم يصـدر الأمر من صلاح بالترجل .. إنهم مايزالون يحتفظون ببعض لياقتهم وقدرتهم على مواصلـة الجرى بطريقـة اختراق الضاحية لعـدة كيلو مترات متـواصلة لم ينسوا بعـد يوم أن كـانوا يجرون أكثـر من عشرة كيلـومترات مابين مدينة انشاص وقـرية الزوامل خلال فرقة الصـاعقة التى حصلوا عليها بعـد تخرجهم من الكلية .. أراد صـلاح أن يتأكـد من ابتعـاد المجموعـة تماماً عن حفـر تمركز دبـابات العدو لابـد أنها منطقة مهمـة .. لابد أن يخرجـوا تماماً عن نطـاقها .. لأنـه لايضمن ماذا سيكـون لوطلع علينـا النهار ونحن بالقرب منها .. الحيطـة واجبة لكن الرفاق مجهدون وأخيرا أصدر تعليماتـه بالترجل بعـد زهاء خمسة كيلـو مترات قطعها الـرجال دون توقف .. ولم يكفـوا عن السير حتى مطلع الفجر وحتى بعـد انبلاج الصبح وانحسار الظلام ومـع توارى عتمة الليل تدريجيا ظـل الرفاق فى

مسيرتهم دون أى تغيير فيما عـدا اعتماد همام على البـوصلة بطـريقـة مكثفة نظراً لاختفاء النجوم.

تنفس الرجـال الصعداء .. وكأن صدورهم قد انـزاح من عليها شبح ظل جاسما فوقهـا عدة ساعات تضافـرت عليهم بعض العوامل كل منها كفيل بـاحـداث هـذا التأثير فعلاوة على الجوع الشـديـد والظمأ القـاتل ورهبة الظلمـة الموحشة التى تحيل الهيئات إلى اشبـاح والخوف والفزع من السير فى حقل الألغام .. تأتى بعـد كل هذا دبـابات اليهود الـرابضة بجوار خط سيرهم ولو أن أحد جنودهـا استيقظ لقضاء حاجته لكان فى مقدوره أن يحصدهم بنيران رشاشه أو حتى بندقيته إذا لم يرد بذل أى جهد فى أسرهم والاحتفاظ بهم والتفنن فى تعذيبهم.

حب .. وحرب ٩

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الناقة الجموح

الناقة الجموح

انبلج الصباح وأشرق النهار بنوره ليخفى بين طياته مشاعر الخوف والرهبة التى انتابت الرجال لفترة .. ويدفع بينهم بعض الثقة المفقودة انهم وسط بحر من الصحراء لم يعد هناك مايمكن تمييزه.. التلال أشبه بعضها البعض .. الروابى الصفر لاتنتهى .. الوهاد فى المكان وتسيطر على الساحة .. الرمال الصفراء تعكس ذراتها أشعة الشمس فترتد على المآقى وتجبرها على الخفوت .. تهكم الرفاق من مقولة شوقى التى استأذن صلاح فى ترديدها عليهم بضرورة وضع زلطة صغيرة أسفل اللسان لاستثارة الغدد اللعابية وتحفيزها على الادرار.. كان قد سمع هذا الدرس المستفاد من النقيب زهرة مدرسه فى الكلية الحربية وصاحب التجربة السابقة فى السير بطول صحراء سيناء لكنهم استخفوا بالكلام ولم يحفلوا بتنفيذه .. فلم يكن الظمأ قد بلغ بهم مبلغه بعد ولم يكن العطش قد تمكن منهم أو أضناهم .. فمازالت الساعة لم تتعد التاسعة صباحاً .. ورغم اشراقة الشمس فلاتزال أشعتها لاتلهب ظهورهم بحرارتها وكأنها قررت أن تحنو عليهم رفقاً بهم وحزناً عليهم وتأثرا وتحالفا معهم بعد ما صادفوه من مآس وماحاق بهم من أخطار.. كانوا يعلمون مقدرتهم على تحمل الجوع لأكثر من خمسة أيام.. ولا تزال آثار الوجبة الدسمة التى تناولوها متمثلة فى

الحية المشوية التى قام أمير بتوزيعها بعد شيها يسرى فى عروقهم ويمدهم ببعض القوة وان كان تأثيرها قد ضعف لكنهم لايقدرون على تحمل العطش لأكثر من ثلاثة أيام فقط..

وهاهو النهار الثالث الذى مر عليهم دون أن يرووا ظمأهم باستثناء قطرات قليلة قام شوقى بتوزيعها عليهم من خلال غطاء أحد الزمازم ومع مرور الوقت ومع تعرضهم لأشعة الشمس ومع استنزاف العرق لمخزون المياه فى الجسم أحسوا بالظمأ وبدأت حرارة الرمال تكوى جلود أقدامهم وتنعكس الأمور على قدرتهم على الاستمرار فتقل معدلات سيرهم وتتباطأ خطاويهم وتتثاقل أقدامهم.. ويتوجهون إلى صلاح يناشدونه التوقف ولو لثوان معدودة يلتقطون فيها أنفاسهم .. ويستعيدون تماسكهم .. ويلملمون شتاتهم .. كانوا يخشون من التوقف الذى قد يسلمهم إلى الموت جوعا وعطشا .. كما أنهم يعانون من الاستمرار فى السير لأكثر من عشر ساعات متصلة.. قوتهم أنهكت وقدراتهم خارت .. لابأس إذن فلنسترح قليلاً .. ولعلنا نستطيع خلال راحتنا أن نعمل فكرنا فى خطواتنا التالية بعد أن اعيتنا الحيل وضاقت أمامنا السبل وسدت المنافذ .. إن الحلقات تضيق والأمور تتعقد والأحوال تزداد تعثراً لكن نحن مؤمنون وليس أمامنا سوى التعلق بالأمل والتمسك بالثقة فى معاونة الله لنا .. قال صلاح هذه الكلمات وكأنه يواسى نفسه قبل أن يحفز الرفاق.

توسطت الشمس كبد السماء ولفحت أشعتها الحارقة وجوه الرفاق فتبللت عرقاً ، تلفتوا حولهم لاهم قادرون على استئناف السير وهم على هذه الحالة المتهالكة .. ولاقانعون بالاستسلام للموت بعد أن قاوموه فى أقوى صورة متمثلاً فى نيران اليهود ودباباته والغامه لكن حركتهم أصبحت عزيزة وركونهم وخلودهم للسبات أصبح لامفر منه وحتى هذا بات ترفيها غير متاح فالحرارة الشديدة حولت جلستهم فى العراء وكأنهم داخل فرن غير مسقوف ، أشعة الشمس تشوى جباههم وجلودهم والعرق يتفصد بغزارة من مسامهم .. بلغ بهم الظمأ مبلغه

باتوا يحلمون بقطرات قليلة من الماء ويعرضون مقابلها أى ثمن حتى ولو كانت حياتهم إلى أى حد صارت الحياة رخيصة ، إلى مدى أصبح الأمل ضعيفا وهم على حالهم هذا .. عبث رستم فى الرمال بسنكى بندقيته وتخرج الرمال من الحفرة رطبة ذات لون داكن ، تخيل رستم أن الماء ممكن ان ينفجر من بين يديه وهو يحفر حفرته المتواضعة ولِمَ لا؟

صحيح أننا فى غير أوقات المعجزات.. لكن قد يبعث الله الماء كما فجرها من تحت قدم سيدنا إسماعيل إذا أراد لنا النجاة فنحن عباده.. وهو عادل.. ولا يمكن لعدله أن يتجاوز عبادة الظمآنين..

أخذ رستم يهذى بهذه الكلمات تحت وطأة المعاناة والظمأ ، لم يكتف بهذا بل صاح فى رفاقه أيها الرفاق سيفجر الله المياه من بين أصابعى لِمَ لا.. لقد ألهمنى الله بالحفر والنتائج مشجعة ومبشرة لاعليكم إلا أن تتحلقوا حولى لتنهلوا من النبع المتفجر.. هم يبكى وهم يضحك.. قالها همام فى سره وهو يستمع لنداءات رستم أمعقول مايردده رستم.. نحن قابعون على ربوة عالية من الرمال.. يسمونها بلغة الجندية غرود أى أنها متكونة وزميلاتها من التباب والهضاب من الرمال المتحركة بفعل الرياح أيمكن أن يكون تحت هذه الغرود الرملية ينابيع مياه.. إن المياه لاتظهر فى باطن الصحراء إلا على مسافات بعيدة من الأعماق فكيف يتسنى لسنكى رستم أن يحفر مثل هذه الأعماق، طبيعى أن تكون الرمال الخارجة من الحفرة أكثر رطوبة وأحلك لونا.. إن القشرة العليا منها تزداد اصفرارا وجفافا بفعل لهيب الشمس المحرق أما الطبقات التالية فتكون ذات لون أعمق فهل معنى هذا وجود مياه؟

قال هذا همام ولم يتباطأ عن تلبية نداء رستم حتى لايقال عنه إنه متقاعس.. ولقد كان أكثر من فى المجموعة إرهاقا وتعبا كان أكبرهم سنا رغم عدم بدانته بالإضافة إلى كونه ممن يطلقون عليهم ابن ناس فجده باشا ساحل سليم الذى تقلد مقعد رئاسة الوزراء فى الأربعينيات كما أنه أول دفعته فى الكلية الحربية فظل ينعم برتبة المساعد طوال وجوده

فى آخر سنة بالكلية وهى رتبة تمنح حاملها بعض الحقوق التى لايحصل عليها زملاؤه ومع كل هذا كان همام من أكثر الناس التزاما وانضباطا وانصياعا لتعليمات قائد المجموعة زميله ودفعته النقيب صلاح.. لم يفتأ رستم يحفر وهو متأكد أن الميه ستنفجر من بين أصابعه والرفاق ملتفون حوله حتى خرج سنكيه وعليه آثار الانثناء اصطدم عدة مرات بصخور مختفية أسفل الرمال ولما حاول الابتعاد عنها عاود الاصطدام بها فأيقن أنه لا أمل واضطر لإعلان فشله الذى توقعه الجميع قبل المراحل النهائية من عملية الحفر المزعومة.

جلس الرفاق حول حفرة رستم فى حالة من الاسترخاء الذهنى.. لم يصبهم الإحباط لأن المياه لم تنفجر من أصابعه فهم متأكدون أن الوقت ليس وقت معجزات لكنهم أدركوا من تعلقهم بأهداب الأمل الواهى كم هم يعانون؟.. وكيف نال منهم الإرهاق؟ وإلى أى مدى يخشون على أنفسهم من شبح الهلاك.. إنهم قاب قوسين أو أدنى من الموت عطشا. أشعة الشمس تلفح جباههم وظهورهم فتسقط عليهم كأنها سياط من نار لا يجدون معها ملجأ ولا يفلحون فى الهروب منها أوتفاديها.. خارت قواهم ونفدت مقاومتهم ونضب مخزون المياه فى أجسادهم ولم يبق لهم سوى جانب من عقلهم الذى لايزال تومض قريحته بفكرة من هنا وأخرى من هناك رافضا تماما فكرة الموت عطشا.. وكيف له أن يتقبلها وقد أنجاهم الله مما حاق بهم من أخطار تجاوزت بمراحل كثيرة هذا الشبح الجاثم على صدورهم والذى ألهب حلوقهم.

وهم على حالهم هذا لمح عبد الخالق حكمدار المدفع ناقه شاردة عن بعد فصاح ياالله لابد لهذه الناقة من أصحاب ولاشك أن لديهم بعض المؤن يمكننا أن نتزود بها لتعيننا على الحالة المتردية التى نحن عليها.. ورد عليه صلاح وكان أكثر خبرة ودراية بدروب الصحراء وأغوارها من خلال قراءته الكثيرة فى تاريخ المعارك خاصة، وقد كان متيما بروميل ثعلب الصحراء فى الحرب العالمية الثانية هذا الإعجاب الذى كان يحكيه لنا مدرس التاريخ العسكرى الرائد بهى الدين عبدالله ويقول أول مهمة

صعبة لمونتجمرى قائد قوات الحلفاء كانت كيفية نزع الإعجاب بروميل من نفوس مقاتليه كانوا يتابعون تحركاته بشغف ويستسلمون لأفكاره بضعف ويشيدون بخبرته ودرايته وكأنهم يشيدون بقائدهم وليس بعدوهم الأول بل الأوحد بعد هتلر.. تحدث صلاح بصوت يائس لكنه عميق ليس معنى وجود ناقة شاردة فى الصحراء ضرورة وجود أصحاب لها وما يتبع ذلك من كلأ وعشب ومياه - وغير ذلك من مظاهر الحياة فالنوق حيوان تشبه الغزلان والنمور وغيرها من الحيوانات التى تهيم على وجهها فى الصحراء دون أن يكون لها صاحب وهى تتغذى إما بالأعشاب النادرة أو حتى تعيش على تناول لحوم بعضها وعموما لابأس من مطاردتها واصطيادها.. لكن نصيحتى ألا نستخدم لحومها قبل أن نعبر بها شبح الموت الذى نتعرض له.. الموت عطشا .. إنها الآن طوق النجاة الذى يعبر بالمجموعة إلى الحياة بعد أن أشرفنا على الهلاك.. إن دماءها تروى الظمأ وتطفىء لهيب العطش.. قرأت ذلك فى يوميات رومل وبمجرد أن فرغ من مقولته إلا وسمع أمير وهو يحرك أجزاء البندقية ليأخذ أولى الطلقات فى ماسورتها ليستعد للإطلاق.. لا لا يا أمير لاتطلق نيرانا فلو أطلقنا النار على الناقة من هذه المسافة لسالت دماؤها ونفدت من عروقها على الرمال قبل أن ندركها وبهذا يتبدد الأمل ويخبو الرجاء.. مطلوب أن نقترب منها كلما أمكن حتى نستطيع ملء ولو زمزميه من هذه الدماء قبل أن تتجمد بفعل الحرارة وتختلط بالرمال.. وبدأ صلاح يعدو فى أثر الناقة وكلما اقتربت المجموعة منها كلما أمعنت هى فى الفرار وتركت لنفسها العنان ، ظلت المطاردة مستمرة بين الرجال والناقة عدة كيلومترات بغير هدى أو التزام بأى اتجاه أو الحرص على أى هدف.. لاشىء يربطهم بالحياة الآن إلا الوصول لهذه الناقة اللعينة التى تمثلت أمامهم بأنها الأمل الوحيد الباقى فى الحياة.. الظمأ يقتلهم والتعب هد قواهم وارهق أوصالهم.. ولم يبق أمامهم أى نوع من أنواع المقاومة سوى إيمانهم بالله وبقدرتهم على بعث الحياة من جديد فى نفوسهم بعد أن فرغت تماما من أجسادهم.

فلتذهب الناقة إلى الجحيم لايمكن أن تكون هذه الشيطانة طوق النجاة المزعوم.. لم تقل المسافة بيننا وبينها أبدا منذ أن بدأنا فى مطاردتها وكأنها دسيسة علينا لاستنزاف ماتبقى لنا من مقاومة وما بأجسادنا من حبات وقطرات مياه قليلة .

قال همام كلماته وأردف لم يبق أمامى أى طاقة تساعدنى على مطاردة تلك الملعونة حتى ولو كانت الحياة التى أنشدها لن تأتى إلا من خلال دمائها ولحومها.. أنا لا أصدق معلومة الدماء التى قلتها ياصلاح.. معذرة لك.. لكننى اضطررت أن أقولها تحت وطأة ماأعانيه من آلام وإسقام.. لاعليك ياهمام فأنا أعلم مابك.. وأضاف صلاح وكان للحقيقة يتذرع بصبر لاينضب وبحلم لايفرغ.. كان قد وطن نفسه على ألا يكون طرفا لخلاف بينه وبين أحد من الرفاق فكيف يدب الخلاف بينه وبين أقرب الناس إلى قلبه وأوثقهم صلة وأصدقهم علاقة.. ليس لنا فائدة من إثبات المعلومة التى قرأتها بمذكرات روميل عن حالة الارتواء التى تسببها دماء النوق للمقاتلين فى الصحراء فحتى هذه الدماء أصبحت عملية متعذرة وشبه مستحيلة وبدلا من أن نستنفد طاقتنا فى الجدال علينا أن نفكر فيما نحن مقدمون عليه أو حتى فى معالم الخطوة التالية مع هذا التعب الذى سيطر علينا وهذا الظمأ الذى شل قدرتنا.. خيم على أفراد المجموعة شبح الموت عطشا ، لهثت الأنفاس وجفت الحلوق ونحلت الأجساد ونضب معين المقاومة ودب الاستسلام واليأس، ولم يبق أمام الرفاق سوى أمرين.. إما السعى بلا هدف ولا إلى اتجاه عسى الله أن يبعث لهم بمعجزته وينقذهم من ورطتهم بعد أن عز البقاء وقلت فرصة الحياة.. وإما أن يقعدوا فى انتظار ملك الموت وليستهلكوا مابقى لهم من رمق فى حفر قبورهم بأيديهم وليتفقوا على أن يواروا الأجساد التى تقع الرمال حتى لايتبقى منهم إلا آخر موتاهم هو الذى لايجد من يتولى دفنه وحماية جسده من النسور والصقور الجارحة.

استمع الرفاق وهم فى أشد حالات الإحباط والإرهاق إلى مناقشة

جانبية بين الثلاثة الكبار.. نعم أصبحوا الثلاثة الكبار بعد أن أذاب التعب واليأس المسافات بينهم.. اقترب شوقى من صلاح وهمام أكثر وأكثر بعد أن تبينوا أنه الوحيد بالمجموعة الذى يحتفظ بقدرته الكاملة على إيجال الفكر وإمعان النظر فيما يطرح من اقتراحات، دنا صلاح من شوقى فى محاولة للاعتماد على فكره بعد أن فشل هو فى تنقيح الفكرة التى اقترحها همام وإدراك أبعادها ، اقترح همام أن يخالفوا الاتجاه الذى ربطوه على البوصلة ولينحرفوا يمينا بمقدار تسعين درجة كاملة وليمموا وجهتهم شطر البحر قاصدين مياهه حتى ولو كانت مالحة.. نعم لاتصلح للشرب للنسبة الكبيرة من الملوحة التى تتسم بها.. لكنها على الأقل قادرة على إعادة الحياة وإحداث التوازن المفقود فى خلايانا بعد أن فقدت معظم سائلها الأسموزى ، مارأيك ياشوقى قالها صلاح بصوت خافت حتى لاتضعف هيبته التى ظل محتفظا بها منذ أن نصبوه قائدا عليهم لكن مع مواجهة هذه المعوقات الصعبة أصبح من المتعذر عليه اتخاذ القرارات المصيرية وهو على هذا النحو من الضعف.

بدأ شوقى فى مناقشة همام بنفس الصوت الخفيض.. إذا سلمنا برأيك وبدأنا فى تنفيذه بصفتك خبيرا فى أمور الملاحة البرية وعليما ببواطن علم الطبوغرافيا الذى يدرس طبيعة المسارح الصحراوية وتعريف الهيئات والتضاريس الأرضية.. فمتى نصل إلى البحر وكم نقطع إليه من مسافة؟ وبيأس شديد أجاب همام لم يعد لى أى قدرة على الاستنتاج وأناعلى هذا الحال من الإرهاق فلا أنا مستطيع تحديد المكان الذى نحن فيه ولا تقدير المسافة التى تبعدنا عن شاطىء البحر لكننى تحت وطأة الظمأ أفكر فى أى شىء يبعدنا قليلا عن شبح الموت عطشا.. وحتى إذا لم ترينا مياه البحر لملوحتها فإنها قادرة على أفاقتنا ومدنا ببعض القدرة على مواصلة المسير بعد أن فرغت تماما مقاومتنا ورغم أنه من البديهيات التى تعلمتموها بالكلية الحربية أن ملوحة المياه لاتروى ولا تشبع من ظمأ ورغم أن شوقى كان يدرك تماما أن المسافة التى بينهم وبين البحر لاتقل عن عشرات الكيلومترات على الأقل الأمر

الذى يؤكد موتهم وهم يقطعونها على هذا النحو من الظمأ والإرهاق.. إلا أنه ناشد صلاح الموافقة على فكرة همام ليس لرجاحتها وإنما لأنها مجرد فكرة يحض بها الرفاق على السعى.. ولاشك أن بينهم وبين الحياة خيطا يكاد يتمزق بفعل أى مقاومة ولو حتى جاء ذلك متمثلا فى نسمات الرياح غير المنعشة التى كانت تلفح وجوههم بحرارة وقسوة الطقس والذى تعدت درجة الحرارة فيه عن خمسة وأربعين درجة مئوية كان الرفاق قد نفذوا فكرة شيطانية لمواجهة عطشهم المهلك أفرغ كل منهم مابجسده من مياه تخرج على شكل بول فى زمزميته أنهم قد يحتاجونه .. لا مناص أمامهم من استخدامه فهو منهم ولهم ولا ضير عليهم إذا استخدموه فهو ليس أشد خطرا مما يواجهونه كما أنه ليس أفظع مذاقا أو مرارة من طعم ومذاق الدماء التى ظلوا يطاردون الناقة بهدف الارتواء به.. نعم إنه يحتاج منهم إلى بعض من ترويض النفس وتعمية الذهن لاستخدامه لكنه على الأقل قد يضاعف من قدرتهم على المقاومة ولو لثوان قد تشكل أمامهم الأمل الوحيد الباقى.

كان همام أيضا صاحب الفكرة وأول المنفذين لها أدركه الظمأ بصورة قاتلة.. ومع ذلك فهو لم يتخلف عن الركب ولم يتوقف عن التفكير، رفع همام زمزميته التى تحتوى على مخزون بوله منذ وقت القيلولة وحتى نحو الرابعة بعد الظهر ارتشف رشفة وقال بعدها إن له مرارة مهلكة وطعمه بغيض ورائحته كريهة.. لكن ليس أمامنا مناص من استخدامه.. أرجوك «يا سمعة» ــ يقصد جنديه إسماعيل ــ أن تعرض الزمزمية إلى الهواء لتساعدنى على ترطيب السائل وإفقاده قليلا من حرارته المقبضة أننى أنشده مرطبا وليس ساخنا لكن حذار أن تستخدمه لتروى ظمأك فأنا أعلم منسوبة بالزمزمية وإذا ماسطوت عليه عرضتك لعقابى حالة تمكنى من ذلك.

يا لسخرية القدر ويالغرابة مايعرضون له من مفارقات إن همام حفيد الباشا رئيس الوزراء السابق يريد ترطيب بوله حتى يخفف من معاناته وهو مقبل على شربه.. ومساعده إلى غايته هذه جنديه

إسماعيل.. لكن يخشى على ثروته القليلة من هذا السائل الكريه من عين إسماعيل لو أن إسماعيل سطا على كمية البول القليلة لادرك همام الموت لم يكن غريبـا أن يحذو كل الرفـاق حذو همام بما فيهم صـلاح نفسه.. كان يرتشف الرشفة ثم يخرج كـل مابجعبته من عصارة.. لم يكن مذاق البول مستساغـا ولا مقبولا من أحد حتى الجنود لكن لامفـر من شربه.. المضطـر يركب الصعب.. وهم ليسـوا مضطرين فحسب أنهم أكثـر من مرغمين.. والحاجه أم الاختراع وليس أمامهم مـايبتكرونه ويشفع لديهم عند شبح الموت عطشا.

كـان شوقى هـو الوحيـد المستثنى من المجموعـة فى مواجهـة بولـه الكريه.. لم يكن يتصـور أن بمقدور الزلطة الصغيرة التى قـام بوضعها تحت لسانـه وتهكم الرفـاق من اقتراحها أن تجنبـه شبح استخدام ذلك السائل الكريه وتبعده قليلا عن حالة الظمأ القاتل الذى واجهه الرفاق.

أثابك الله عنـا خير الثواب يانقيب زهرة.. أيمكن لهذه الكلمـة التى مر عليها سنوات طويلة منذ أن كان طالبا بالقسم الإعدادى بالكلية الحربية أن تمنحـه النجاة من شبح الموت عطشـا.. أيمكن للزلطـة الصغيرة التى حرص على ألا يلفظها طوال فترة سيره حتى أنـه اعتادها وتصادق معها أن تكون السبب فى نجاته.. لابأس.. لكن يمكن ألا يبعثر ثروته هو الآخر فى الفلاة.. أن زمـزميته أولى بـاستقبال بـوله مـن حبات الـرمال.. ربما احتـاجه.. ربما لجأ إليـه.. صحيح رغم أنـه أكثرهم تعـرضـا للإرهـاق والتعب بسبب سـاقه العليلـة.. لكن حتى الآن لم يجد نفسه مـرغما على تناول بـوله.. وليتركه كـاحتياطى قابل لـلاستخدام متى دعت الضرورة لذلك.. والضرورات كما يقـولون تبيح المحظـورات.. وما عليـه إلا انتظار تلك الساعة.

حب .. وحرب

١٠

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الخندق

المعجـــــزة

اكتظ السرادق الضخم بجمـوع المعزين.. زادت اعدادهـم عن سعته.. وضاقت بهم مقاعـده.. اضطروا للوقوف فى ممراته والاصطفـاف أمامه.. قام أحـد الأقارب بتنبيـه القارىء إلى ضرورة أن يختم فى محاولـة لفض التزاحم.. هاهـو ينفذ الوصية ﴿ياأيها الذين آمنـوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلاتـولوهم الأدبار .. ومن يـولهم يومئذ دبره إلا متحـرفا لقتال أو متحيـزا إلى فئـة فقـد بـاء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ صدق الله العظيم.

لكن هيهـات هيهـات.. وكأن المعـزيـن أبـوا أن يغـادروا السرادق وتمسكـوا بالمقـاعد حـتى نهايته .. واضطـر القارىء أن يكمل الآيـات ﴿فلم تقتلـوهم ولكن الله قتلهم ومـارميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾.

سبحـان الله ولاقوة إلا بـالله قالها شـوقى وهو يحاول التـوفيق بين ذكرياته عن الدمار والأخطار التى لحقت بـه وبرفاقه خلال الأيام القليلة الماضية.. وذكرياته مع شقيقتيه اللتين علـم بفقد احداهما هذه الساعة.. ترى من تكون الفقيدة إن زوج الشقيقة الكبرى يقف بجوار شقيقه وقد تورمت عينـاه من البكاء وأحمر أنفه وتثـاقلت قدمـاه.. إذن هى شقيقته

الكبرى التى طالما حنت عليه وحملتـه على كتفها وقامت بدور أمـه عندما غـابت لفترة بسبب مرضهـا الذى أفقـدهم إيـاها لعـدة شهور .. كـانت شقيقته بمثـابة أمـه تماما .. توقظـه من نومـه وتساعـده على الاغتسال وتعد لـه طعامه وتجهـزه لمدرسته ولاتتركـه إلا بعد أن تودعـه على باب المنزل رغم أنها كانت تعمل مدرسـة بمدرسة الحى .. نعم لابد أن تكون هذه الفقيـدة خاصـة وانه يلمح بعض تـلاميذهـا وهم يقومـون بواجب العزاء.. لكن هؤلاء التلاميذ من أجيال متقـاربة مع جيله .. أنهم يعرفونه ولابـد أنهم يجاملونـه أو على الأقل يبـدون وطنيتهم تجاه أحد العنـاصر التى غـابت عن الحى فى مهمـة قوميـة .. لكن كيف لـه أن يقطع بوفـاة شـــقيقته الكـــبرى ونفس الشىء ينطبـــق عـــلى زوج الصـــغرى . إن الصغـرى تكبره أيضـا بسبع سنوات.. ولاتقل حنـانـا وودا عن الكبرى صحيح ان اختلاف الملامح بينهما كـان يؤدى إلى الحكم بعـدم أخوتهما من بعض الأصدقـاء لكنه طالما حظـى برعايتهـا وعنايتها طـوال مشوار أخـوتهما الصادقـة وحتى انتقلت إلى بيت زوجهـا .. كما أن هذا الـزوج المـــكلوم يقف بجـوار قريـــنه وليس أقل منـــه تأثـرا بعـد أن انتفخت أوداجـه واحمرت مقلتـاه وتهالكت أوصاله وتـدنت مقاومتـه إلى أقل حد لها.

هرب بفكره من جديد إلى رفـاقه الأربعة وزملاء مشواره الصعب من الجنود بعد أن قاموا بتنفيذ آخـر مقترحات همام بالاتجاه نحو البحـر فى محاولة لاستخـدام مياهـه المالحة لـلارتواء أو على الأقل لـلانتعاش من حـالة الموات التى كـادت تفتك بهم وتعتصر امكانـاتهم .. شجعتهم على مواصلة السير حـالة الجو المعتدلة نسبيـا بعد أن كادت شمس الأصيل تغيب ..

انعقدت آمالهم على الـوصول إلى شاطىء البحر قبـل حلول الظلام.. لابد لهذا اللقـاء الحار أن تسجل مراسمه فى ضـوء النهار انه مـوعد مع الحيـاة .. يعلن فيـه شبح الموت الـذى خيم عليهم لفترة طـويلـة يأســه

ويطلق ساقيه للريح وهو يولهم الادبار بعد أن منّ الله عليهم بتوفيقه ومنحهم السلامة وشملهم بإنقاذه بعد أن كادوا يهلكون.

الوقت يجرى والساعات والدقائق تعدو والشمس تزداد ميلا وأشعتها المضيئة تزداد أفولا وكأنها تعلن للرفاق انه لانجاة لهم وأن شبح الموت عائد لامحالة ليطبق مخالبه فى رقابهم ويثبت أظافره فى عروقهم .. توقف شوقى فجأة عن السير وتحولت جميع خلايا جسده إلى خلايا الكترونية تركز اتجاهها فى أمر مهم لفت انتباهها.. تصور الرفاق أن الألم زاد على ساقه واقعده عن السير .. لا لايجب أن تستسلم له وتمكنه منك .. لابد من الاستمرار حتى لو اضطررنا لقطع هذه الساق اللعينة عقب الوصول .. ان العيش بدون ساق أو حتى بطرف صناعى ممكن .. لكن القعود والخضوع والاستسلام لاأقبله لمن كان بحيويتك واقبالك على الحياة .. هكذا هتف صلاح بشوقى يستحثه على التخلص من حالته التى كان عليها ..

اضطر صلاح للوقوف بجواره عندما لم يجد لكلامه أى صدى فى نفس شوقى ولم ينعكس تحفيزه لمواصلة المسير على حالته المترقبة التى اصر عليها .. مالك ياشوقى .. لماذا هذا الصمت المطبق .. ليس لأوجاعى ولآلامى أى دخل فى وقفتى المفاجئة .. تحدث شوقى منقذا الرفاق من حالة الدهشة التى ألمت بهم .. وأردف يقول لهم .. تنامى لسمعى صوت نباح كلب قادم من جهة اليسار باتجاه عمودى على اتجاه سير المجموعة نحو البحر وإذا ماصدق سمعى فلابد أن هذه الكلاب ترافق عربانا فى حراستهم .. ولابد لهؤلاء العربان من حطية يقيمون فيها ويضربون عندها خيامهم ويضعون عليها رحالهم.. كانوا قد درسوا فى الكلية الحربية أن الحطية مكان منبسط فى الصحراء تتميز بتوافر الكلأ والعشب يرعون عليه الأغنام ولديها مصدر مياه يعتمدون عليه سواء أكان بئرا أم مجرى مائيا بفعل مياه الأمطار. لكننا لم نسمع ماسمعت قالها صلاح وهو يود صدور تأكيد من شوقى على ماسيسمع .. لكن

شـوقى لم ينطق ببنت شفه بعـد أن تحولت خلايـاه إلى مهبط الكترونى لتجميع النبرات القـادمـة نعم أنـه يسمـع بـوضـوح.. لم يتبين من قبل قدرتـه السمعية الخارقـة .. ولم يكن يـدرى أن لديـه مهارة خـاصة فى أذنيه.. أنه كان يتمنى دائما أن يكتشف لديـه أى موهبة أو قدرة خاصة لينميها .. وكـان يردد دائما لو أنـه رزق بطفل لكان أول مـا يبحث عنه مواهبه الخاصة ليصل به للعبقرية إن أمكنه ..

ظل شوقى على ارهافه .. وظلت المجمـوعة تحيطه بمزيد من الصمت والانتظار .. ان حيـاتهم جميعا انتقلت أمانـة فى سمعه وليس يـده .. لو صح ماسمعه شوقى لكتب الله لهم النجـاة فى آخر لحظة.. أنهم لايقوون على تحريك أقدامهم أو حتى استخـدام انظارهم ، تحجرت عيـونهم بعد أن شلت قـدرتهم على الحركـة وخـارت قواهم تمامـا.. وبهدوء شـديـد خرجت نبرات شـــوقى حاسمة بعد أن تحولـت القيادة تماما له بـالرغم من عجزه .. فلنتحـول باتجاهنـا إلى ناحيـة اليسار .. ولنسرع خطـواتنا قليلا ..

وقبل أن يبـدأوا فى السير سجد شـوقى على الأرض فخالـه الرفـاق يسجد لله شكرا لكنه لصق أذنه على حبات الـرمال وهو يرهف سمعه .. كـان يطبق النظـرية التى تعلمهـا فى المدرســة الاعداديـة التى تقـول إن النبرات الصوتيـة تنتقل فى الأجسام الصلبـة بأسرع مما تنتقل فى الهواء والتى كـانوا يستـدلون عليهـا بالشوكـة الصوتيـة وكأس الميـاه .. قام شوقى من جلسته ليـؤكد تعليماته أن صوت نبـاح الكلاب يأتى من هذا الاتجاه ولم يعد أمـامنا سوى أن نسرع الخطـى إليه. لم ينتظره الـرفاق لاكمال حـديثه بل سـارعوا بخـاصية حب البقـاء فى الاتجاه الذى حـدد تقدمهم صـلاح ومعه أمير ورستم وبقية الرجـال وجاء فى المؤخرة همام الذى كان الارهـاق قد سيطر عليه تماما وأفقـده كل قدرة على الحركة .. ثق أن الله معنـا .. ولن يغفل عنا .. ثق أنـه منقذنـا وأنه مدركنـا قبل أن نتعرض للهـلاك .. لايمكن أن ينسى الله نفرا من خيرة شبابـه ويوردهم

مورد الهلاك جوعا وعطشـا .. لم نخطىء فى حقه ولم نهمل عن واجباته وركزنا فى عبـادته وطاعته ثق يـاهمام أنه راعينا وأنه منقـذنا .. ما عليك إلا أن تتماسك فى هذه اللحظـات القليلة التى تسبق هبـوط العنايـة بنا، قالها شوقى وأخذ بيد همام الذى طالما سانده من قبل.. انحرف الجميع يسارا .. ودبت فيهم القـوة .. أوصالهم ثابتة .. وأقدامهـم تعدو فى ثبات وقـوة .. قلوبهم تهفـو إلى الأمل .. من يعرف .. ربما وانتهم المعجـزة فى صـوت نبـاح كلب .. هـذه قـدرة الله يمنحهـا من يشـاء من عبـاده ومخلـوقـاته.. ورغـم أن أحدا منهم لم يكن يتصـور شـوقى حين كـان يبلغهم بهواجسـه إلا أنه يهزىء فكيف لهذه المنطقـة التى لـوترك فيهـا الجمل لمات عطشا أن توجد بها مظاهر حياة؟..

غير أنهم تحركوا فى الاتجاه الذى حدده على أمل حدوث المعجزة وفى انتظـار فـرج الله .. وكلما اقترب الـرجـال من مكـان الحطيـة .. ميـزت أسماعهم نبرات النباح بـوضوح نعم أنه نباح كلاب .. وكيـف يكون هذا فى منطقـة جرداء لازرع فيهـا ولا نماء.. أنتدخـل فى قدرة الله . قـالوهـا جميعـا بـداخلهم وكأنهم يبعـدون هـواجسهم المضـادة .. لقـد وقعت المعجزة التى لاتعرف المقاييس والمعـايير المنطقية فلتذهب هذه المنطقيات إلى الجحيم .. ومايعرفونه الآن أنهم على مشـارف منطقة آهلة بالأعراب.. أنهم على بعد خطوات من الماء .. من الزاد والزواد .. أخذ كل منهم يمنى نفسه بجرعة وفيرة من المياه ..

كان الماء مطلبهم الأساسى .. لم يذهب أحد منهم فى طموحه المحدود إلى أبعـد من ذلك .. ان الميـاه هـى أقصى مـايطلبـه الظمآن انها تمثل بالنسبـة له الحياة بأسرهـا .. اختلج صياح الجنود بنبـاح الكلاب وراح البعض يتلذذ بتأكيد المعجـزة عن طريق تقليد أصوات انبـاح ليأتيه الرد من الحيـوان الأليف مـن الجانب الآخـر .. تبـادل الطـرفـان النبـاح .. وانفجروا جميعا فى حالة من الابتهـاج لم يشعروا معها إلا بأنفسهم وقد غـابـوا عن الـوعى .. تـداخلت الأسـباب .. فـرح .. سعـادة.. ذهـول ..

ارهــاق.. ظمأ.. غبطة.. ألم .. عدم تصــديق .. رغبة .. اشتياق المهم انهم قــاب قوســين أو أدنى مــن الحيــاة .. نعم مــا أغلى الحيــاة .. وما أشــد الفناء.

أفــاق الــرفاق من غيبــوبتهم اللحظيـة على مشهـد عاطفى مـؤثــر .. الأعراب على مشــارف الحطية خرجـوا فى استقبالهم وبيدهم «الــزنابيل» كل اعـرابى يحمل بيديـه زنبيلين تتســاقط منهما قطرات الميــاه العذبــة السلسبيل .. يــا الله .. مــاذا يــرون .. ميـاه .. أنــه كثير كثير التفتــوا إلى بعضـهم وقبل أن يسلمــوا على مضيفيهم أو حتى يهجموا على آنيــة المياه أخـذوا يتعانقـون ويتبادلــون الأحضــان والقبلات تعبيرا عن ابتهــاجهم بالنجــاة بعد أن اشرفوا على الهلاك .. الأذرع واهنـة والصدور والــوجوه شاحبة .. ومع ذلك فــالأحضـان دافئة والقبلات حــارة.. شد الأعراب على أيدى الــرجال ونــاولوهم الميــاه ، احتضنـها الــرفاق وكأنهم لايصــدقون أنفسهم استقبلتهــا قلوبهم قبل أن ترتــوى بها شفاههم.. أخـذ كل منهم رشفــة من زنبيله.. ثم يستريح ليعــود من جديــد يشرب ويشرب انهم لن يكتفوا بــالشراب أنهم يودون الشبـع.. الارتواء.. الامتــلاء.. أنهم يحسون بمشاعــر لايمكن أن يصفها قلم . أو تصــورها آلة أو تسجلهــا لحظة .. العمر كلــه يكمن فى هذه القطـرات من الميــاه .. العمر كله كــاد أن يفنى لفقدها ..العمر كله عاد مع ظهورها .. لم يستمع أحد من الرفاق لكلمات الترحيب التى أمطرهــا الأعــراب على مســامعهم .. أبطــال .. رجــال .. أشــداء .. أنهم غير ذلــك هم الآن يكفيهم أنهم ممسكــون بــأيــديهم سر الحياة .. أغلى ما فيها .. أنــه الماء .. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حــى﴾ إنها الحيــاة بعينهــا .. أغلى مــن الحيــاة .. ان الحياة بدون مياه فناء .. هباء . غثاء.

استقبلهم الأعراب بترحــاب شديد وكأنهم غـزاة فاتحون .. بل لعلهم ظنوا أنفسهم دعــاة مبشرين من فرط ترحيب الرجــال بهم .. هذا الشيخ

عيد زعيـم قبيلة العبايـدة .. والشيخ سلمان الرجل الثـانى أو قل نـائبه وذلك الشيخ عــايـد ومعـه الشيخ عبـــدالله وكـان لابـد مـن تعـريفهم لأنفسهم.. وتـولى شوقى مهمتـه التى كـان قد اضطلع بها منـذ بدايـة تشكيل المجموعـة اننا يـاالخوان النخبة التـى كتب الله لها النجاة من بين مايزيد عن خمسمائة فرد هم أعضاء الكتيبة ٣٤٢ ..

لم يكن لنا إرادة فى حياتنا أو بقـائنا لكن الله أراد ذلك . فهذه رحمته وسعت كل شىء.. وهذه مشيئته ليس لنا حيالها خيار .. هذا هو النقيب صلاح أكبرنا سنا وأقدمنا رتبة ..

شد الشيخ عيد على يد صلاح وكأنـه نجله وضمه إلى صدره وقال .. مـاعليكم أيها الـرفـاق انكم وسـط أهليكم.. ونحن نقـدر الأهـوال التى لقيتموها ونعـرف الأخطار التى صادفتموها.. أكمل شـوقى مهمته وهذا هـو الضابط همام أمـا أنا فثـالث المجموعـة وبعدى الأخ رستم.. فـالأخ أمير. ومعنا الـرقيب عبدالخالق والعريف والجنود فـلان وفلان لم يحفل العربـان بتكملة التعارف وراحـوا يتجاذبون أطـراف الحديث مع صلاح كـانـوا متلهفين لسماع القصـة كـانـوا ينشـدون عقـد المقـارنـات بين مايسمعونـه خلال اذاعتنا الغراء!! وبين مايـرونه بعيونهم.. لم نكن أول من استضـافـوهم من الـرجال .. ولعلنـا لن نكـون الآخـرين ومع ذلك كانـوا كرامـا لأبعد الحدود لم تكن الميـاه الوفيرة التى تمثلـت الحياة فى قطـراتها والتى أعادت لنـا الأمل فى البقـاء وبعثت فى نفوسنـا الرجـاء فى الاستمرار هى أقصى ماقدموه الأعراب.. بـل قدموا إليهم نوعا من الخبز الشمسى المصنوع على عجل .. كان أشهى من الثريد وألذ من الفطائر. التهمـوه بنهم وتنـاولـوه بشهية وكأنهم يأكلـون أفضل مـاقـدم لهم فى حياتهم فـلأول مرة منذ ثلاثـة أيام يشعرون بارتـواء ويحسون الشبع الذى ظل شبح قدرته يطاردهم بلارحمة.

امتدت الجلسـة ساعات طـويلة .. منـذ أن فرغوا من صـلاة العشاء

جماعـة وحتى مطلع الفجـر تجاذب الـرجـال أطـراف الحديث .. وكـان صلاح المتحدث باسم الجماعة حكى لهم باقتضاب كيف واجهت الكتيبة هجمات اليهود الشرسة من الخلف بعـد أن تم تطويقها ومحاصرتها ليلة كاملة .. وكيف أن الرجال واجهوا النيران والمدرعات اليهودية بصدورهم وكيف وكيف وكيف..

استمع الأعـراب لحديث صـــلاح وكأن على رؤوسهم الطير.. وعتمـة الانسحاب السريع الذى طمس كل معـالم الشجاعة والبلاء الحسن.. كل ماشاهدوه فلول عائدة يائسة بائسة لم تبد مقاومة تذكر ولم تشارك فى معارك متكـافئة كـانت أم غير ذلك.. كان لكـلام صلاح الأثـر الفعال فى نفوس الأعـراب.. زادوا من حفاوتهم .. غمـروهم بمزيـد من القهوة غير المحلاة والشاى الثقيل الأسود بل ذهب أحدهم وهو الشيخ سلمان نائب شيخ القبيلة إلى دعـوتهم للاستمـرار بينهم عدة أيـام ريثما يستعيدون تماسكهم ..

اعتذر صـــلاح بأدب شديد عن عـدم تلبية دعوتهم الكـريمة .. وطلب منهم أن يمدوه فقط بمعلـومات وفيرة عن طبيعـة الطريق وأمـاكن المياه وبعض المدن القـادمـة من مكاننـا .. بل لعلنـا لم نكن نعـرف حتى تلك اللحظة أين نحن ومن هم بخلاف الأسماء والألقـاب التى ذكروها والتى ناديناهم بها خلال الجلسة.

وتحدث الشيخ عيد وأرهف الجميع سمعهم لكلماته كان مهيبا عميق الصوت واضح النبرات : أنتم فى قبيلـة العبايدة كبرى القبـائل فى منطقة بير العبد التى تبعد عن القنطرة زهاء مائة كيلو وفى منتصف المسافة بين العريش والقناة .. وتمتـد قبيلتنا لتشغل عدة مساحات شـاسعة فى هذه المنطقة .. ونستطيع أن نعينكم على السير خـلال هذه الدروب بما لـدينا من خبرات فضلا عن توصية رجالنـا لإمدادكم ببعض المياه والأطعمة ان شئتم .. فأنتم أبنـاؤنـا .. ودماؤكم تجرى فى عـروقنـا بعد أن امتـزجت بحبات الـرمال ورويتم بها الفيـافى والقفار فى محاولتكم الحثيثـة لصد

العـدو الباغـى وحرمـانـه من السيطرة على المنطقـة كما فعل فى حـرب السادس والخمسين نحن نعرفهم .. سبق أن تعاملنـا معهم .. لقد أذلونا وحطموا كرامتنا واستباحوا حرماتنا ..

ولعلنـا نعد عـدتنـا الآن فى كيفيـة التعامل معهم .. وخـاصـة ونحن نتـوقع أن تطـول اقـامتهـم هـذه المرة بيننـا بخـلاف المرة الأولى .. كل المؤشرات تـؤكـد ذلك .. جحـافلهم الجرارة.. واستعـداداتهم الكبيرة وأعدادهم الغفيرة .. وليس لنا إلا الصبر على البـلاء .. والاحتساب لله هو مولانا وحامينا .. اعتدل همام فى جلسته .. مـايهمنا ياشيخنا العزيز هو تـوضيح معالم الطـريق.. أماكـن الوقفـات .. أسلوب الامـداد بالميـاه .. طريقة التعـامل مع العربان .. لقد عـانينا كثيرا اقتربنا كما لم نقترب من قبل من شبح الموت.. ظل يخيم على أرواحنـا كما لم يخيم عليها يـوم أن واجهنـا نيران اليهود.. ان العطش والجوع أشـد ألماً وفتكـاً من النيران .. قـاومناهـا بـالاحتماء بـالخنادق والاعتماد على نيراننـا المضـادة .. لكن الجوع لاسبيل لمقاومته أما العطش فهو قاتل ..

قـاتل الله العطـش .. والتفت همام إلى الجنـدى إسماعيل وقـال لـه لاتنس أن تشطف الـزمزميـة حتى لايتبقى فيها أى آثـار للجريمـة التى ارتكبناهـا فى حقها وحق أنفسنـا طهرهـا من رائحة البـول الكريهه التى سيطرت على فتحتها.

لاعليكم يـارجـال جـاءت كلمات الشيخ عيد جليـة تـزيل كل معـالم الغموض الذى اكتنف الرفاق. لكم من الـدليلتين هاديا ومرشدا .. وأشـار بأصبعه السبـابة إلى نجمتين متلألتين بخلاف ماجـاورهما من نجوم .. لو أنكم جعلتمـوها على «صـدغكم» الأيمن .. لأتبعتم اتجاه الشمال وهو الاتجاه الذى انصحكم بـاتباعه ان اردتـم التوجه إلى القنطـرة ومنها إلى الاسماعيلية .. وأكمل الشيخ عيـد محاضرته العفـوية عن الملاحـة البرية وقال لاتغـامروا بالاقتراب من الطريق المرصـوف فرجالنا يـؤكدون أنـهم يقطعـونه بـدورياتهم التى لاتتـوقف ليلا.. ويسيرون عليهـا نهارا دون

انقطاع كما اننى أنصحكم بالتوقف خلال فترات القيظ.. عليكم مواصلة السير ليلا فقط حتى لاتتعرضوا لفقد مخزون مياه أجسادكم عرقا.. أما ساعات الظهيرة فما عليكم إلا أن تمضوها بجوار أحد الأبيار وقريبا من الحطيات التى تصادفكم فى الطريق وهى كثيرة أنكم ستتوجهون بعد ذلك إلى مدينة نجيلة وهى على بعد عشرات الكيلومترات من بير العبد.. وقبلها توجد أبيار كثيرة ونخيل وأماكن منبسطة حولها.. وتستطيعون بمال زهيد الحصول على كل حاجتكم من ماء وأطعمة وتبغ دعونى أنصحكم بحسن المعاملة حتى مع مواجهة احتمال عدم التعاون معكم فليس كل العربان كرجالنا لقد أنسنا منكم ودا.. وتجاوبنا معكم لقسوة ماشاهدناه على وجوهكم من آثار الجوع الشديد والعطش القاتل.. لكنكم لن تجدوا دائما هذا الترحيب وهذه الحفاوة ولهم بعض الحق وعليكم إزالة الرهبة من نفوسهم أو حتى تفادى التعامل مع من لايبدون استعدادا طيبا لمعاونتكم.

كان لابد من تعقيب صلاح على محاضرة الشيخ عيد.. أبدى امتنان الرفاق بكلمات قليلة لكنها عميقة المعنى بالغة التأثير.. كان صلاح صعيديا عاطفيا برغم ملامحه القاهرية شكرهم على حسن الضيافة ووفرة المعلومات وطلب منهم أن يتقبلوا هدية المجموعة المتمثلة فى إحدى بنادق رجالها.. كان الجندى حسان قد أبدى ضيقه باستمرار حمل البندقية على كتفه ورغبته فى التخلص من ثقلها.. وأمره صلاح بالتذرع بالصبر وتحمل المشقة ووجدها فرصة.. التخفيف عن كاهل حسان.. وتقديم مايقابل ويوازى خدمات وكرم قبيلة العبايدة ولقد أعرب الشيخ عيد زعيم القبيلة عن امتنانه وسعادته الغامرة بهذه الهدية الثمينة وأمر بعض الرجال بإعداد مزيد من الفطائر والخبز ليتحصن بها الرفاق خلال رحلتهم التى لن يعرفوا مدتها ولن يتوقعوا مصيرهم فيها.

استسلم الرفاق لسويعات من النوم قبل أن يستأنفوا رحلتهم فى اتجاه بلدة نجيلة كما أبلغهم الشيخ عيد. ثم تناولوا بعض الخبز

والفطائر فى وجبة رئيسية جـاء وقتها بعد آذان العصر ومع أفول شمس الغروب حانت لحظة الوداع.. شد رجـال المجموعة على أيدى أعراب قبيلة العبـايدة وعـانقـوهم وقبلوهـم بحرارة.. وبـدأوا رحلتهم مستلهمين من الـدليلتين هاديـا لهم، تقـدمهم همام كما كان قبـل أن تصادفهم التيــه. وتبعـه بقيـة رجـال المجمـوعة.. كـان شـوقى أكثـر استعـدادا للسير.. وتخلص من رفقـة أمير ورستم بعـــد أن أبـدى شكـره على معـاونتهما الصادقة واحساسه بقـدرته على السير بعد أن تصادق مع الألم .. وعقد معه اتفاقية هدنة مؤقتة.

حب .. وحرب ١١

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الخالة جازية

الخالة جازية

التزم الرفاق بخط السير الذى حدده همام بواسطة بوصلته المتهالكة والتى يرجع تاريخ صنعها إلى الخمسينات كانت معظم معداتهم من الكتلة الشرقية وهى معدات خالية من الحداثة بعيدة عن الأشكال الجمالية لكنها فعالة وتؤدى الغرض المصنوعة من أجله وهكذا الفرق بين المعدات الشرقية والغربية وأوربا والأمريكان يهتمون بالناحية الجمالية بالاضافة إلى الفاعلية والانتاج الجيد أما الروس فليس من بين اهتماماتهم راحة الانسان المستخدم للمعدة ولاحالته النفسية لحظة استخدامه لها ..

لم ينس شوقى عندما كان طالبا بالكلية الحربية وذهب مع رفاقه فى رحلة لمشاهدة بعض الغواصات الجديدة التى دخلت الخدمة حديثا بقواتنا البحرية.. تحدث القبطان عن امكانياتها النيرانية وقدرتها على الدفاع ضد قذائف الأعماق والطائرات وأخذ يعدد مميزاتها ومحاسنها لكنه خفض رأسه خجلا عندما سأله أحد الطلبة عن سبب ضيق مساحة دورة المياه الخاصة بطاقم الغواصة.

كان خط سير المجموعة موازيا تماما للطريق الشمالى الذى يربط العريش بالقنطرة لكنه يبعد عنه عدة كيلومترات داخل الصحراء لتفادى المواجهة مع اليهود لم يكن اتجاه البوصلة هو المرشد الوحيد لهم.. بل

كانت الدليلتان الساطعتان اللتان نصح بهما الشيخ عيد زعيم قبيلة العبايدة وأمرهم بوضعها فى مقابل «الصدغ» الأيمن هما المرشد الأول لخط سير المجموعة.. ظلمة الليل منعت همام من الرجوع غالبا لبوصلته.. وهى بدورها غير مجهزة للعمل ليلا.. ومع تعاظم أهمية الدليلتين فى تحديد خط سير المجموعة تعاظم احساس الرفاق بنصائح الشيخ عيد.. كم جاءت كلماته بليغة وحكيمة.. كم شعروا بأن نصائحه دسمة وتوجيهاته تعود لخبرة وحنكة عشرات السنين ومئات التجارب.. إنهم يتخذون منها دستورا ينهجون هديه ويتمسكون بتعليماته لايحيدون عنها ولايتمردون عليها ، إن السير فى الصحراء خلال النهار عملية بالغة المشقة والصعوبة.. فما بالك وأنت تهيم على وجهك فيها ليلا.. تتعرف بشق الأنفس على مواطىء قدمك.. تختفى أمامك المرئيات.. وتتوحد المشاهد.. وتتساوى الهيئات .. انها الظلمة الحالكة التى تعطل البصر وتفقد الأنظار مكانها وتحيل الحاسة الهامة التى وهبها الله للانسان كى يميز طريقه ويتبين هدفه إلى عتمة كاملة.

لم يدر الرجال كم من المسافة قطعوا وكم من الخطوات ساروا.. فهم لايتحركون على دروب أو يسيرون على مدقات لكنهم يتحركون قاطعين التباب من سفوحها إلى قمتها وبعد أن يتنفسوا الصعداء على القمة للحظات يعودون أدراجهم لنزولها فى طريقهم الوعر نحو اللاهدف.

ينشدون الوصول إلى بلدة نجيلة التى أخبرهم الشيخ عيد أنها فى طريق سيرهم لم يسمعوا من قبل عن مدن نجيلة وبالوظة.. ربما سمعوا عن العريش لأنها ميناء حيوى.. كما سمعوا عن القنطرة.. وبعضهم فقط هو الذى يعرف مدينة رمانة.. لكن بير العبد وبالوظة ونجيلة لم تكن على خريطتهم ومادام الشيخ عيد قد حدثهم عنها.. فلابد لهم من الوصول إليها.. كلام الشيخ عيد لايرد.. فكل ماقاله لهم من واقع خبرته الطويلة ودرايته العميقة بدروب الصحراء ورمالها ووهادها وحتى مناطق الغرز فيها جاء صحيحا.

لم تتوقف المجموعة عن مواصلة السير طوال الليل.. ليس لهم سبيل سوى أن يجدوا فى سيرهم لقطع المسافة والوصول بأسرع مايمكن إلى القنطرة لينضموا إلى قواتهم غرب القناة.. ترى متى يصلون إليها الأمل معقود على ذلك.. لكن الآمال ليست كفيلة بتحقيق الغايات وليس أسلوبا للوصول إلى الأهداف.. هل يقدرون على مواصلة السير فى هذه المسافة الطويلة؟ وإذا استطاعوا ترى هل يقدرون على مجابهة أخطار الصحراء ومايتعرضون له من ظمأ وجوع ومقابلة الضوارى والحيوانات المفترسة؟ يا الله كل هذا بخلاف اليهود..

لو أن دورية يهودية حاول قائدها التعرف على مسرح سيناء ودخل بعربته ولوحتى على سبيل التريض داخل الصحراء لامسكهم كما الجرذان.. نعم سيطلقون على الدورية بعض الأعيرة النارية من بنادقهم ورشاشاتهم.. لكن هيهات لهذه النيران الضعيفة أن تقاوم رشاشاتهم الحديثة سريعة الطلقات.. أفاق الرجال من شرودهم ومن تبادل الأحاديث الجانبية التى كانت وسيلتهم لقطع الملل والرتابة ومواجهة الارهاق الذى أحال أقدامهم إلى كتل خرسانية يصعب عليهم رفعها ثم وضعها من جديد.. آه شقشقة الصبح وانبلاج الفجر مثل لهم نذيرا بالتوقف أو على الأقل أول حطية تصادفهم.. أنهم سيحطون رحالهم بجوارها يستريحون ويرتوون من مائها.. ويتمتعون بظلها.. ويحاولون عقد صفقات غذائية ليقيموا بها أودهم

وإذا لم يتيسر لهم ذلك فليس أقل من الحصول على جمار النخل.. ذلك النسيج الرخو الذى ينتهى إليه ساق النخلة من أعلى.. نعم إنه لايفيد فى بناء الجسم ولايعود عليه بأى نفع من ناحية الفيتامينات لكنه على الأقل يشعرهم بالشبع ويحول بينهم وبين احساسهم المؤلم بالجوع فضلا على مايحتويه هذا النسيج الرخو بين طياته من مياه تساعدهم على الارتواء ولاتعرضهم للظمأ.. أين لهم الحصول على الخيار.. ان الخيار أفضل الأطعمة لمسافر الصحراء.. أنه أكثرها اكتنازا للمياه..

واضفاء حالة من الارتواء لآكليه.."لكن الخيار ثمرة لايعرفها العربان.. ولاينمو فى الأرض الصحراوية مالهم يحلمون بالعزيز من الثمار كالجوعان يحلم بسوق الخبز.

لم تصادفهم حطية يحطون فيها رحالهم وحتى العاشرة صباحا ظلوا يترقبونها منذ طلوع فجر ليلتهم الأولى بعد رحيلهم من بير العبد وحتى أحمر قرص الشمس ولفحت أشعته أقفيتهم وأسالت العرق من ابدانهم.. تخوفوا قليلا من تأخر لقائهم بالحطية.. خشوا أن يواجهوا من جديد شبح الموت عطشا بالرغم من تسلحهم ببعض مخزون المياه.. لم ينسوا أن يملأوا الزمازم تماما قبل مغادرتهم لقبيلة العبايدة وأمرهم صلاح بعدم استخدامها مهما كانت حاجتهم للمياه ورغم فقدهم لبعض العرق مع طلوع الشمس.. إلا أن مقاومتهم وخبرتهم التى اكتسبوها من المواجهة الأولى مع الظمأ مكنتهم من عدم اللجوء إلى الزمازم.. وأخيرا ظهرت الحطية المنشودة.. نخلاتها الباسقات خير هاد إليها ودليل على ظلالها الوارفة وخضرتها السندسية الغامقة وسط بحر الرمال الصفر بعث الأمل فى نفوسهم .. وأعادت الطمأنينة إلى صدورهم كانت تعليمات صلاح تقضى بالمحافظة على مسافة مناسبة بينهم وبين العربان يكفينا من الحطية مساحة ظليلة من طرفها القصي.. دون أن يكون لوجودنا أى خطر على العربان يثير تحفظ رجالهم.. أو حفيظة نسائهم.. لسنا بمستطعين مواجهة أى مشاكل.. بل لعلنا فى حاجة لتوفير كل جهد والاستفادة من كل مايصادفنا.. ان التعاون بيندا وبين من سنلاقيه فى طريقنا لابد أن يكون كاملا.

كان على شوقى أن يبدأ اتصالاته فى محاولة لتوفير إحدى الوجبات الدسمة لرجال المجموعة تعينهم على المجهود المطلوب بذله خلال السير.. حلا لرستم أن يرافقه فى تجواله حول جوانب الحطية بحثا عن الغذاء.

إن لحاهم التى أطلقوها وشعورهم التى أرسلوها وأثمالهم التى غطتها البقع لايمكن أن تدل على نوعيتهم أقتربت هيأتهم كثيرا من هيئة

الجهد الذى بذلــوه لم يكن من الصعب على المتفرس فى محياهم أن يفرق بين الجنــدى والضابط.. إن كعـوب الضبــاط لم ينل منها الحفى الــذى فرضه صلاح عليهم بعد أن أمرهم بالتخلص من أحذيتهم.. بدت بيضاء من غير سوء.. لاتشققــات فى الجلد ولاخشونــة بل تبدو والــدماء تجرى فيها وبين ثنــاياها.. أمــا كعوب الجنــود فقد بدا عليهــا القشف وتخللتها التشققات.. وهو الأمــر الذى دعا شوقى لعــدم تبديل ثيابه الــداخلية مع رفاقه من الجنود.. فالتشبه بهم أمر متعذر!!! والتفرقة بينهم أمر يسهل على أى متفحص أن يتبينه.

التقى الــرجــلان بأعرابيــة على مشــارف الحطية تســوق بعضــا من الغنمات.. كان محياهــا يقطع بطيبتها وملامحها تــدل على وداعتها كانت متوسطــة العمر غير لافتــة الجمال لاتبدى من وجههــا أكثر مــن عينيها بادرتهم بالحديث قــائلة شدوا حيلكم أيها الرجــال.. لاتمكنوا اليأس من أن يتسرب إلى نفــوسكم انه اختبــار صعب سبق أن مررنــا به فى حــرب ستة وخمسين.

تــابعنــا رجــال الجيش وهم يتجــاوزونــه قهــروا اليأس داخلهم فساعــدهم الله على النجاه وساندهــم إلى الوصول إلى مرفئــه اننا معكم.. قلوبنا تدعو لكم.. وأرواحنا تساندكم والله يرعاكم.

أنس شــوقى منها ودا فسألها مــاسمك ياأختــاه فى محاولة للتقــرب إليهــا وتحفيــز طــاقتها على التعــاون معهم.. قــد تتمكن المجمــوعــة من الحصول على مساعدتها فى اعداد وجبــة شهية لهم.. بل قل ياأماه.. اننى فى سن والدتك.. إن لم أكن تعديت عمرها.

رد شوقى بلهجــة متحفظة حتى لايثير خشيتها لسنــا بصغار فنحن على مشارف الثلاثين ومأحسبك قد تخطيت العقد الرابع.

لم ترد أن تترك كلماته تعبر مسامعها دون فهم. فاستفسرت منه عن معنى كلمــة العقد وأفهمتــه أنها تقدر مجاملته تمتــن لذوقيــاته العــالية بالــرغم من احساسها العميق بأمــومتها لهم ولوعلى الأقل تعاطفــا منها للظروف الصعبة التى يواجهونها.

للظروف الصعبة التى يواجهونها.

ما عليك ياأماه العقد فترة زمنية لاتتعدى العشر سنوات.. وماقصدت باستخدام تلك الكلمة إلا أن أؤكد لك عدم تجاوزك لسن الأربعين.. أى أن مابيننا من عمر لايسمح لك بأمومتنا وان زاد فلعلك تتبوأين مكانة الشقيقة الكبرى.. ولم يستطع شوقى أن يمنع زفرات ساخنة انسابت على خديه عندما تذكر تلك اللحظة طالما أحب شقيقتيه.. طالما تربى على أيديهما.. طالما كانتا بالنسبة له الأم والأخت والصديقة والحبيبة.. كان يتمنى أن يعوضهما عما قدمتا من تضحيات حتى أوصلاه إلى المكانة التى هو عليها.. الفضل كل الفضل يرجع إليهما بعد والدته التى من الله عليه بالاطمئنان على عدم فقدها.. لكن عليه الآن أن يفاضل بينهما.. أيهما فقد الكبرى التى تشبهه تماما .. أم الثانية التى كان يجمعه بها الود والحب والتعاطف بعد أن أفتقدا الملامح المتشابهة.. أنه لايستطيع المفاضلة . أنه لايستغنى عن كلتيهما أنه يفضل أن يضحى بنفسه فى سبيل بقائهما.. لكن هيهات له التضحية فالسرادق الضخم والأعداد الكبيرة التى اكتظ بها من المعزين تقطع بفقده إحداهما الكبرى أم الأخرى إن السؤال يلح عيه ولايجد له اجابة.. ترى لو انه اقتحم السرادق لأراح نفسه وهدأ باله وكبح جماح شروده أنه يستطيع أن يقف على الاجابة المحددة لوتقدم وقطع الخطوات القليلة التى تفصله عن السرادق . عاد من جديد يتحسس جروحه ويتفحص هيئته ويرفض نظرات الاشفاق والعطف التى سيحظى بها من المعزين.

أنصتت الاعرابية باهتمام لكلمات شوقى وهو يشرح معنى العقد ثم مالبثت أن حدثته قائلة: إننى إذن تخطيت العقد الخامس وأدنو من السادس.. لكننا معشر العربان لانحمل للدنيا هما.. نهيم على وجهنا فيها ونعتمد فى سعينا على أقدارنا.. ونترك الباقى على الله إنه رازقنا ومولانا..

وبعد أن شعرت بالألفة والمودة التى انسابت بين ثلاثتهم قالت أنا إسمى «جازية» ويمكن لكم أن تنادينى خالتى «جازية» هكذا نحل المشكلة حتى لايكون بيننا خلاف.

انتقل الود الذى شعرت به خالتى جازية إلى قلب الرجلين ولم يرد شوقى أن يترك الفرصة دون استغلالها لمصلحة المجموعة.. فطلب منها أن تساعده فى اعداد وجبة شهية من يديها المباركتين وأبدى استعداده الكامل فى دفع التكاليف سواء عن الخامات المستخدمة أو المصنعية والجهد المبذول.. وتصاعدت طمأنينته بما شاهده على ملامحها من موافقة وبالغ فى توضيح مطلبه.. نود طبقا من الثريد يكفى عشرة أفراد وبعضا من الدجاجات على أن تحاولى توفير «المرقة» معها كنوع من أنواع الارتواء.

صدمته اجابتها.. أما الدجاجات فيمكن توفيرها بحسائها دون عناء وستلهث ألسنتكم بالدعاء لخالتكم جازية لطعمها اللذيذ ونكهتها البديعة.. لكن توفير الثريد أمر متعذر أو مستحيل.. لم يتوقف شوقى عن محاولة اقناعها وقد تصور انها تناور لمضاعفة المقابل.. إننى سأجزل لك العطاء.. سأعوضك عن كل رغيف تستخدمينه فى الثريد قبل أن أدفع لك ثمنا للدجاجات المطهية.. وسندخل فى الحساب حبات الأرز وان شئت التوابل بل والمياه المستخدمة فى الحساء.

لم تتأثر الخالة جازية بكلمات شوقى واردفت قائلة أيها النجل العزيز.. إننى سأبيع كل شىء ولن أخجل من ذلك أنها خاصية حب البقاء.. وكم تعلمنا من تجاربنا السابقة فى حرب ستة وخمسين أن اليهود قوم لايعرفون الله ولايرعون ضمائرهم فى التعامل معنا بل لعل ضمائرهم فى اجازة طويلة بعيدة عن أجسادهم.. ولولا لطف الله ولولا الانذار الأمريكى الذى عجل بانسحابهم من أرضنا العزيزة لادركنا الهلاك لامحالة فى حربنا الماضية ومع ذلك فلا عليك سأطهى لك الدجاجات وسأقدمها لكم جيدة النضج دون أن أكلفكم أكثر من ستين قرشا للدجاجة الواحدة مع بعض الحساء يكفى لكم جميعا.. ولكى تفهم موقفى فأنا أوفر الدجاجات التى أستطيع استعواضها بعد ذلك.

الدجاجات الباقية تبيض والبيض بشىء من العناية يفقس كتاكيت ومع رعاية الكتاكيت تنقلب بعد فترة دجاجات كاملة النمو.. أما الخبز

تعلمنا من تجربة ستة وخمسين أن اليهود يسيطرون علينا.. ويتحكمون فى اخلاصنا وعدم مقاومتنا لاحتلالهم عن طريق التحكم فى مرتباتنا من الدقيق وغيره من أنواع الأغذية التى يتعذر الحصول عليها.

جاءت كلماتها حاسمة ولم تترك له أى خيار ولم يبق أمامه أن يحاول من جديد بعد أن عرض عليها جنيها كاملا ثمنا للرغيف الواحد أى مايزيد أربعين قرشا عن ثمن الدجاجة المطهية لكنها لم تلن ولم تتأثر واكتفت بصنع ماوعدت من دجاجات مطهية.

وحمد هو الله على انجاز الاتفاق وأسرع يبلغ الرفاق ويمنيهم بقرب تناولهم لوجبة شهية دسمة.

شعر الرجال بالأمتلاء بعد أن تم تقسيم الدجاجات فيما بينهم حتى البصل الذى اضافته خالتهم جازية للحساء تم اقتسامه كان للدجاج المسلوق طعم لذيذ لم يتذوقوه فى حياتهم كانوا يحرصون من قبل على أن يكون غذاؤهم من الدجاج جيد التحمير لكنهم نسوا هذه الرفاهية غير المتوافرة حاليا . إن خالتهم جازية تستحق كل الشكر على ماقدمت من غذاء جيد النكهة طيب الصنع التهموه بنفس راضية وشهية كاملة كانت تلك الوجبة أمتع وألذ الوجبات فى حياتهم أنهم يشعرون وقد سرت مشاعر الشبع فى أوصالهم وجرت اثاره فى عروقهم بأنهم قادرون على مواصلة المسير لعشرات الأيام القادمة.. بل أنهم أشد اقتناعا من أى وقت مضى بالقول المأثور الذى يقطع بأن الجيوش تمشى على بطونها.

قطالما شعر الانسان بالشبع وأفرغ فى جوفه بعضا من المياه أمده الله بقدرة هائلة على المواجهة واعانه بسيل جارف من المقاومة مقاومة كل شىء وأى شىء الأخطار والأهوال والمشقة والصعاب ان الله لابد منجيهم من هذا الخضم المتلاطم من الصعوبيات بعد أن انجاهم من مذبحة اليهود التى أحالت كتيبتهم إلى بركة من الدماء.

تبادل شوقى الحديث مع خالته جازية وهو يحاسبها على ثمن الوجبة.. لكننى لم أتعرف عليك وعلى رتبتك قالتها جازية وهى تقترب أكثر من شوقى وكأنها تود أن تبوح ببعض أسرارها .. أنا ضابط

أكثر من شوقى وكأنها تود أن تبوح ببعض أسرارها .. أنا ضابط صغير بالجيش المصرى.. وضمن قوة الكتيبة ٣٤٢ مشاه لاعليك من اسم الكتيبة لكن يكفيك أن تعلمى أن عدد شهدائها زادوا عن الأربعمائة شهيد مابين ضابط وجندى.. انهم رجال صناديد وقبل أن يستفيض شوقى فى الحديث عن شهداء الكتيبة.. بادرته جازية قائلة رحم الله شهداءنا أنهم خيرة رجالنا.. انهم خلاصة أكبادنا قاتل الله اليهود كم ثكلوا من أمهات ويتموا من أبناء ورملوا زوجات.. لكن الله منجيكم ومانحكم المنعة وموفر لكم الأمان والسلام إن شاء وحتى تصلوا إلى أهليكم وذويكم.

ودعها شوقى ورستم وشدا على يدها واعتذرا لها عن التعبير عن خالص امتنانهما وشكرهما على ماقدمت لهما لأنه يفوق تعبيرهما ويعجز لسانهما عن تصويره والتحقا بالمجموعة واستمعا لكلمات صلاح قبل أن يبدأوا السير ليلتهم الثانية فى طريقهم نحو بلدة نجيلة.

علينا تجد فى السير ونسرع الخطى بعد أن دبت فى أوصالنا القوة وسرت فى عروقنا آثار الغذاء الشهى.. ولنبدأ على بركة الله.. وتقدم صلاح المجموعة وتبعه الرجال فى صمت لكن بقوة لم يكونوا عليها من قبل.

حب ..
وحرب ٢٢

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الصوت الرخيم

الصوت الرخيم

الأهوال التى مرت بالرفاق الباقين من الكتيبة الشهيدة خلال الحرب الخاطفة التى لم تدم لسويعات قليلة فى موقعة جبل لبنى الشهيرة لم تقتصر فقط على مواجهة أشباح الجوع والعطش والتيه ونيران اليهود واحتمال الوقوع فى أسرهم وغير ذلك من أمور متوقعة وغير متوقعة.. وانما حملت لهم كل لحظة قادمة وكل خطوة تالية نوعا جديدا من الأخطار ودربا حديثا من دروب الألم والمشقة فى مواجهتهم غير المكافئة مع مستقبلهم الغامض.

كانت كل حركة تحمل بين ثناياها بعضا من المواجهة تقربهم من مصيرهم المحتوم وتفرض عليهم نوعا من الاختيار المرير بين الأسر أو الاستشهاد ترى هل يلحقون بشهدائهم الأبرار من زملائهم بالكتيبة بنيران اليهود أم سحقا بجنازير دباباتهم لوحدث هذا لفازوا بجنة الخلد مع الابرار والمجاهدين وحصلوا على مراتبهم الرفيعة وثوابهم العظيم لكن الخوف كل الخوف من الوقوع فى أسر اليهود إنها الطامة الكبرى التى طالما حاولوا تفاديها وعدم الوقوع فيها.. إنها الكارثة المحققة التى تعرضهم للمهانة والاذلال طالما سمعوا عن آيات تعذيب اليهود لاسراهم من زملائهم القدامى.. فبخلاف عمليات التجويع والترويع والتعذيب

هناك أمور وصنوف أخرى مبتكرة.. هنـاك الكى بالنار والصعق بالتيار والختم على الأقفية والمؤخرة هنـاك استباحة للكرامة واستهانـة بالآدمية لـدرجـة أن الأسير يفقـد خلال فترة أسره أى رغبـة فى البقـاء ويتنـازل مـرغما عن أى تمسك بالحيـاة.. ان شبح الأسر كـان يخيم على مخيلتهم دائما ولايبارحها يجثم على الذاكرة ويسيطر على الذهن.

لم يهتز الرجـال أمام مشقة الترحال وارهـاق السير وأهوال الغرز فى الرمال وصعـود التباب والهبوط منها والانحـراف عن الاتجاه والتعرض للتيه ومغبة لقاء اليهود.. انها النهايـة بعينيها النهاية التى لامناص منها ولاأمل فى النجـاة إلا بمعجـزة إلهيـة يهبهـا الله لهم مجسـدة فى طـريق مختصر غير محفوف بالمخاطر أو ربما تمثلت فى طائرة صديقة تخطفهم بعيدا عـن أعين اليهود أو ... وقبل أن يحلق شـوقى بخيالاته بعيـدا عن أرض الواقع هـروبا من الأشباح التـى تطاردهم لمح غبارا يتصـاعد عن بعد ينبىء عن توغل أحدى مركبات اليهود داخل الصحراء.

كانت المركبة نصـف الجنزير تتحرك ببطء وكأنها تقصـدهم وتوجه إليهم ماسورة الرشاش الرئيسى فى المركبة هرول الجميع بعيدا عن خط السير بـلاهدى داخـل الصحراء اتسعت الخطى وتـلاحقت ، تضـاعفت سرعتهم وهم يأخـذون بتـلابيبهم بحثـا عن النجاة ، أطلقـوا سيقـانهم للريح متخلين عن حـرصهم متمسكين بأهداب الحيـاة ولوحتى لـدقائق معدودة.. تبـا لهذه الرمال الناعمـة التى تقلل من سرعتهم والظمأ القاتل الذى يفقدهم مقاومتهم وقدرتهم على الاستمـرار.. قاتل الله اليهود الذين ليس لهم بعد استراتيجى أو خط فكرى.

لماذا انحرفـوا عن مسارهم الذى اتبعـوه منذ بدايـة مشوارهم.. لماذا تخلـوا عن طـريقهم الـذى اتخذوه دربـا لحمـلاتهم وتحركـاتهم لعلهم يبحثون عنهم.. عما تبقى من فلول الجيش المصرى.. عن بعض ضباطه المتحصنين بالصحـراء المحتمين بالفلاة.. نسى شـوقى آلام ساقـه وهو يعدو كـان فى المقدمـة بالـرغم من وثبـه على ساق واحـدة.. انها حلاوة

الـروح غريـزة حب البقـاء ، الرغبـة فى التمسك بـالحيـاة ظلوا يعـدون بلا توقف وبلا ابطاء.

لايفتأون فى النظر خلفهم حتى يتأكـدوا من الابتعاد عن مرمى نيران الرشاش اللعين الذى يعلو المركبة اليهـودية وحتى مع ابتعادهم بمسافة مناسبة عنـه لم يتوقفوا.. امعانا فى التوغل داخل الصحـراء حتى يكونوا فى أمان وحتى يتأكـدوا من النجاة.. إن الحياة غـالية ثمينة إذا كـان هذا الحادث العـارض قـد زلـزل تماسكهم وهـز كيـانهم وأفقـدهم ربـاط جأشهم.. فما بالهم بـالمواجهة السافرة مع اليهـود.. إنهم يعلمون تماما انه لاقبل لهم بهذه المواجهة.. فـلاتوجد ندية تـذكر فى كل شىء فى العدد والعدة والعتـاد فى القدرة والامكانيـة والظروف المحيطـة.. فليبتعدوا إذن بفكـرهـم عن هـذه الأمـور التى تلح عليهم حتى لاتثقل على كـاهلهم وتسبب فى مضاعفة انهيارهم.

لمح شـوقى على باب السرادق مشهـدا أزال الغشاوة التى ظل عليهـا منذ أن قبع فى مكانه بالردهة المظلمة وهو يحلق فى جموع المعزين وهى غـادية وقـادمـة تأكد منهـا أن الفقيـدة هى شقيقته الكبرى.. يـالها من خسارة فـادحة.. لقـد فقد نبع الحنان الثـانى بعد أمـه فقد تـوأم روحه وصـديقته الأولى فى هـذه الحياة رأى اقـربـاءه جميعا وقـد التفوا حـول وحيـدها الصغير يحاولـون أثنـاءه عن حالـة البكـاء التى انخرط فيهـا ويربتون على كتفه محاولين التسرية عنه لما ألم به من حزن عميق.

لم يتعد هذا الصغير العـاشرة إنه أكثر المكلومين بفقـد هذه السيدة.. من سيتولى تربيته بعدها من سيتحمل مسئـولية ايقاظه ثم اعداد افطاره وتجهيز مـلابسه وتهيئته للمـدرسة قبل أن تأتى السيـارة الخاصة بها لنقلـه إليها مع شقيقتـه الصغيرة.. وبـالرغم من مظـاهـر التأثر البـالغ البـادية على مـلامح زوجها غير انـه لايمكن أن يتحمل وحـده مسئوليـة أطفالـه انهما يحتاجـان لمن ترعاهما.. يـاترى من ستكـون زوجة أبيهم القادمة.. من سيقع الاختيار عليهـا؟ من ستحل محل شقيقته التى طالما

ملأت على الأسرة حيـاتها وشملت جميع أعضائهـا بالرعـاية والاهتمام. شـــاركت فى حمل همومهم واسهمت فى حل مشـــاكلهم وتــدخلت بكل امكــانياتها لتـذليل مايعترضهم من عقـاب ، رحمها الله وأسكنهـا فسيح جنـاتــه.. وألهمــه هو ونجليهـا وزوجهـا الصبر على مصـابهم . لم يكن بمقدوره أن يغـادر الردهـة المظلمة حتى مـع تأكده أن الفقيـدة شقيقته الكبرى وكـان لزامـا عليه أن يشـارك فى عزائهـا.. فالجروح التى مـلأت ساقيه أقعـدته عن الاستمرار حتى فى الوقـوف.. والملابس التى يرتديها مــازالت تحول بينـه وبين اجتيـاز تلك الأمتـار القليلة فى طـريقــه نحــو صدارة السرادق ولم يكن بـوسعه إلا العـودة إلى شروده وتذكره لــلأيام السوداء التى مـرت عليهم وهم يقطعون الفيافى والقفـار سيرا على أقدام حــافية.. دون مـؤن ومـيـاه وغذاء بل ودون غطـاء أمنى ومعنــوى ومع تعرضهـم لأخطار وأهـوال عديدة لايمكـن حصرها أو مـواجهتها تحول نهارهم إلى سبـات يأوون فيـه إلى أى نخيل يلاقـونـه يحتمون فى ظلــه الوارف وهوائه الرطب وجمار نخله الـرخو ذى الطعم المستساغ وفائدته الغذائية المحدودة وقدرته الفائقة على احداث نوع من الشبع والامتلاء.

كانت حرارة شمس يونيو الحارقــة.. تلفح جباههم بلهيبها لايقدرون على مقاومتهـا يخرون صرعى تحت نارهـا لم ينسوا مــاأصابهم فى أول أيام سيرهم نحو العـريش ولاعندما ارتدوا على أعقابهم بعـد أن صدموا بسقوطها ولم يتمكنوا من دخـولها . إن شبح الموت عطشا أحال نهارهم إلى سكون وحـول ليلهم إلى حركـة وسعى ونشاط سـاعات الليل كـانت تمر سريعة من خلال أحاديثهم المتبادلة التى تسرى عنهم وهم يقطعون المسافــة الطويلــة التى تفصل بين بير العبد ورمانـة ثم القنطرة . كـانوا يسيرون متجـاورين متـلاصقين حتى لايشرد أحـــدهم ويضل طـريقــه ويبتعـد فى جنح الظـلام عن المجمـوعة.. ظلمـة الليل تحيل المسـاحـات الشاسعة إلى عتمة موحشة تتســاوى فيها المرئيات.. وينعدم من خلالها التمييز.. لايستطيعــون خلالها تبين وقع أقـدامهم ، بذلـوا جهدا كبيرا فى

تعديل اتجاههم بعد أن هاموا على وجوههم وأطلقوا لسيقانهم العنان هربا من المركبة اليهودية الطائشة وسعيا للنجاة بأنفسهم. حاول همام عبثا أن يضبط اتجاه التحرك من جديد دون جدوى وكان عليهم أن يجدوا فى البحث عن منطقة ظليلة يمضون فيها نهارهم التعس بعد أن ابتعدوا عن المسار التقليدى الذى نهجوه. قطعوا فى محاولاتهم عدة ساعات طويلة لم يكن أخطر ماواجههم فيها التوهان فقط ولاحتى الجوع والعطش وانما ظهر لهم فى هذه المنطقة أعداء آخرون كانوا أشد فتكا وأفدح تأثيرا من كل أعدائهم السابقين وقد تمثل عدوهم الجديد فى الضوارى والسباع والذئاب ، تمثل فى الحيات والثعابين قابلوا لأول مرة فى حياتهم الحيوان الشرس المفترس الذى يعرف بالضب أنه صغير الجسم أشبه بالثعلب لكنه شديد الشراسة والنهم محبا للحوم البشر مولعا بدمائهم، كان يحوم حولهم مصدرا صوتا مخيفا بين الزئير والنباح.. استطاعوا صيده بطلقات بنادقهم وفى أغلب الأحيان كان صوت الطلقات كفيلا بهروبه وابتعاده عن التعرض لهم فقد كان شديد الخوف من النيران اعتاد الرفاق على ملاقاة الثعابين. فحيحها أصبح صوتا مألوفا لأسماعهم بل كان هذا الصوت الرخيم المحبب لهم ينبىء عن قرب تناولهم لوجبة دسمة شهية تعوض أجسادهم مافقدته من عناصر تكوينها ، تحولت هذه الحيات السامة إلى مصدر غزير للبروتين الذى تعرض حياتهم للخطر مع خلو غذائهم منه.

أما أشد ماكان يخيفهم خلال سيرهم ذلك النوع من الأفاعى المعروف «بالطريشة»، إنها تدفن نفسها فى الرمال وتتسمع وقع خطوات فريستها عن بعد.. وتحدد اتجاهها بكفاءة متناهية ثم تثب نحو فريستها وتلتصق بعنقها وتنفث سمومها فى عروقها ولاتتركها إلا جثة هامدة.. من حسن الحظ ولعظمة قدرة الله أن هذه الطريشة الملعونة كانت تصدر صوتا عاليا يسمع على بعد خطوات وكأنها تحتفل بفريستها وكانوا دائما ينجحون فى تفادى لقائها غير السار الذى ينذر

بأخطار جسيمة.. واستخدام طلقات رشاشاتهم لارهابها واعادتها لأعماق الرمال حتى لاتفقد حياتها.

الذئاب كان أمرها أسهل كثيرا من الطريشة فهى حيوانات كسولة متعطشة للدماء التى تأتى سهلة.. كانت أشكالها تيسر مهمتهم فى التمييز بينها وبين الكلاب الضالة.. ذيل الذئب يختلف كثيرا عن قرينه فى الكلب كما أن أنياب الذئب وأسنانه الأمامية أكثر قوة وبروزا وفمه غالبا مايبدو مفتوحا وكانت دفعة من النيران كفيلة بأن يهرب معها أعتى الذئاب ويبتعد من أمامهم دون محاولة للعودة.

تواصلت الليالى وتعددت الأيام والرفاق على حالهم الرتيب ليلهم يمضونه فى السعى ونهارهم فى السبات.. لايفتأون فى تفادى الأخطار ولايملون من قطع المسافات كل تبه يقطعونها تسلمهم للتبه التى خلقها فى تتابع رتيب لانهاية له.. أشبه بتتابع الأمواج فى لجة البحار والمحيطات.. تخيلوا أن الصحراء لن تنتهى وأن مشوارهم لن يفرغ وأن الله قد كتب عليهم التيه فى غياهب الصحراء المقفرة كما كتب على اليهود.

أيمكن أن تحدث المعجزة ويتبادلان المواقع اليهود ينتقلون إلى موقعهم غير المحدد مجهول الملامح والأبعاد وهم ينزلون من تبابهم وجبالهم إلى الطريق الشمالى الممهد المضاء بأنوار لامعة سواء كانت لمصابيح الطريق القريبة من بعض المدن الواقعة على ضفتيه أو أنوار العربات والمصفحات التى لاتتوقف أو تنقطع عن السير عليه ليلا ونهارا.. لكن من أين لهم فرض ارادتهم على الطريق.. انه الآن يئن تحت سير اليهود البغاة.. ان رماله وصخوره ومسطحاته وحتى «مطباته» تشكو من الدنس الذى تعيثه دبابات اليهود فيها إنه يئن متأثرا وكأنه يبكى وينعكس تأثره وبكاؤه على محياه، آثار الجنازير المحتلة تظهر بوضوح على سطحه تحدث على وجهه ندبات.. وتصيبه بنتوءات.. تحفر فى اسفلته جروحا غائرة لايمكن اصلاحها.. فلم يعد من قبل

تحمل الحملات الميكانيكية . ان مركبات اليهـود المجنزرة تعامله بفظاظة وتقسو عليه بغلظة.

جلس الـرفـاق يتدارسـون : مـاالعمل وكيف الخلاص ارتسمت على محياهم ابتسـامة سخـرية من الحالـة التى وصلوا إليهـا يتهكمون على أنفسـهم من فرط مـا ألم بهم من بأس.. ومن هول ماأصـابهم من جزع وشر البلية مايضـحـك وما لهم لايضحكون فالأمـور جميعا تساوت وإذا كـان الموت هو مصيرهـم المحتوم فليس أقل من لقـاء الله وهم راضـون وليسوا بجـزعين.. لماذا لايضحكون فليخففـوا على أنفسـهم فليس أمامهم مندوحـة وليثقوا فى قدرة الله مهما تأخـرت معجزاته ـــ نعم ليس أمامهم سـوى تـوقع حـدوث المعجـزة انها فعـلا معجـزة تلك التى ينتظـرونها لنجدتهم من هؤلاء اليهود الملاعين.

حب .. وحرب
١٣

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

المواجهة

المواجهة

قطع الرفاق المسافة بين محطتهم الأولى التى توقفوا عندها فى بئر العبد وتزودوا منها بالمياه العذبة والتهموا فيها الخبز اللذيذ الذى كان طعمه أشهى من الفطير وبين مدينة بالوظة فى عشر ليال كاملة رغم أن المسافة بينهما لاتتعدى الخمسين كيلومترا.. لكن السير فى الصحراء والتوغل داخلها خاصة بعد حادثة المركبة الإسرائيلية الطائشة ألزمهم بصعود التباب وهبوط الوهاد وتسلق المرتفعات مهما كانت المشقة وأيا كانت الصعوبات فكلها أمور محتملة تجنبهم مغبة الوقوع فى الأسر وتمنحهم الفرصة فى الاستمرار ، هاموا على وجوههم ليلا وساحوا يقطعون الفيافى ويعبرون القفار مساء .. كان الضابط همام دليل المجموعة وعينها المبصرة يكتشف أحيانا أنها لم تتقدم إلا خطوات قليلة عن مكان بدايتها بالرغم من السير طوال الليل فالملاحة الليلية جعلتهم كمن يسبحون فى بحر لجى ليس له ملامح وليس محددا بأبعاد أو معروف الاتجاهات.. كانوا يشفقون على البحارة وزملائهم من رجال الحدود كيف ساسوا البحر وهادنوا الصحراء كيف امتهنوا تلك المهنة التى تعرضهم للأخطار المؤكدة.. لولا تقدم العلم وتطور المعدات لواجه هؤلاء الرجال مغبة التيه فى الصحراء رغم مساعدة السفن الحيوانية المعروفة بالجمال، صحيح الجمل صبور وصديق للإنسان لكنه عندما

يفـرغ صبره يتحول إلى وحش كـاسر ربما أنهى حيـاة صاحبـه والتهم جسده، ولم يكن همام يخبرهم مع نهايـة كل ليلة المسافة التى قطعـوها وإنما اكتفى بحفز هممهم وتجديد نشاطهم واستنفار جهودهم مع بداية السير فى أول الليل..

استغـرقت المسافـة بين مـدينتى بالـوظـة ورمانـة نصف المدة التى تطلبتها سـابقتها.. كـانت الأرض أكثر استـواء وأقل غرزا.. وكـان الأمل يتـزايد مع اقتراب الهدف.. لم يبق أمـام الـرفاق إلا بعض الكيلـومترات يقطعـونها صـوب القناة عشرة كيلـومترات أو تـزيـد قليـلا لم يكن من الأهمية معرفة المسـافة الباقية بالتحديـد فقط أن الأمل لايزال باقيا وأن الله يمدهم بعـونه ويمنحهم المقاومة التى تمكنهم من الاستمـرار.. لو أن الله حجبها عنهم أو حـرمهم على الأقل من التوفيق لواجهـوا نهايتهم منذ بـدأوا نـزولهم من جبل لبنـى فى اتجاه العـريش أو لأسرهم اليهـود على مشارفها.. لمزقت أجسـادهم شظايا الألغام أو فتكت بهم نيران الـدبابات الذين ساروا بجوارها لولا هـذه العناية الإلهية التى أحاطتهم بها السماء لتمكنت منهم الضـوارى ونهشت أجسـادهم الـذئاب وخـروا صرعى بسموم الأفاعى والطريشة اللعينة.

على مشارف رمانة جلسوا يتـدبرون أمرهم ويتدارسون خط سيرهم ويعيـدون حسـابـاتهم كيف لهم مـن عبـور القنـاة وبعضهم لايعـرف السباحـة تذكـر شوقى فى هـذه الجلسة كيف أن السبـاحة كـانت دائما تشكل عـائقا فى سبيل مستقبلـه قللت مجمـوع درجـاته فى كل سنـوات عمره الـدراسية بالكليـة لفقد الثـلاثين درجة المخصصة للسبـاحة.. بل عرضتـه للحبس لأكثر من ثلاثـة أشهر متتاليـة بعد قرار اللـواء محمد فوزى مدير الكليـة آنذاك بحرمان الطلبة الذين لايجيـدون سباحة طول الحمام من الخروج مع عطلة نهاية الأسبوع.. أعاد لعدة مئات من الطلبة تمضية فترة المستجـدين وهم على مشارف التخـرج لولا زيـارة الرئيس الجزائرى بن بيلـلا وقيـامهم بتقـديم عـرض عسكرى جيـد أمـامـه لما حصلـوا على راحـة وتنفسوا الصعـداء وهم يستنشقـون الهواء خـارج

مصنع الأبطـال كما كانـوا يطلقون على الكليـة.. ثم بعد ذلك وقف عـدم إجادته للسباحة أيضا فى وجه أن يكون من بين ضباط الصاعقة الأشداء لولا قـرار حاسم من قائد مدرسـة الصاعقة حينئذ المقـدم أحمد صلاح عبـدالحليم الذى استثنـاه من الإلمام بـالسباحـة شريطة القفـز من على مسافـة عشرة أمتار فى النيل. هكذا كـان دائما بينه وبين السباحـة عداء مستحكم تأتى هنا لتحـول دون بلوغه شـاطىء الأمـان وعبور القناة إلى الضفـة الغربيـة للانضمام إلى قـواتهم.. لم يكن بين الـرفاق من يجيـد العوم سوى همام ويأتى بعده رستم ابن الإسماعيلية الخبير بكل متر فى شـاطىء القناة الممتـد لأكثر من مـائة وعشرين كيلـومترا من بورسعيـد شمالا إلى السويس جنـوبا .. بقيـة الرفاق جلسـوا يتدبـرون أمرهم مع تبدد الأمل وتعذر الخلاص، قال صــلاح ماعليكم إن أمامنا ليف النخيل متواقـر بكثرة بـالمنطقة ولا خجل من أن نعود بأيـامنا إلى الأصـول لقد كنت أرى رجـال قـريتنـا فى الصعيـد وهم يجدلـون الليف مستخـدمين أصابعهم كما يستخدم النساجون أنوالهم. لتتركوا أمر الأحبال وصنعها ليدى الماهـرة فى نسج الليف وتحويله إلى أحبال متينـة.. ولم يضع وقتا بدأ فعلا فى جدل الليف وتقدم أمير منه يساعده بينما لم يجد شوقى بدا من تجميع الليف من حـول النخيل بحثـا عن المزيد قـال همام أستطيع ومعى رستم أن نساعـدكم على العبور بمرافقتكم فرادى نحـو الشاطىء الغربى للقناة واعتذر شوقى حـاكيا تجربته غير المضيئة يوم أن تعرض للغرق بحمام الكلية عندما شجعه زملاؤه على السباحة معهم ولولا ستر الله لزهقت روحـه غرقا.. قدم عبـدالقادر للرفـاق بعض الأرب من جلود الحيوانـات وجدهـا فى إحدى العشش المهجـورة القريبـة لتسهيل مهمة العبور بالحبـال.. لكن رستم ناشدهم التوقف قـائلا مالكم تجتهدون فى جدل الليف وماذا أنتم به صانعون إذا كان اليهود قد تمكنوا من احتلال الضفة الشرقية بكاملهـا فمن سيسمح لكم بربط الحبل على ضفة القناة المحتلـة.. وكيف تعبرون هـذا المانع المائى المتسع فى حـراسـة جنـودهم وتحت نظـر رجالـه.. صمتـوا وكأن على رؤوسهم الطير . إن الرغبـة فى

الحياة والسعـى نحو الخلاص مما يـواجهونـه من عراقيل يـدفعهم إلى إغفـال بـديهيات لم يكـن ليفعلوهـا لـو أنهم بكـامل وعيهم وإدراكهم.. صحيح كيف سيتركهم اليهود يـربطون حبـالهم ويقيمون معبرهم دون أن يمطـروهم بنيرانهم ويقضـون عليهم فلنكف إذن عن إطـلاق العنـان للخيال الساذج ولنفكر فيما يعيننا على مانحن فيه بغير سطحية وبتركيز أعمق.

تحدث أمير السبكى وكـان آخـر المتحـدثين بطبيعـة أقـدميتـه.. لماذا تفكـرون فى الغد بهذه القتـامـة لماذا تقـدرون الأمور الأسـوأ وتعقـدون مقارناتكم وتفاضلـون بين احتمالاتكم غير المضيئة لماذا لانتوكل على الله ونـواصل سيرنـا صوب ا لقنـاة فلـربما أدركتنا عنـايـة السماء التى لم تتخل أبـدا عنا حتى الآن ولنعبر القنـاة مع أمثـالنا من الشـاردين وهم بالآلاف دون أن يفطن اليهود إلى نـوعيتنا أكنا ضباطـا أم جنودا ألديهم القـدرة على الفصل بين رجـالنـا ونحن على هـذه الهيئة الـرثـة والقـوة المتهالكـة.. إننا جميعا تعـرضنا لأهـوال كثيرة أحالت محيانـا إلى خفوت ليس أشبـه بخفوت الجنـود وإنما أقـرب كثيرا من انكسار الشحـاذين.. ورد عليه صـلاح باستياء مـا هذا الهراء الذى تـردده يا أمير أن درايتك قليلة وخبرتك معدومة أن اليهود لن يسمحوا لنا بالمرور لن يضاروا من أسر عشرات الآلاف هم مجمـوع عدد ضبـاط الجيش المصرى فى سينـاء أنهم يتفننون فى استخدام ملكاتهم الشيطانية لتعذيب الأسرى وترويعهم ومـا عليهـم أى جهـد فى ذلك فمعسكـرات العمل داخل المستـوطنـات تستوعب الآلاف المؤلفـة وليعودوا لنظام السخرة واستخـدام الكرابيج فى إخراج مابجعبتنا من جهد واستنزاف طاقاتنا وقدراتنا.

قطعت جهيـزة قـول كل خطيب قـالها شـوقى بعـد أن سمع كلمات لبعض الزملاء مروا عليهم عـائدين فى ا لاتجاه العكسى من ناحية القناة سألهم صلاح لماذا عودتكم بعـد أن شارفتم القنطرة قالـوا بيأس قررنا أن نستوطـن سيناء بعـد أن تأكدنـا بعيوننا أن اليهـود لن يسمحـوا لنا بالمرور ، أنهم يفصلوننا إلى ثلاثـة أقسام الأول يحكمون عليهم بالإعدام

ويحصـدونهم بـالنيران وهم وقوف معصـوبى الأعين دون جـريـرة أو ذنب، القسم الثـانى يـزفـونهم كقطيع الماشيـة إلى عـربـات نصف نقل ويعودون بهم إلى معسكرات الأسرى بـالخلف أما القسم الثالث وهم من المحظوظين من أبنـاء الريف فيتركونهم يعبرون إلى الضفة الغـربية دون مساءلـة.. أخذ كل منهم ينظر إلى هيئتـه ليصنفها تبعا لما ذكره الـزملاء الفارون أيمكن أن يكون أحدهم ضمن النـاجين من القرويين أتساعدهم شعورهـم الكثة وجباههم التـى اسمرت بفعل حرارة الشمـس وأشعتها اللافحـة، لقد أطلقـوا لحاهم وبدلوا ثيـابهم وعبثوا بوجـوههم ومع ذلك ليس من العسير على اليهـود أن يفرقـوا بين الضباط والجنـود ليس من المجـدى أن يبالغـوا فى عمليات التشبـه بالجنـود لأن جلودهم البيضـاء وملمس أقدامهم الناعم وقوامهم الرياضـى وأسلوبهم المتمدين فاضـحهم لا محالة وكاشفهـم أمام اليهود الملاعين الذين لـديهم القدرة على تمييز كل شىء من خـــلال إقـامتهم بمصر لفترات طـــويلـة قبل التهجير.. إن بعضهم عاش فى إحيـاء بولاق والسكاكينى والفجالـة والضاهر : إن لهم حـارات تعرف بحـارات اليهـود يتحدثـون لغتنـا ولكتنا فلن يكـون من الصعب عليهم التمييز بيننا.. ويخرج عليهم أمير السبكى بفكـرة جديدة أنه دائم التفكير حتى مع آرائه السطحيـة لكنه أبـدا لم يقبع أو يركن إلى الاستسلام.. حبـاه الله بفكر متقـد كان من شبـاب شبرا المرح جرب كل شىء ورافق بعض أقرانه من هواة الترحال فأقـاموا معسكرات الكشافة وزاروا المحافظـات وتعاملوا مع فئـات كثيرة ونوعيات عـديدة فأكسبهم هذا بعض الخبرة خالـوها ثروتهم التى لاتنضب وتصـوروهـا سلاحهم الذى لايبلى.. قـال أمير إننى أملك قدرا كبيرا من المشـاغبة ولدى مـوهبة خـاصة من الغتـاتة أستطيع معهـا إثـارة اليهود وقبل أن يكمل انفجـر الـرفاق من الضحك مـرة أخـرى وشر البليـة مايضحك رغم أن القلـوب واجفـة والأنفس خـائفـة ، اســـتمر أمـــير دون تحفظ وكأن ضحكهم لايعنيـه.. نعم والله أستطيع أن أثير حفيظتهم واستخـرج كـوامن شرهم وادفعهم لأن يمطـرونـا بـوابل مـن رصـاصهم وهم يقـومـون بعمليـة

المفاضلـة وتقسيمنا إلى فئات.. وبهذا يكـون قد استدرجنـاهم بعيداً عن قرار الأسر فنلنا بـذلك الشهادة ووصلنا إلى غايتنا ومبتغانـا وتفادينا أن نزف إلى عـرباتهم كقطعـان الماشية لتقلنـا إلى معسكرات النـازى أقصد الأسر.. استهجن صـلاح الفكـرة وأعلن استيـاءه بكلمات خـاليـة من المجاملة إن أفكـارك تصدمنى وآراءك تثير السخرية وتـدفع للتهكم مالنا نحن «ولغتاتك» التى تملكها أيمكن لهذه الغتـاتة التى تحكى عنها والتى لمسناهـا فعلا من خلال تعـاملنا معك أن تنجينا من أسر اليهـود والذل والهوان الـذى يكتنفـه ، أيمكن أن نعتمـد على غتـاتتك كـاستراتيجيـة نستطيع من خـلالها تحقيق هدفنـا والوصـول الى غايتنـا لا لاياأخ أمير لقد بـالغت فى الثقة بنفسك رغم أننـى شخصيا لا أنزهك مـن أن تكون على هذا القـدر من الغتاتـة أو أنقيك من تخيلك لهذه الثروة التـى حباك الله بها.. كـان صـلاح قـاسيـا على رفق الـدرب وزميل الكفـاح لم يكن كلاهما يـرتاح للآخر.. كـان صلاح يرى فى أمير الشخصية العـابثة غير المقـدرة لعواقب الأمـور وغير الملتزمـة بالمعـايير والضوابط وكـان أمير يتصور الالتـزام المطلق الذى قـد يصل لحد الجبن فى شخصيـة صلاح ولطالما جـاهد نفسـه وكبح جماحها فى الانطـلاق والاعتراض على صلاح والتمرد على أوامره..

نظر أمير للـرفاق ليتبين وقع كلمات صـلاح النافـذة المتهكمة بـرأيه وأثر فى نفسـه تلك الملامح التى بدت عليهـا الشفقة به والتعـاطف معه وقبل أن يندفع للثأر لكرامته من قـائد المجموعة أو على الأقل للرد عليه تـدارك شوقى الموقف وقـال لأمير : لا لا يا «أمـر» لن نستطيع الاعتماد على غتـاتتك وحدهـا مع اليهـود أنهم قوم لا أمـان لهم ولايحكمهم خط فكرى سوى انهم ينفثـون أحقادا وعقدا وغالبا مـا يأتى سلوكهم متأثرا بهذه العقد ومتمشيـا مع تلك الأحقاد واذا كان لـديك ثروة من الغتـاتة فكثير منا وأنـا أولهم لدينا مثلك قـدر مناسب منها قـالها شوقى يخفف بها عن زميله الذى أوشك أن ينفجر قالها حتى لو أنه لم يدرك أمير قبل انفجـاره فعلى الأقل يكـون هـذا الانفجار معـه هـو وليس مع رمـزهم

وقـائدهم صــلاح.. كان شــوقى يحاول الحفـاظ على تـوازن المجموعـة وروابطها مهما كلفــه الأمر انهم كعصبة أقــوى كثيرا منهم كأفراد لماذا يبعثرون قـدراتهم ويفرقـون وحدتهم . الغريـب أن أمير أدرك ما رمى اليه شــوقى وآثر التعقـل مفضلا الصمت على مـواجهة صلاح التــى قد تؤدى الى طريق اللاعودة بينهما..

ارتسمت على الجنـود بقيـادة الرقيب عبـدالقـادر عـلامات الـرضــا والارتياح إنهم أقـرب أعضاء المجموعة إلى النجـاة ورغم أن بعضـهم كان من أبناء المدينة إلا أن هيئتهم كانت تنبىء على نوعيتهم ولا تحتاج لكثير من الجهد فى عمليـات الاستغراق فى توضيــح معالم الجنديـة والبعد عن مظاهــر الضباط ومع كل هذه الثـورة المكتومة والغليان الصـامت الذى واكب الجميع قال عبـدالقادر كلمات قليلـة حدث بها نفســه« الله يرحمك ياوالدى لولاك ما كتب الله حاليا لى النجاة لولا ارغامك لى على التطوع فى صفوف الجندية وإحجامك عن تكملة رسالتك وانفاقك على تعليمى لكنت أواجه حاليـا المصير المظلم الذى يواجهه حضرات الضـابط.. الله يرحمك ياوالــدى سلمتنى بنفسك إلى شيخ البلد وطلبت منــه مرافقتى إلى مــركز التطوع بالقاهرة لعدم قدرتك على ذلك.. لم يكن لدى قبل بمواجهة شيخ البلد كان رمز السلطة فى القرية والـرجل القوى بعد العمدة يومها أمرنى أن أجهز نفسى غـدا ومن يومهـا لم أعد لقـريتنا إلا فى إجـازات كل عدة أشهــر يرحمك الله يـا والدى على هـذا الجميل الذى لن أنسـاه».. ابتسـم الرفاق لكلمات عبدالقادر الذى جاءت عفـوية برغم قسوة مايشعرون به من مآسى ومـرارة المفاضلة التى عليهم أن يختاروا بينهـا الشـهادة.. أم الأسر.. خيــاران كـلاهما مــر.. خيــاران لا ثــالث لهما.. تــرى أيهما يــواجهون.. يـودون الاستشـهـاد لكن قــد يوقعهم قـدرهم فى الأسر إنــه الشبح الــذى خيم عليهم وأقض مضـجعهم وعكر مـزاجهم منذ أن بـدأوا مشوارهم الطـويل.. سيطر على فكـرهم وحرمهم من التفكـر فى ورطتهم والخروج من أزمتهم كـان الأسر هـو الخطر المحـدق بهم بعينــه كانــوا أحيانا يتحسسون أقفيتهم وظهـورهم ومقاعدهم وكأنهم يهيئونها لتلقى

آثار التعـذيب التى تنتظرهم فى معسكر النـازى إن اليهود ابتكروا طـرقا لتعـذيب أسراهم لم تكن أيام النـازى ، استحدثـوا فيها أدوات ومعـدات جـديدة وطـوروا طـرقا وأسـاليب غير تقليـدية تتمشى مع «سـاديتهم» وتتناسب مع شذوذهم الفكرى . أيكـون مصـيرهم الأسر بعد كل مالاقوه من صنوف العذاب وألوان الهوان؟ أتكـون نهايتهم بهذه القسوة بعد كل معـانـاتهم وآلامهم ؟ .. ومع كل ليس أمـامهم سـوى الصـبر.. وليس فى مقدورهم سوى الامتثال.

حب .. وحرب ١٤

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

تشابك الموت

عندما يهز الموت

طالــت جلسة الــرجال على مشــارف مدينــة رمانــة كان الأمــر جللا والخطب فادحا والقرار غاية فى الصعـوبة.. ماذا هم فاعلون؟.. إذا قرروا الحركة إلى أيـن وإلى متى.. أيتقدمـون صوب القناة ويسلمـون أنفسهم طـواعية لليهـود ليفــاضلـوا بينهم.. يواجـه معظمهم الأسر وينقلـون فى شــاحنـــات الى معسكـرات النـــازى ويلقى البعض الآخـــر الموت رميــا برصــاصاتهم الغادرة وينجـو قلة منهم تشاء الأقـدار نجاتهم فيعبرون القناة ضفـة النجاة المسماة بـالضفة الغـربية أم يـرتدون على أدبــارهم ويعودون من جديد من حيث أتـوا الى الشيخ عيد زعيم قبيلة العبايدة فى بير العبـد.. يتـزوجون من بنــاتـه وينخــرطون ضمن رجــال القبيلــة فى أعمالهم التى تنحصر فى رعى الأغنام والأتجار فى الدخان.. سكون رهيب ران الصمت على جلســة الـرفــاق وشملهم جميعــا بــلا استثنــاء وأخيرا تحدث صلاح وجاء صــوته خفيضا حزينــا خافتا كأنه صـــدر من العالم الآخـر من عالم الأرواح عــالم الأشباح نــزلت كلماته عليهم كــالصاعقـة ألجمت السنتهم وجمدت أفكارهم واصابتهم بالـذهول والصدمة.. أطلق صلاح قنبلتـه الأخيرة فى مرحلة قيــادته للمجمـوعة زلزلت قنبلتــه كيان الجميع وفجرت آثارا بــركانية كانت قـد اختفت داخلهم طوال مشوارهم الشاق.. لابـد أن نتخلص من الحياة بإرادتنا ، لا أن نحـرر أرواحنا من

قيد أجسادنا، لابد أن نزيح من على كاهلنا شبح الأسر البغيض وآثاره المدمرة ونتائجه المزلزلة ، نعم أيها الرفاق وتعمد أن تكون كلماته التالية أكثر تحديدا ووضوحا لابد أن ننتحر بأيدينا قبل أن تنالنا أيدى اليهود.. لابد أن تواجه صدورنا نيران بنادقنا قبل ان تئن قلوبنا تحت وطأة نيرانهم الغادرة على الأقل سنلقى بعض الرعاية من زملائنا الجنود ، على الأقل سيتمكن بعضهم من أن يوارى اجسادنا التراب.. وقبل.. أن ينهى صلاح كلماته اصدر تعليماته ليقوم أمير السبكى بالدور الرئيسى فى هذه المهمة الصعبة ليطلق نيران مدفعه الرشاش علينا ، إنه أقدرنا على مواجهة هذه المواقف وليعينه الله بعد ذلك على قتل نفسه..

انفجر بركان الغضب الثائر لدى أمير ، شهدت المجموعة أول تمرد حقيقى ، أول مواجهة سافرة وصلت العلاقة بين صلاح وأمير الى نقطة اللاعودة . صاح أمير يهذى بكلمات رافضة ويصيح ويسب الجميع بألفاظ خارجة وينعتهم بشتائم وقحة ويقول طالما تحملت أوامركم التعسفية طالما نفذت تعليماتكم الغبية واقنعت نفسى بالاضطلاع بمهامكم العجيبة قاتل الله الأقدمية التى اجبرتنى على الانصياع لكم والالتزام بكلامكم ، تبالكم جميعا وسحقا لأوامركم الأننى تخرجت بعدكم احتمل رزالتكم وأصبر على سخفكم وانفذ مهمة إزهاق أرواحكم. ماهذه القرارات التافهة السطحية التى تصدر منكم ما هذا العبث الذى تتفننون فى صياغة الحديث عنه أنه «الهبل» بعينه ولن أكون صنيعكم فى تنفيذه فلتذهبوا الى الجحيم بعيدا عنى لكن لن تقترف يدى مثل هذا الجرم الشنيع وترتكب هذه الجريمة النكراء.. آثرت عدم الرد على تطاولات المدعو صلاح قائدكم المفدى واستمعت لنصائح شوقى ونفذت كل ماكلفت به من مهام كنت أنظر الى بعضها على أنه ظلم بين لشخصى ومع كل هذا التحمل والصبر وصلت الى هذه الدرجة من الغليان التى لن تعرفوا مداها أو تقيموا حجمها إلا إذا نطق أحدكم ببنت شفة موجها لى أى نقد أو فارضا علىّ أى أوامر وإن شئتم فأنا لست منكم وحتى

النهاية.. قالها أمير وأدار ظهره للمجموعة وكأنه يعلن عن تمرده الكامل ومروقه السافر..

كان لابد من تدخل شوقى الذى لعب دور مخفف الصدمة لعلاقاته الوطيدة بين طرف المجموعة.. الكبار صلاح وهمام والأحدث رستم وأمير حدث شوقى مهدئا روع أمير ومعتذرا لصلاح نيابة عنه لقد كنت على صواب يا أمير عندما رفضت قتلنا فما بيننا من عشرة وأواصر يجعل من العسير على أى فرد من المجموعة ازهاق روح بقية الرفاق بيديه.. كما أنه عمل مناف لأى شرائع وأديان.. وإذا كنت أؤيدك فى رفضك إلا أننى عاتب عليك انفعالك الزائد عن الحد الذى وصل بك الى حد الهياج فصلاح لايستحق منا جميعا إلا كل اعزاز وتقدير.. إنه قائدنا وأخونا قبل أن يكون رئيسنا وأقدمنا وقد كان نعم الأخ طوال مشوارنا الشاق الذى لايبدو له نهاية وإذا كان قد قسا عليك فى القول أو اعتمد عليك فى العمل فلأنه يعتبرك أخاه الأصغر ويتمنى لك الوضع الأفضل فضلا عن ثقته الكبيرة فى امكاناتك وقدراتك.. حاول أمير أن يسوق بعض مبرراته واعتدل فى جلسته وقبل أن يطلق كلماته التى وضح أنها ستدمر جهود شوقى بادره الأخير لا عليك يا أمير من الاعتذار فنحن جميعا نعتذر نيابة عنك ونقبل صلاح ونستسمحه ونطلب منه العفو والنسيان.. وأنا شخصيا أرى أننى شريك معك فى الخطأ فلقد كان واجبا على أن أناقش صلاح فى أوامره التى كلفك بها ومن ثم فقد تباطأت فى التدخل وهو ماجعل الأمور تستفحل ولا يسعنى الآن إلا أن أطلب من صلاح أن يتولى بنفسه قتل الرفاق. إذا كان مصرا على رأيه.. ولن يجد منا إلا كل انصياع ورضا بقضاء الله وبتلقائية سريعة أخذ صلاح يرد لا..لا..لا لايمكن أن أقوم بتلك المهمة ليس اشفاقا عليكم وارتباطا بكم فحسب وإنما أيضا لأننى أجبن من أن انفذ الانتحار مع نفسى ولن استطيع العيش بدونكم ولاقبل لى بمواجهة أهوال الأسر بمفردى.. وتبادر الى ذهنه فكرة ظن أنه يهرب بها من تكليف شوقى المباغت.. إذا كنا متفقين على أن الانتحار هو الحل الأمثل لظروفنا الحالية وهو السبيل الوحيد

لتفادى شبح الأسر المهين فلماذا لاينفذ تلك المهمة الرقيب عبدالقادر لن تعوزه الشجاعة ولن يفتقد القدرة كما أنه ليس فى حاجة الى مواجهة نفسه والتردد أمامها لأنه لن يقوم بالانتحار بعدنا وبعفوية شديدة خرجت كلمات عبدالقادر تناشد الرفاق اعفاءه من هذه المهمة الثقيلة لا أيها القادة استمحيكم عذرا فلم أكد أصدق ان الله كتب لى النجاة بعد سماعى لتصنيف اليهود للشاردين منا وادراجى فى الفئة الثالثة مع المحظوظين.. ولقد توجهت بالشكر بعد الله لوالدى الذى بخل عن الانفاق على وتكملة تربيتى وتعليمى لا أكاد أصدق ذلك حتى أوقع نفسى فى شراك القيام بجريمة عسكرية قد تعرضنى لعقوبة الاعدام.. لو أن أحدا أبلغ العقيد عاطف قائد الكتيبة الحازم لما أفلت من رصاصات جماعة ضرب النار التى تقوم بتنفيذ عقوبة الاعدام على المحكوم عليهم بها..

أيها السادة لقد كنت نعم الأخ المطيع إليكم بل وكنت دائما أنا ورفاقى أكثر من الخدم رعاية وصونا لحضراتكم.. فلا تشعرونى أن مكافأتكم لى تكون بحرمانى من الهبة التى منحنا الله أياها وكتب لنا البقاء والحياة حتى مع تعرضنا لملاقاة اليهود على ضفة القناة حال وصولنا إليها.. انتهت كلمات عبدالقادر وأسلم الجميع بعدها الى الخلود للتفكير والصمت.. وتعجبوا من الأقدار.. حتى الموت الذى يكرهه كافة البشر أصبح صعب المنال.. عاد حلما.. وبات رفاهية لايمكن توفيرها.. أمير تمرد وصلاح اعترف بعدم قدرته على ذلك حتى لو كان هذا يدخله فى عداد الجبناء.. والرقيب عبدالقادر أعلن عن تخوفه من تعرضه لحساب وعقاب القائد وليس خشية عليهم وحبا فيهم.. يالسخرية القدر الموت الذى قيل فى الأوراد إنه الحقيقة المؤكدة فى هذه الحياة الدنيا أصبح متعذر الوجود وصعب التحقيق.. اعتدل شوقى فى جلسته وناشد الجميع أن يسمعوه بتركيز وأن يتبينوا مقصده والايسيئوا فهم غرضه وبنبرة خطابية وصوت جهورى قال: إن الله لن يتركنا نهبا لرصاصات اليهود أو فريسة لنيرانهم.. كما أنه سينجينا من الوقوع فى أسرهم وملاقاة إذلالهم لو أن إرادة الله لم تشملنا برعايتها وعنايتها للحقنا

بزملائنا الشهداء الأبرار ولواجهنا نفس المصير الذى واجهه الشهيد سيد عبدالغفار والشهيد سيد ياسين والرائد رمسيس رياض والنقيب ممدوح والرقيب فاروق وعلى سليمان وغيرهم وغيرهم ممن لاتسعفنى الذاكرة على ذكرهم.. لكانت أجسادنا مسجاة منذ فترة فى قبورها بلا حركة ولا حياة .. لكانت أرواحنا قد صعدت إلى بارئها فى هدوء واستلمتها الملائكة يفردون لها الصحف وينشرون لها الأعمال أبعد أن شملتنا العناية الإلهية برحمتها وحفتنا حماية الله بعطفه وقدرته نقوم نحن ببعثرة هذه الهبات وإهدار هذه النعم.. مالكم أيها الرفاق تلقون أسلحتكم المعنوية فى يأس وتسلمون مقدراتكم فى قنوط وتفقدون مقاومتكم بغرابة.. سيطر عليكم الخوف من المجهول وهزتكم بعض الكلمات التى صدرت بلا تحفظ من أفراد لايتسلحون بالإيمان ولا يعرفون اليقين ، خارت قواهم وقرروا التسليم تحت ضغط مارأوه على ضفة القناة.. ربما خدعتهم أبصارهم وربما تغير موقف اليهود وربما شملنا الله برعايته وأنقذنا كما أنقذنا من قبل من عدة مواقف وصعاب كان أقلها كفيلا بالتسبب فى هلاكنا وفنائنا.

وأردف شوقى يكمل محاولات إقناعه لرفاقه بنبذ فكرة الانتحار قائلا: لابد أن الله قد أراد بنا خيرا أذ نجانا حتى الآن مما حاق برفاقنا من أخطار نالت منهم وواجهوا معها الموت فلنكن شاكرين لفضله حامدين لعطفه طائعين لأوامره.. ويجب علينا أن نمعن فكرنا بهدوء ونجهد ذهننا بتركيز فى محاولة جادة للخروج من هذا المأزق الحرج.. لا أن نفكر بهذه السذاجة وتلك السطحية فى التخلص من حياتنا والانتحار بأيدينا.. إنه الضعف بعينه.. إنه هروب من أقدارنا.. إنه مروق وعصيان لأوامر الله.. لن يكون الخوف من أهوال الأسر وما سمعناه عن قسوة اليهود وفظاظتهم مع أسراهم مبررا لنا أمام الله يبيح لنا الأقدام على هذه الفعلة الشنعاء.. بل على العكس إنه يعرضنا لغضبه ويحكم علينا بدخول النار.. اسمحوا لى أيها الرفاق أن أعلن أمامكم رفضى لهذه الفكرة ودحضى لهذا الاقتراح وبرغم اعتراف

بفضلكم وامتنانى لتعاونكم معى غير أننى أفضل الاستمرار فى مواجهة تلك الأخطار عن الركون إلى هذا القرار الخاطىء بالتخلص من الحياة. وحتى مع مواجهتى لاحتمالات الأسر على يد اليهود وحتى مع اعترافى وتوقعى لألوان وصنوف العذابات المختلفة.. غير أننى أفضلها راضيا بها على الاعتراض على مقدرات الله ومواجهة غضبه والتعرض لارتكاب أفظع المعاصى والآثام واقتراف جريمة الانتحار.

وقعت كلمات شوقى على نفوس الرفاق بلسما شافيا لهم من الآثار المدمرة للفكرة الطائشة التى اقترحها صلاح.. ورفعت قليلا من معنوياتهم المنهارة وروحهم المتهالكة.. وران الصمت عليهم من جديد كل يفكر فيما تكون عليه الخطوة التالية وكيف لهم الخلاص وكان لابد من طرح القضية للمناقشة وإتاحة الفرصة المتساوية أمام الجميع للتدبر والتفكير.. المفاضلة إذن بين خيارين.. الحركة صوب القناة مع احتمال التعرض لمواجهة اليهود ومن ثم الوقوع فى الأسر أو الاستشهاد.. أم الخلود والبقاء فى موقعهم ولو حتى على سبيل الانتظار المؤقت.

وعاد صلاح يطرح القضية للمناقشة فالخياران غير مأمونين العواقب.. الأول وهو التقدم صوب القناة ستكون نهايته المحتومة ملاقاة اليهود.. أما الثانى فليس لهم قبل باستمراره من أين لهم الغذاء والشراب؟.. نعم هم على مشارف مدينة رمانة التى تبعد عدة مئات من الأمتار عنهم.. لكنهم لايستطيعون الدخول إليها أو التعامل مع أهلها.. فلربما فرض اليهود حصارا حولها وانتشر جنودهم فى طرقاتها.. يعيثون فيها فسادا ويعبثون بمقدرات أهلها وزائريها.. وتحدث صلاح بنبرات عميقة حزينة.. بالرغم من الآثار المؤلمة التى سببها اقتراحى غير الموفق وماتبعه من هجوم شرس للأخ أمير على شخصى رغم نزاهة ونظافة توجهاتى إلا أنه لابد لى من الاضطلاع بواجبى ومادمتم قد قبلتمونى قائدا مؤقتا لحضراتكم خلال مشوارنا الصعب بحكم أقدميتى وسنى فلابد أن تكون لى المبادرة فى بحث مانتعرض إليه من أخطار

ولعلى أرى أنه لامناص أمامنا من إرسال بعض الرفاق إلى حوانيت رمانة يبتاعون منها بعض الغذاء والأطعمة ويحاولون إعادة ملء زمازمنا وإمدادنا ببعض الفواكه والثمار ولعلى أترك لكم اختيار من يصلح للمهمة لكننى احتفظ لنفسى بضرورة الحذر كل الحذر فى اختيار من يقوم بها واقترح أن يكونوا من الجنود.

بسرعة تم تكليف الرقيب عبدالقادر ومعه اثنان من الجنود كانت هيئتهم تدل دلالة واضحة على أنهم ليسوا من فئة الضباط وعلى بركة الله توكلوا موجهين وجهتهم شطر مدينة رمانة.. بينما جلس بقية الرفاق يتناقشون فى خطوتهم التالية لتحديد مصيرهم المجهول، لم يفت صلاح بوصفه قائد المجموعة من أن يتأكد بنفسه من هيئة المجموعة التى تكلفت بإحضار الغذاء من حوانيت رمانة وتوصية عبدالقادر بتفادى أى مواجهة مع جنود اليهود إذا كان لهم تواجد بطرقات المدينة مهما كلفه ذلك ولو كان على حساب العودة دون شراء مايلزمهم من طعام وشراب لأنه أفضل كثيرا من الصدام معهم.

ورغم أن صلاح فتح باب المناقشة أمام الجميع فى الحديث وناشدهم على أن يدلوا بدلوهم فى تحديد مستقبلهم وتقرير ملامح خطوتهم التالية.. غير أن أحدا منهم لم يجد لديه الرغبة فى الكلام.. ضاقت الحلقة واستحكمت العراقيل وسدت المنافذ وليس من سبيل أمامهم إلى النجاة. ضرب الفشل أطنابه فى النفوس واحكم القنوط فى العزائم وخارت القوى وتهاوت المقاومات.. شرد الجميع بنظراتهم وزاغت الأبصار وطاشت الأفكار.

وهم على حالهم هذا وصل عبدالقادر ورفيقه وحملوا ثلاثتهم بعض الأرغفة الآلية وبعض الأطعمة الشهية والثمار الناضجة.. ورغم إحساس الرفاق بالجوع ورغم عوزهم الواضح طوال الرحلة غير أن النفس افتقدت الشهية وعافت الأطعمة وظلت الأكف على الخدود وانطلقت الخيالات فى محاولة لفك رموز وطلاسم موقفهم الغامض.

حب .. وحرب ٢٥

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الأشجان
الحسان

الأعرابى الحافى

تفرس شوقى فى جموع المعزين لعله يتبين منها ما يعينه على تأكيد استنتاجه بأن شقيقته الكبرى هى الفقيدة بعينها .. وليس غيرها .. كان القارىء يتلو آيات الذكر الحكيم ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون .. كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (صدق الله العظيم).

رأى أشقاء زوج شقيقته الصغرى يقفون بجواره وقد بدا على وجوههم مظاهر فرط التأثر والحزن حمر الوجوه متورمو الأعين من البكاء.. بعث هذا المشهد فى نفسه بعض الشك .. لم تكن علاقة أسرة زوج شقيقته الصغرى قوية لهذه الدرجة بشقيقته الكبرى بل لعل الشقيقتين لم تكن تتبادلان الزيارات الأسرية لاختلاف طبائع وسمات الزوجين فما بال أشقاء زوج شقيقته يبالغون فى تأثرهم .. أتكون شقيقته الصغرى هى الفقيدة؟ .. إنه لم يتأكد بعد من شىء .. تداخلت الأمور تضاربت الاستنتاجات .. لم يعد يدرى من الفقيدة كل ما يدريه أنها ليست والدته .. ويحمد الله كثيراً على ذلك . فلقد أبقاها الله له ليبثها شوقه ويواسيها فى مصائبها بالرغم من أنه يستحق نفس القدر من المواساة .. إنه يحب أشقاءه حبا جما .. كان لايستطيع فراقهم ولايقوى على الاستغناء عنهم..

ومن فرط جـزعه وعجـزه عاد بذهنـه من جديد ليتـذكر رفـاقه وهـم جـالســون وكأن على رؤوسهم الطير على مشـارف رمـانــة .. لاتـزال الأطعمـة التى جلبهـا عبـدالقـادر أمـامهم لم تمس .. أفـواههم مطبقـة ونفسـهم مسـدودة حتى عن الكلام فمابـالك بتناول الطعـام أنه يحتـاج لقدر كبير من التـوافق مع الذات وذواتهم أصـلا منهارة .. ومعنـوياتهم منعدمة.

بينما هم سـاهون لمح أمير وكـان لايزال معرضـا عن المجمـوعة ولم ينس بعد حـالة الهياج التى انتابته اعـرابيا يسير بجوارهم كانـت ثيابه رثة ولحيته كثه وأثمالـه بالية ممزقة ومرتقـة .. كان ميمما وجهته شطر الشمال قادما من اتجاه القناة ناداه وبادره بالسؤال عما تبحث وإلى أين تتجه؟ ورد الاعـرابى بعفويـة لا أبحث عن شىء واسير فى اتجاه قبيلتى المنتشرة على بعد عـدة كيلو مترات من المنطقـة .. وأين كنت؟ ورد الرجل بنفس التلقائيـة .. كنت فى مهمة انسانيـة مع بعض الرجـال الشاردين.. قمت بقيادتهم متفاديا أمـاكن تمركز وانتشار اليهود وحتى أوصلتهم إلى الضفة الغربية للقناة.

آه .. أطلقـوهـا جميعـا هـذه المرة بسعـادة غـامـرة وكأن الاعـرابى انتشلهم من الغرق من بحـر الصحراء المظلم .. وكأنه قادهم فعـلا نحو النجاة وصـوب الخلاص، نسوا حـالتهم النفسية المكتئبـة وتبدد اليأس الذى تفشى بينهم والـدمار الـذى حاق بهم .. آه لقد جـاء الفرج وارسل الله معجزتـه متمثلة فى هـذا الاعرابى الحافى . إنها ارادة الله التـى تفرض مقـدراتها على رقـاب الجميع فما بـالك بـاليهـود الملاعين الخارجين عن تعـاليم الأديـان المحـرفين للرســالات السماويـة الســائرين على بروتـوكولاتهم الوضعية . إن تـرتيب السماء خير من تدابير البشر حتى ولـو اجتمعوا على كلمـة رجل واحـد .. يالـرحمة الله بعبـاده .. يالقـدرة الخالق ببشره ، إنـه الواهب الـرحمن الرحيم .. عجـزوا تماماً عن نجـدة أنفسـهم.. وقبل أن يستسلمـوا لحتفهم وتضيق بهم السبل وتعـز عليهم الحياة أرسل اليهم معجزته وبعث لهم المدد ووهبهم العون .. ومأدراهم

بأنـه اعرابى ربما كـان ملكـا من السماء أرسلـه الله ليهديهم إلى طـريق الانقاذ .. ربما كان من أولياء الله الصـالحين دفعه الله اليهم لانتشال تلك الأرواح والأنفس الطاهـرة البريئة قبل أن ترتكب جـريمتها وتتخلص من حياتها وتزهق روحها .. مادام الله قـدر لهم الحياة فلن تقف أمام قدرته ارادة ولن تعترض مشيئتـه عقبـة .. الحمـدلله الحمـدلله رددهـا الجميع بصـوت خـاشع .. نطقت بها القلـوب .. وهتفت بها الأفئـدة تضرعـا وامتنـانـا لله عـز وجل أن كتب لهم الحيـاة بعـد أن اشرفـوا على الهلاك وامتـدت لهم يد العنـاية الالهيـة لتنقـذهم من المصير المؤلم الذى كـان ينتظرهم ويخيم على مسيرتهم.

بمجـرد ان استمع شوقى لاجـابـات الأعرابـى استعد بأسهل مهمـة وهى اتمام الاتفـاق مع الـرجل لتكـرار مشـواره الـذى انقـذ بـه أرواح زملائهم من قبل وخطب وده واستنفر تعاطفه عنـدما بادره بقوله أليس من الممكن أن تقـوم بعملٍ بطولى للمـرة الثانيـة فى وقت قياسي وتعـاود قطع هـذا المشوار الشـاق فى محاولـة انقاذنـا وقيـادتنا بعيـداً عن أعين ومتنـاول اليهـود ؟.. اننا لـن ننسى لك هذا الجميـل ما حيينـا إن هـذا الصنيع سيطوق أعناقنا بفضل لن نبخسك حقك فيه ابداً وسيكون بيننا وبينك وصـال لاينقطع وأواصر لاتنفصم .. وكيف لايحدث هذا التقـارب بيننا وبينك وقد انتشلت أرواحنـا من مستنقع الموت وأنقذت انفسنا من هاوية الاسر.

لم يستمع الرجل لكـل توسلات شـوقى وكلماته المشجعـة .. وسأله بسفـور شديـد .. كم سأتقاضـى منكم مقـابل مشوارى معكم لقـد دفع السابقـون خمسين جنيها للفرد الـواحد .. وأراكم تـزيدون عن العشرة.. وأتـوقـعُ أن يـرتفع المبلغ إلى الخمسمائة جنيـه .. فغـر شـوقـى فـاه وارتسمت على مـلامح الـرفاق آيـات الاستغـراب والتعجب .. لم يخجل الرجل من أن يطالب بأجر مادى نظير قيـامه بمهمة وطنية انسانية.. الا يعلم أن المادة إذا تدخلت فى مثل هذه الاعمال القومية انتفت عنها الملامح الداخلية المخلصـة وحرمتها من الدوافع الرفيعة السـامية لكنهم شعروا

بعد برهة أنهم يظلمونه وأنهم بـالغوا فى تقييمه .. الرجل اعرابى مسكين ليس لديه قـوت يومه ولايملك ما يدفع عنـه عوز الاحتياج وربما الجوع فكيف يتحلى بمثل هـــذه الشعـارات التى ليس لها أى وجـــود فى عـالمه المتخلف! كيف له اهدار تلك الفـرصة التى لن يجود الزمان بمثلهـا ماله هو ومـالهذا الكلام الضخم الفخم الـذى لايفهم ابعاده ولايدرك مـراميه إنها مهمة كأى مهمـة يقوم بها فى قبيلته يستـأجره رجال القبيلـة لرعى الأغنام بمقابل .. ربما لايكون بـالجنيهات وربما اكتفى بأحدى الصغار الـوليدة وبعض الألبـان المنتجة .. أنـه لم يـر من قبل مثل هذه المبـالغ الكبيرة .. ولعله لم يشـاهد الورقـة فئة العشر جنيهات فى حيـاته الا بين يدى زعيم القبيلة نفســه ما عليه من كل هذا إنــه أمام صفقة كبيرة ربما رفعته من عداد الـرجال الذين يعملون بالأجـر إلى بعض أصحاب النفوذ بين القبيلـــة من الـذين يلعبـــون أدوارا هـامـــة ويتـدخلـــون فى رسم استراتيجيتها وبحث واتخاذ قراراتها المصيرية..

فلنتفق اذن على المقابل الذى تطلبه قـالها شوقى وقضى بكلماته على حالـة الشرود التى انتابت المجموعـة وهم يتفرسون فى الأعـرابى ويكاد ينقضون عليـه للفتك به .. لم يرد شـوقى اهدار الأمل الذى لاح مـؤخرا وبدد الظلمة الحالكة والعتمة القاتمة لن أزيدكم عن المهمة السابقة لى مع زملائكم بالرغم من أن قدماى لم تعد قادرتين على حملى وطاقتى لم تعد تستطيع تحمل مهام أخـرى.. أراد الأعرابى بمقولتـه أن يستحث شوقى على الـدفع ويخاطب إنسـانيتـه لاجـــزال العطـاء ويثير فى نفس الـوقت حفيظته وشكوكه من أنه قد يرفـض القيام بالمهمة تماما وبهذا يكون قد هدم آخر آمالهم فى البقاء ودمر مـا تبقى لهم من مقاومة وأجاب شـوقى من فوره .. ماعلى فأنا أضمن لك المبلغ الـذى حددته لكننى أود توضيح أمـر قد يكـون خافيـا عليك اننا ننقسم فيما بيننـا إلى ضباط وجنـود.. الضبـاط قـادرون على دفع المبلغ الـــذى طلبتـه بكـاملـه لكن الجنـود سـيرافقوننا دون مقـابل .. هكذا هم دائماً منذ بدأنا المشـوار لايشـاركون فى الـدفع لأن مرتبـاتهم لاتكاد تكفيهـم الخمسة أيـام الأولى من يونيـو

لضآلتها وطالما اتفقنا على ذلك فإنه لك فى ذمتى مائتان وخمسون جنيها نظير قيادتك لنـا نحن الخمسة اتعهد بـدفعها لك بمجرد وصولنـا إلى بر الأمان الذى تعرفه .. لم تظهر على ملامح الرجل أى بادرة رضا ولم يبد أى استعـداد للحـركـة وكأنـه لم يعجبـه الاتفـاق ولم يعتمـده .. اقترب شـوقى أكثر من الاعـرابى فى محاولة لاستمالتـه وترضيتـه .. ربت على كتفه قائلا مالك يا أخا العـرب وكأنك تبدو غير راض .. لقد وعدتك بدفع المبلغ الذى حددته وناشدتك بـاعفاء الجنود من الدفع لظروفهم الصعبة وبعد كل هذا لابد أن تقدر بمشاعر الامتنان التى نحملها لك نظير قيامك بهذ الجهد المضنى وما ننويه من تسجيل ذلك فى التقارير التى سنرفعها لقيادتنـا نعترف فيها بفضلك ونمجد فيها تضحيـاتك .. لم يكن الأعرابى يسمع أى كلمات قد تبعده عن صفقته المادية فلقد كان اعترافه فقط بلغة النقود أما سلاح المعنويات وعبـارات الاشادة والمديح فقد كانت بالنسبة له عملـة مزيفة لاتعرف طـريقها إلى قلبه وعقلـه .. إذا كنتم موافقين على المبلغ فلماذا لم أر للآن أى نقـود؟ لماذا لاتقومون بالدفـع الفورى؟ قالها الاعـرابى وهـو مـادا يـده ويتهيأ لاستقبـال المبلغ لم يفت شـوقى مـا استحثه الأعـرابى عليه لكنه لم يفهم دوافعـه إلى ذلك .. وقال بهدوء لماذا تصر على تحصيل المبلغ الآن وقد وعـدتك بدفعـه فور وصولنـا إلى مرفأ النجاة الذى ستقودنا نحـوه .. وماذا يضمن لنا نجاح مهمتك .. ثم الأمر الأهم من كل هـذا أليس من الممكن أن أقوم بـدفـع المبلغ بكاملـه الآن ثم اغتصبك ايـاه بمجـرد وصـولنـا إلى غايتنـا؟ فـرغ شـوقى من اطـلاق استفسـاراته وكأن الأعـرابى تـوقعها مسبقـاً .. وبهدوء قـاتل وتلقائيـة فطريـة قال الـرجل .. مشواركم الـذى سأقطعه معكم أحفظـه عن ظهر قلب ولم أكد انتهى منـه منذ ثوان معـدودة ولا أدعى أننى أعرف دروب أغـوار سيناء فحسب فـأنا أزعم أننى عليم بكل شبر فيهـا، حـافظ لكل معالمهـا، واع بكل ابعادهـا وملامحهـا .. ونحن لن نختلف على ذلك فإذا كنتم غير واثقين من نجاحى فى مهمتى معكم فـلا تغامروا باسنـادها لى ولتبحثـوا لكم عنـد بـديل كفء غيرى أو حتى تعتمـدوا على أنفسكم

وعلمكم ، معـداتكم الحديثة التى أراهـا بين ايـديكم وتريحونى من هـذا العبء الثقيل .. أما إذا لم يغـامركم الشك فى هـذا لنتوكل سـويا على الله ولنعتمد على توفيقه وهدايته ..

وأضـاف الاعـرابى هذا مـن حيث المهمة أمـا عن المقـابل وامكـانكم استرداده حـالـة وصـولكم إلى غـايتكـم منى عنـوة فلن يكـون هـذا فى مقـدوركم لسبب بسيط هـو أننى سأدفنـه فى الـرمال أمـامكم بمجـرد استلامى لـه .. وسأنقب عنه واستخلصـه لنفسى وأنا فى طـريق العودة وهذا مافعلته فى مهمتى الأولى ولعلكم تلاحظون أننى لاأحمل نقداً وإنما فى طريقى اليها حيث قابلت الرجال السابقين على بعد أمتار من مجلسكم هذا..

تبين الرجـال أنهم أمام شخصيـة واعية وليست كما تصـوروها من سذاجـة.. واستحال عليهم القيام بأى نـوع من أنواع المناورة معـه وما عليهم إلا الاذعـان والتسليـم .. ولم يكن أمـام شـوقـى سـوى أن يهم بتحصيل مبلغ الخمسين جنيهـا من زملائه وبمجرد أن أومـأ اليهم بادر الرفـاق بمناولتـه اياها واجتمعت كلمتهم على الموافقـة وسلمها بكـاملها لـلأعرابـى الذى أعـاد عـدها والتتميم عليهـا وبعـد أن اطمأن لاكتمالها استأذنهم فى الابتعـاد عـدة خطوات وقـام بـربطهـا ووضعها فى حفـرة صغيرة وضع فوقها حجرا مميـزاً من المنتشر بالمنطقة وعاد اليهم ينبئهم أنه على أهبة الاستعداد للبدء.

كان لابد أن يتحـاور همام عين الجماعة أكثر أفرادها إلمامـا بالملاحة البرية مع الإعرابى ويتفهم منه وجهتـه حتى لايفاجأ الجميع بوقوعهم فى قبضة اليهود وانتهاء أملهم فى البقاء وبادره همام صف لى يا أخا العرب ماذا أنت فـاعل بنا وفى محـاولة لترضيتـه وعدم اغضابـه أردف قائلا .. نحن لانتشكك فى قدرتك بل لعلنـا نثق تماما فيها لكن من بـاب التشاور نود أن تشـارك الرأى وبعـد أن نقتنع لن يكون لنـا معك أى اعتراض أو مقاومة ودون أى اكتراث أو أى تـردد تحدث الأعرابى وقد اطمأن إلى أن المبلغ الذى تقـاضاه لن يصل العفـريت إليه بعـد أن اخفاه فى الـرمال ..

وهذا كل مايعنيـه لايهمه أى شىء سواه وحتى لو أنهم تعـرفوا على خط السير وأرادوا أن يقطعوه بمفردهم فيلفعلوا ويكون قـد فاز هو بالمكافأة دون أن يبـذل أى جهد أو مشقـة .. انتم الآن تسيرون بمحازاة الطـريق الشمالى فى اتجاه القنطرة .. ومـادام القنطرة قـد وقعت فى قبضـة اليهود فهى اذن لاتصلح الآن لاستقبالكم

وما علينـا إلا أن نغير خط السير تماما ونتحـول بمحازاة القنـاة بعد أن نقطع الطـريق الشمالى فى اتجاه بـورفـؤاد وأردف الاعـرابى وكأنـه يشرح خطة عمليات كاملة .. أمـامنا الآن تحفظان الأول أن نقطع الطريق الشمالى قبل حلول النهار حتى لاتكون قـافلة الشمال اليهودية التى تقل الأسرى إلى المعتقـلات فى طريقهـا صـوب العـريش .. ثـانيا أن نتفـادى المشى فى الملاحـات حتى لا تستنزف الجزء الأكبر مـن طاقتكم وتبعثـر جهدكم وحاوره همام اذن بورفؤاد مازالـت صامدة تقاوم اليهود .. قال الاعرابى وكأن شيئـا لايعنيه اليهود لم يحاولـوا اصلا اقتحام بـورفؤاد ولعل هـذه المدينة فى حمايـة الملاحـات والأرض الغرز المنتشرة حـولها.. اليهود يدركون تماما طبيعة وطبوغـرافية المنطقة انتشروا بدباباتهم فقط على ضفـة القناة الشرقيـة وابتعدوا عن منـاطق الغرز حتى لا تتعـرض دبابـاتهم لأى خسـائر .. وواصل همام استفسـاراته .. وكـم بيننا وبين بـورفؤاد؟ ليس أقل من سبعين كيلـو مترا هكذا رد الأعـرابى باقتضـاب أولا هناك عشرة كيلو مترات أو تزيد قليلا بيننا وبين الطريق الشمالى ثم بعد ذلك مايقـرب من ستين كيلومترا أخرى بين القنطرة وبـورفؤاد قالها الأعرابى واضعـا فى اعتباره انهم سيسلكـون طرقـاً ممهدة وأن هـذا قد يزيد المسافة طولا .. ونظر همام إلى رفـاقه وكأنه يقول بعينيه إنه مقتنع بما قاله الرجل شريطة أن تكون معلـوماته صحيحة فبعد الأيام العجاف التى أمضـوها فى قطع المسـافـات الطويلـة سيرا على الأقدام والاخطـار والأهوال التى صـادفوها لم يعـد لديهم ثقة فى أى شىء سـوى فى قدرة الله وعنايته ولطفـه بمجموعتهم والذى ابقاهم حتـى الآن على قيد الحياة والا لكانوا جميعاً من الهالكين .

عقد الـرفاق الخمسـة اجتماعاً مغلقـاً مستغلين انشغال الاعـرابى ف احـاديث جانبيـة مع الجنود ليتـدبروا أمـرهم ويحسموا كلمتهم .. فقـد كانت الخطوة التاليـة تعنى الكثير .. لم يكن المبلغ الضـخم الذى تقاضاه الأعرابى يشكل أى أهمية لهم، انعدم احساسهم بقيمة الماديات بل لعلهم شاهدوا أمير السبكى وهو يصنع لفـائف التبغ بلف بعض الدخان الذى حصل عليه من العرب الرحل بـورق الجنيهات الخضراء .. كان احتياجه للتدخين يفـوق حرصه على الأوراق الماليـة التى لاتشكل بالنسبـة له أى مقابل.. انها مجرد أوراق لاعائد منها ولافائدة لها لكنهم يودون مراجعة معلوماتهم للتأكد من سلامـة تحركاتهم صوب بورفؤاد .. لم يكن همام أكثر منهم درايـة أو معرفة بعـد أن بلغوا هذا المنعطف واضطـر صلاح للتدخل مادمنا جميعا نستوى ف الجهل بطبو غرافية المكان فليس أمامنا إلا أن نعقلها ونتوكل .. فلن يكون تحركنا هو أسوأ ما تعرضنا له خلال مسيرتنـا على الأقل أنه أفضل من الاستسـلام وليس أمامنـا سبيل غير الاعتماد على هذا الاعـرابى الجشع ونسلم له قيـادتنا .. من يـدرينا لعل الله ارسلـه لنا لينقـذنا ممـا يحيق بنـا ولاتدركـه بصائرنـا .. واجتمعت كلمتهم على أن قيـادة الأعـرابى لهم ف الفترة القـادمـة ليس لها بـديل.. وكـان الـرجل قد دنـا منهم والشمس قـد مـالت للمغيب واختفى بـريق أشعتها وتـوارت أضواؤها ف الشفق الأحمر الـداكن فأحالت الـرمال إلى حمرة مصفرة أشبه بمناجم الحديد..

تحدث الأعرابى بعـد أن انتصب أمامهم وسألهم هـل أنتم مستعدون يا رفاق ؟ورد الجميع على بـركة الله فلنبدأ مسيرتنا ولنتـوكل على مولانا وهـادينا وتقـدم همام إلى الأمام ف محاولـة للمشـاركة ف القيـادة لكن الأعرابى قال له لن تجديك بـوصلتهم ولن اعتمد على معداتك هى لك أما أنـا فيكفينى النجمات السـاطعـات والتى ستتـلألأ ف كبـد السماء بعـد سويعات قليلـة .. ومضى الجميع تحفهم عناية السماء وترعـاهم بركات الرب ويتوجهون بقلوبهم إليه أن يمنحهم التوفيق ف المرحلة الأخيرة من مشوارهم الشاق.

حب ..
وحرب ١٦

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الثلاثات

الملاحقات

تسرب إلى شوقى احساس باليأس وهـو يستسلم إلى العقبة الكئود التى حـرمتـه من قطع الخطـوات القليلة التى تفصلـه عن منـزلهم والمتمثلـة فى السرادق الضخم الذى أقيم أمامه.. وتضاعف هذا اليأس عندما فشل فى فك رموز الطلسـم وتحديد شخصيـة الفقيدة بعد أن تضـاربت الاستنتـاجات وتداخلت التوقعات وتعارضت المشـاهد.. مرة قطع بأن شقيقته الكبرى هى التى أقيم من أجلهـا السرادق الشاهق ومـرة أخـرى تصور أنها الصغـرى ومع حيرته فى تحديـد شخصية الفقيدة ومع استسلامـه للبقاء فى وقفته إلى أن ينفض جموع المعزين من تأديـة واجب العزاء انطلـق خيالـه فى اجترار ذكريات المشـوار الرهيب والاخطار التى صادفتهم مـع كل لحظة مروا بها إلى أن اسلمـوا قيـادتهم لـلأعـرابى وغيروا من مسـارهم ليكـون اتجاههم صوب بور فؤاد بدلا من القنطرة.

استمـرت الجماعة على سيرهـا منـذ الغـروب وحتى فجـر اليوم التـالى لم تتوقف إلا للحظـات لتبادل الرأى والمشورة.. فقد كـان من المفروض أن يعبروا الطـريق الشمالى فى جنح الظلام قبـل أن يطلع النهار حتى يتفـادوا مـواجهة تحركـات اليهـود النشطـة التى تبدأ منـذ الصبـاح البـاكر عليـه وبحسبة بسيطة ومع التسليم بأن المسافة التى كانت تفصلهم عن الطريق الشمالى لاتزيد عن عشرة كيلو مترات فقد كان عليهم إذا صحت وجهتهم أن

يعبروا الطريق فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.. إلا أن هذا لم يحدث وقد قاربت الساعة الخامسة وأصبح النهار على الأبواب وبات وقوعهم فى أيدى اليهود أمرا متوقعا فيما لو استمروا على سيرهم دون توقف.. وتدخل صلاح وقال للأعرابى أراك قد ضللت الطريق وحدت عن الاتجاه السليم وإلا لكنا قد عبرنا الطريق الشمالى منذ مدة.. وقبل أن يرد الاعرابى عاجله همام قائلا اننا نحاسبك على اتفاقك معنا لقد قلت اننا سنعبر الطريق الشمالى ونحن نسير فى محازاة القناة فى اتجاهنا صوب بورفؤاد.. وبما اننا لم نكن نبعد عن الطريق سوى بضعة كيلو مترات فمالنا لم نعبره حتى الآن؟ وتلعثم الاعرابى ولم يحر جوابا.. فأدرك الرفاق أنهم تاهوا بين التباب والكثبان الرملية المتماثلة خاصة وأن الاعرابى كان يفضل السير نهارا غير انهم أصروا على اتباع أسلوبهم التقليدى فى الخلود إلى الراحة نهارا والسير ليلا احتماء بستره وتفاديا للعطش الذى قد يصيبهم لفقدهم لكثير من العرق خلال السير.

وللمرة الثانية استرد صلاح القيادة من الاعرابى وقال لرفاقه فلنتوقف فى مكاننا ونمضى بقية النهار فيه لاننا لانضمن عواقب استمرارنا فى السير.. من الواضح ان اخانا الأعرابى قد تداخلت عليه الهيئات وفقد اتجاهه الصحيح وحتى نبتعد عن المحظور فلنفكر فى كيفية تهيئة المكان لاستقبالنا طوال ساعات النهار وحجب أشعة الشمس عن أن تلفح وجوهنا وأجسامنا خاصة وقت القيلولة التى لاتطاق..

وبدأ كل عضو فى المجموعة يفكر فى قرار صلاح وبسرعة طافوا فى المكان يبحثون عن شىء يحميهم من حرارة الشمس.. وتحدث همام قبل أن يبتعد الرجال عن المكان سنحفر عدة حفر مستطيلة الشكل بحيث تكفى كل حفرة لشخصين معا.. ولنبحث فى المنطقة عن بعض الشجيرات «وكدى الحشيش» وهى نوع من أنواع الزرع يطلع عشوائيا بالصحراء وشديد الشبه بورد النيل ينمو ويتكاثر تلقائيا على صفحته لتغطية الحفر بعد الولوج فيها.. وبذلوا كثيرا من الجهد فى البحث عن مواد تصلح لتغطية الحفر التى ستؤويهم طوال نهارهم إلا أن جهدهم راح سدى فلم يكن

بـا المنطقة مـايمكن الاعتماد عليـه أو الركـون إليـه.. اختار كل اثنين حفـرة صغيرة تم حفـرها على عجل وقـاموا بتغطيتهـا ببعض الحشائش بسرعـة فـائقة وقبـل أن تقهر أشعـة الشمس المضيئـة عتمة الليـل الداكنـة تحول الرجال إلى عدة قبور اختيارية ضم كل واحد منها فردين.

اختـار صلاح لـرفقتـه همام.. واستسلم شـوقى لحضن رستم وسكن أمير خاضعـا لظلم الاقـدمية إلى صدر الـرقيب عبد القـادر برغـم اختلاف المشارب والابعـاد.. واطمأنوا إلى أن الاعرابى قـد قبع فى حضن فرغلى دون مقاومـة حتى لايطلق سـاقيه للـريح بعد أول عقبـة صادفتـه فى قيادتهم.. وقبل أن يتـوارى الفجـر وتصدح أشعـة الشمس تعلن عن انبـلاج النهـار استسلم الرفـاق لحالة من السبات الاجبارى تفـاديا من مواجهات قـدرية ليس لهم قبل بمواجهتهـا.. أشعة الشمس الملتهبة فى هـذا التوقيت الصيفى الحار والتى كادت من قبل أن تودى بحيـاتهم عطشا وظمأ على مشارف بير العبد واليهود الـذين يتحولون مع بداية الصبح إلى خـلايا دؤوب تتحرك فى كل اتجاه لتعزيز مواقعهم وامداد رجالهم باحتياجاتهم الأساسية.

قطع سكونهم العميق صوت أشبه بالصراخ.. النجدة.. النجدة.. فلتهبوا من سباتهم أيها الرفاق.. فلتلحقـوا أنفسكم قبل أن يحيق بكم خطر مؤكد.. انكم على مشارف الأسر.. انكم تنامون على فـوهة بركان.. وانتفض الجميع خـارجين من قبـورهم الاختيـارية لتلمس الأخبـار والـوقـوف على دوافع الصراخ.. ويالهول مـا رأوا.. وجدوا همام وقد وقف مذهـولا لايقوى إلا على أن يشير بـاصبعـه صـوب الغـرب.. التفتـوا إلى حيث أشـار.. لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينـوا الخطـر القطيع المحدق بهم.. رأوا أنهم اختـاروا قبورهـم فى جنح الظلام وهى لاتبعـد خطوات قليلة من الطـريق الشمالى.. نعم انه الطـريق بامتداده الـداكن وأعمدة التليفـونات المصطفة على جـانبه الأيمن وأعمدة الاضـاءة المنتشرة حول ضفتيه وأرضـه الاسفلتيـة اللامعة.. جاءت صرخـة همام عندما هب من سبـاته بعد أن اكتشف انـه نسـى قضاء حاجتـه قبل أن يركن إلى حضن صـلاح.. وكان الصبح قد بـدأ نشر أشعته فشملت المنطقة وأوضحت الرؤية .

وبدون اتفاق وبـلا قرار هرع الجميع يجرون بلا تـدبر أو ترتيب الكل يجرى بكل طاقته وبأسرع مايمكن ليتوغل الناحية الأخرى من الطريق قبل اكتمال ضوء النهار حتى لايراهم اليهود وهـم فى طريقهم مع قافلة الصباح المتجهة مـن القنطرة إلى العريـش.. تساوت الرؤوس فى سبـاقهم هربـا من شبح الأسر وبحثـا عن النجـاه.. الكل يحاول أن يحقق الـرقم القيـاسـى فى السرعة ليفلت بنفسه من مرمى نيران اليهـود لو أنهم أدركوهم.. ربما كانت المسافـة التى قد تنقـذهم من نيران اليهود مجرد خطـوة ينأوون بها خارج مـرمى النيران.. ظلوا على جـريهم دون ابطـاء.. الـروح غاليـة.. وجميعهم يتمسك بأهـداب الحياة.. سبحان الله وجل شـأنه.. من شاهـدهم وهم على هذا النحو من الفـزع والهلع لايتصور أنهم منذ فترة ليست بالطويلـة كانوا قد قـرروا الانتحار.. كان أقـربهم إلى شاطىء النجـاه معظم الجنود ومعهم على نفس الخط رستم ذو القوام الريـاضى المشوق والنفس الطويل فأمير ويأتى بعد ذلك كل من صلاح فهمام واحتل مؤخـرة السباق شوقى بساقه المعتلة وبرفقته الاعرابى المرهق من فعل المشوار الذى قطعه من قبل.

ظلت المجموعة تعدو منذ الساعة السادسة صباحا وحتى التاسعة وهى لاتصـدق أنها أصبحت فى مأمن.. ولم يتـوقف أحـد منهم عن العـدو حتى أيقنـوا أنهم خارج مـرامى كل الأسلحـة الصغيرة لليهود ولكن لايضمنـوا مطـاردة عـربـاتهم الجيب المجهـزة بمـدافع رشـاشـة اذن لايجب عليهم التوقف.. فليستمـروا فى الجرى لفترة أخرى حتى بعد أن خـارت مقاومتهم وضعفت قـدرتهم على الاستمـرار.. فجأة وجـدوا أنفسهم وسط مـلاحـة.. تغوص أقدامهم فيها أكثـر من نصف متر.. تتحطم القشرة الرقيقة العليا لها تحت وطأة ثقلهم وتصطدم أقدامهم بعد أن تقطع هـذه المسافة خلال المياه الملحية بنتوءات صلبة أشبه بالمسامير.. ومع كل خطوة ومع كل حركة تنال تلك المسامير من أقـدامهم فتدميها.. أصبح الـرفاق يتحركون وسط بـركة من الدماء.. اختلطت دماؤهم بالميـاه الملحة فأحالت لونها الأبيض إلى حمرة داكنـة.. وتغلغل الملح فى خلايـاهم فأصابهم بـالألم غير المحتمل.. ومع كل هذه المعاناة.. ومع هذه الآلام الفظيعـة لم يتوقف الركب إلا بعد أن انتصفت

الشمس كبد السماء.. استحالت الحركة مع هذه المقاومة الحادة.. لم تكن مسامير الملح هى العائق الوحيد أمام استمرار سيرهم.. وإنما تأثرت أقدامهم بالمياه الساخنة من حرارة الشمس .. ومع سخونة المياه والجروح التى ملأت أقدامهم.. التهبت سيقانهم واحمرت وبات عليهم ضرورة التصرف حيال هذه المستجدات التى لايمكن مواجهتها.. هذه الصعوبات التى حالت دون استمرار تقدمهم وتعذر معها سيرهم صوب بور فؤاد..

كان الاعرابى هو الوحيد بينهم الذى لم يتأثر بفعل النتوءات المحلية وسخونة المياه ..حبا الله قدميه بطبقة تستطيع مقاومة أى شىء.. لقد قطعت هذه الأقدام مئات الكيلو مترات دون كلل أو شكوى..

باتت قدماه أشبه بخف الجمل الذى يحمى أرجله من الغوص فى الرمال الناعمة والتأثر بسخونتها المحرقة.. كان الاعرابى يحاول قدر طاقته التخفيف عن بقية الرفاق تصور أنه المسئول الأول عن سلامتهم.. هو الذى أوقعهم فى هذا المطب غير مأمون العواقب كان أرحم لهم مواجهة أى شىء ولو حتى أهوال الأسر بمعسكرات اليهود ومعتقلاتهم عن التعرض لهذه الآلام غير المحتملة.. أصبح من المألوف أن يطلق كل فرد فى الجماعة صرخة ألم وصيحة جزع مع كل خطوة يخطوها.. وتبادل الرفاق الصرخات وأصبحوا يسيرون على مارشات ونغمات حادة تنطلق من أعماقهم فى محاولة للتخفيف عن معاناتهم الرهيبة.. كان همام أشدهم ألما وبالتالى أكثرهم وأعلاهم صياحا.. ومع أن بقية الرفاق لم يكونوا أقل منه تعرضا لمأساة السير فى الملاحات بأقدام حافية فى هذا الوقت القائظ إلا أن صرخاتهم كانت أكثر خفوتا. وأمام هذه الصرخات والتأوهات قرر صلاح التوقف ولو للحظات لامعان الفكر بعد استحالة الاستمرار..

ظل كل منهم فى مكانه بعد أن تعذر عليهم الاقتراب.. كل خطوة أصبح لها ثمن.. وكل حركة كانت تعنى مواجهة المزيد من الآلام والتعرض لجراح وأوجاع إضافية. لأول مرة يتبادل الرفاق المشورة بالصوت العالى والاشارات ماذا نحن فاعلون وكيف التصرف حيال هذا الموقف الحرج وقبل أن يتحدثوا بادرهم الاعرابى مؤكدا أن مابقى أقصر كثيرا مما قطعوه

وأنهم واصلـون لغـايتهم ببورفـؤاد لـو أنهم تـذرعوا بـالصبر وتسلحـوا بالمقاومة.. ورد عليـه صلاح أية مقاومة أيها الوغد لم تـذكر فى اتفاقنا معك اننا سنتعرض لمثل هذه المشقة وهـذه الآلام المبرحة بل لعلك حددت بلسانك أنك ستجشمنـا مشقة السير فى الملاحـات خاصـة وأننا غير مسلحين لهذه الآلام.. فقد تخلصنا من أحذيتنا منذ بدأنـا مشوارنا.. ولم يبق أمامنا مانقى به أقدامنا من مغبة هذه الأوجـاع المرعبة.. ان جراحنا رغم انها غير غائرة إلا انها كثيرة وتنـزف دماء غـزيرة وهـو مـاقد يعـرضنا للفنـاء قبل أن نصل لهدفنا الـوهمى الذى حـددته.. حـاول الاعرابى تبريـر موقفـه لكن كلماته تهاوت وسط صيحـات الــرجـال ومع ذلك أصر على الكـلام ليس بهدف اقناعهم بســلامة موقفه وإنما خـوفا من تعرضــه لبطشـهم وانتقامهم وهم يتعـرضون لهلاك مـؤكـد.. لاتنسـوا أن خوفكم بعـد أن اكتشفتم نـومكم بالقرب من الطريق جعلكم تجرون مذعورين دون تحديد اتجاه أو الالتزام بهدف.

وكان من الصعوبة الفائقة السيطرة على تحرككم أو التأثير فيكم.. ولقد حاولت مرارا توقيفكم لتعـديل اتجاهكم لكن ذهبت محاولاتى ادراج الرياح وليشهد على الأخ شوقـى الذى كان يجرى إلى جوارى بسبب ســاقه المعتلة وشهد شـوقى فعلا بما ساقه الاعـرابى من تبريرات وأكد أن الـرجل حاول لكن محاولاته ذهبت ســدى بسبب الفزع الذى استـولى على النفوس والهلع الذى حاق بـالرفاق.. ورغم صيحات الألم ورغم الأوجـاع التى فاق تأثيرها قوة تحمل البشر.. قال صلاح فلنفكـر فى كيفية تخفيف آثار الجروح وتقليل النزف منهـا لمزيد من المقاومة والبقـاء.. وبمجرد انتهائه من عبارتـه صاح أمير أيها الرفـاق لماذا لانقوم بـربط رجلنا كما يـربطها عمال الأسمنت وهم يصنعون خلطة «المسلح»، ان هذه الربطة تحول دون تأثر أقدامنا بنتوءات الملح وتقلل التهابها بفعل الميـاه الساخنــة لدرجة الغليـان ورد رستم وكان أقربهم لموقع أمير.. ولكن من أين لنا هذه الأربطـة وكيف نوفرها ونحن على هذه الحالة من العجـز.. وكأن أمير كان يتوقع مثل هذا الســؤال وأعد نفسه للرد عليــه.. ليس أمامنا الآن إلا مــلابسنا.. ومن حسن حظنا أن ثيـابنا من

قماش سميك النسيج قوى التحمل.. وقبل أن يتم تنقيح الفكـرة أو التحاور بشأنها بادره أمير سأصنعها لنفسى وما عليكم إلا تقليدى أو الاستمرار فى مواجهة الآلام.. وقبل أن يكمل عبـارته صدرت منه صرخـة مدوية تعبر عما شعر به من صـدمة عندما استسلمت مقعدته للمياه السـاخنة وهو يجلس عليها لـربط قدميه «بسترة الأفـرول».. استمر أمير فى ربط قـدميه وتحمل الآلام الفظيعة التى ألمت بمقعدته بفعل المـيـاه.. إلى أن انتهى من تنفيذ فكرته تنفس الصعداء واعتـدل واقفا وابتسم لزملائه قائلا: لم تصطـدم مقعدتى من قبل بهذه السخـونـة الشـديـدة.. وأنتم تعـرفـون أيها الـرفـاق مـدى حساسيـة هذا المكـان بل ومدى أهميته ولم يستطع الـرفاق منع ابتســامة باهتة علت شفاههم ـ شر البليـة ما يضحك ـ وكان عليهم أن يأخذوا العبرة من أمير. فقد كان لـه بعض الأفكار النيرة التى توحى بذكاء فطـرى شديد.. لا بأس من ربط الأقـدام بالأفـرول وربما علت هذه الأربطة لتحمـى أيضا السيقان حيث تهبط بهم القشرة الـرقيقة من الملح المتماسك إلى عمق نصف متر فى المـيـاه الساخنـة.. لكن فلنتعـاون فى مساعـدة القـائم بالـربط حتى لايضطر إلى الجلوس على المياه التى تغلى فتلهب جلد مقعدته الحساس..

وبـدأ أمير يتنقل بينهم ومعـه الاعـرابى ذو القـدمين اللتين حبـاهما الله بجلد سميك لايتأثـر بهذه الدرجة التـى تأثروا هم بها لمساعـدة القائم على لف قدميه بـالأربطة.. هم يسندونه وهو واقف على قدم واحـدة وهو يمزق ثيابـه إلى أشرطة طوليـة ليقوم واحد منهم بالـربط.. وبعد عدة دقـائق كان الجميع أشبه بعمال التراحيل أو مـا يسمونهم «الفـواعلية» الـذين يخلطون الرمال مع الاسمنت والمياه والزلط لصنع خلطة المسلح.. واستعدوا لمعاودة المسيرة لكن بسرعة أقل وخطوات وئيدة متثاقلة.

ومـاهى الا خطـوات قليلـة إلا وتوقف الـركب.. لقـد حلت أربطـة أمير صـاحب الابتكار الفـريد غمـرت الميـاه الأربطة وتخللهـا الملح فزاد ثقلهـا وانفكت من القدم وكان لـزاما على المجموعة أن تسير عـدة خطوات لتتوقف لحظات ريثما يصلح أحدهم ربطة قدمـه ويحكم وثاقها على رجله ومع أنهم جميعا قد استسلمـوا لتنفيذ فكرة أمير بشد الأربطـة على الأقدام غير أن هذا

لم يقلل من صراخهم مع كل خطوة وصياحهم مع كل حركة.

أصبح الرفـاق كالغرقى.. لاهم قـادرون على الاستمرار فى السير وسط هذه المياه الساخنة والنتـوءات الملحية الصلبة.. ولاهم بمستطيعين التوقف لانـه يعنى استمـرار النـزف وزيـادة الالتهـابـات كما أن التـوقف يعنى الاستسلام الكامل والموت غرقا فى الملاحـات.. ومع تأزم موقفهم وصعوبة مايـواجهونه من عـراقيل تسرب اليأس من جديد إلى نفـوسهم وسيطر على عقولهم..

لم ينهزم الرفاق من قبل كما انهزموا أمام هذه الملاحة اللعينة.. قاتل الله الاعـرابى واليـوم الأسود الـذى سـاقتـه إليهم فيـه الأقدار.. هـذه نهايـة الاستسلام للجهل.. انها نهايـة من يسلم قيادتـه إلى شـخص أحمق لم يدر عنه من قبل شىء لم يقدهم كما وعدهم إلى مـرفأ النجاة وبر السلامة.. بل دفع بهم إلى مستنقع الهلاك وهـاويـة الندامـة.. وعنـدمـا وصلوا إلى هـذه المرحلـة من التـدنى الفكـرى نظـر جميعهم إلى قـائدهم الاعـرابى الأحمق واتفقت أعينهم وهى تنظر إليـه أن لابد من الانتقام منـه قبل أن يستسلموا لأقـدارهم ويلقوا حتفهـم.. لابد أن يكـون أول ضحـايا الملاحـة.. يجب أن نحـرمـه من الاستمتـاع بأمـوالنا انـه لايستطيع أن يعيـدهـا إلينـا وحتى لو أعـادها فلن نستفيد منها.. اننـا لن نقاوم ولن نستمر طـويلا : إن شبح الموت يخيم علينـا.. ان عـزرائيل يرفـرف حـولنـا.. انه يستعـد لان يـزف أرواحنا إلى قبضتـه.. كم هو سعيـد لان هذا العدد الكبير سيـواجه النهـاية المحتومة.. النهايـة التى هربوا منها مرارا منذ أن وطأت الدبـابات اليهودية هامات الـرجال ومروا بالألغام والظمأ والجوع ومـواجهة الضوارى ونيران مـركبات اليهـود الطـائشـة ثم التيه عبر الصحـراء وغير ذلك من صنـوف العذاب وأنواع الأهوال التى تقود إلى الموت حتما.

حب .. وحرب

٢٢

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الخرابات



الغواجات

مع مرور الوقت زادت سخونة المياه بفعل أشعة الشمس الحارقة حتى قاربت درجة الغليان وتوغل الملح وأنساب مع الدماء عبر الشرايين يلسع الشعيرات الحسية فيحيلها إلى كتلة من النيران الملتهبة.. وكلما وضع أحد الرفاق قدمه على الأرض مع بداية خطوة جديدة انطلقت صرخته مدوية من لسعة الألم.. وكلما جلس فى محاولة إصلاح ربطة قدمه صاح بجزع.. تأثرت مقعدته بسخونة المياه.. وأصبحت الصرخات تتوالى مرة بسبب آلام الأقدام والسيقان والمرة الأخرى بسبب حرقه المقعدة.. ومع كل هذه الأهوال لم تتوقف المسيرة.. كان تحركها أشبه بتحرك السلحفاة لكنه تحرك والسلام.. ولم يستسلم الرفاق بعد ولم تنفد عزيمتهم ولم يسيطر اليأس على قواهم.. استمرت هذه العلقة الساخنة من العاشرة صباحا وحتى الرابعة بعد الظهر.. تصور الرفاق أنهم ساروا مسافات بعيدة، أنهم قطعوا ضعف المشوار الذى يفصلهم عن بورفؤاد.. لكن الحقيقة كانت مخالفة تماما لما تصوروا.. فالمسافات يزداد الإحساس بطولها مع اختلاف الظروف المحيطة سواء أكانت ليلا أو غرزا أو خلافه.. فما حالهم وهم يقطعون تلك المسافات فى أقسى وأفظع ظروف ممكن يواجهها إنسان.

كانت صرخاتهم تشق عنان السماء وتتردد أصداؤها تعلن عن شدة

الآلام وقسوة الأحاسيس كانوا يطلقونها من أعماقهم ويتخففون بها من بعض مـا ألم بهم وجثم على صــدورهــم.. ومن فـرط معـانـاتهم زاغت أبصارهم واهتزت الرؤية أمـامهم.. وفوجئوا برجال انشقت الأرض عنهم يجرون نحـوهم وقـد ارتـدوا «بـرانيـط»: فـوق رؤوسـهم «وتـزالك» فى أقدامهم كـان الرجال يهرولـون بسهولة تجاههم فى هـذه الأرض المهلكة بعـد أن وقــوا سيقـانهم بهذه الأحـذيـة ذات المواصفـــات الخاصــة .. صدمتهم المفاجأة وسيطر الرعب على قلوبهم.. إن هذا النهار الذى قارب على نهايتـه لهو أســود نهار مر بهم منـذ أن بـدأوا مسيرتهم.. بل لعلـه أسود كثيرا من نهار الخامس من يونيو الكئيب.. أبعد هذه المعاناة وهذه الملحمة الـرائعة من الصبر العميق وقوة التحمل والثقة فى عنـاية ورحمة السماء بالعبـاد يقعون فى الأسر.. لاشك أن هؤلاء الـرجال الـذين يعدون نحـوهم ولا تفصل بينهم سوى بضعـة أقدام من اليهـود.. من يمكن أن يرتدى البرانيط سوى الخواجات الملاعين من اليهود وهذه «التزالك» من يستطيع أن يقى بها قـدميـه سوى أفـراد القـوات المسلحة الإسرائيليـة الذين تجهزهم الولايات المتحدة الأمريكية بأحدث المعدات الفنية.. بسرعة عملت الأذهـان واشتغلت الأفكـار وسيطـر الفـزع والـرعب وجثم الأسر بأهـواله وفظـاعتـه على العقـول فلم تجد منجى أو مهربـا من كل هـذه الأثقـال سـوى الفقـد الاختيار للـوعى وهى حـالـة نفسيـة تنتـاب من يتعـرضون لكـوارث لحظية فجـائية.. وقـد تتصاعـد حدة تأثير الحالـة فتودى بـالحياة ويفقد معهـا الإنسان روحه.. غـاب الرفـاق عن الوعى وراحوا فى سبـات عميق من هول الصدمـة وكاد بعضهم يموت غـرقا فى مياه الملاحة قبل أن تمتد إليهم أيدى الرجال القادمين نحوهم.

واجـه رجال قنـاة السـويس العـاملين بمنطقة الكـاب وهى محطـة بحريــة فى وسط الطريق بين القنطرة وبـورسعيد مشقة بالغـة فى القيام بمهمة إفـاقة أعضـاء الجماعة المغشى عليهم ولم يـدركوا للـوهلة الأولى ماسبب هـذه الظاهرة الجماعية الغـريبة.. لولا أن الأعـرابى ظل محتفظا بتماسكه وهدوئه وقال لهم لقد ظنـوكم من اليهود وتصوروا أنهم وقعوا

فى الأسر الذى حـاولوا تقـاديه منـذ بدأوا مشوارهم.. لم يكـن مع رجال هيئة القناة مواد إفاقة ولم يجدوا مندوحة فى استخدام الأساليب البدائية فى الصفع الخفيف على الـوجه ودعـك الجفون أسفل الأعين ورش الميـاه الباردة التى حملوهـا معهم على وجوه القوم لافاقتهم بـدلا من الاحتفاظ بها لتروى ظمأهم.

استغرقت عملية افاقة رجـال المجموعة فترة ليست بالقصيرة. وكان الأمر الغـريب أن ينتاب بعضهم إغماءه تاليـة بمجرد افاقتـه فى محاولة لاإرادية للهروب مـن هول مايراه بعد أن تصـور أنه وقع فى الأسر.. ولم يأخذ الـرجال العاملـون بهيئة القناة أى فـرصة لإثبات هـويتهم وتأكيد حسن نوايـاهم وحرصهم على إنقـاذ رجال المجمـوعة.. كـانوا قـد أهلوا أنفسهم على تحمل هذه المهمـة الصعبة وأنجزوها بنجاح عـدة مرات من قبل مع زمـلائهم الشـاردين الذين وصلـوا قبلهم ومنـذ وضعت الحرب أوزارها وواجهت القوات المسلحة المصرية الشتات فى صحراء سيناء.

لم يصدق الرفاق أنفسهم وهم محمولون على ظهور العاملين بمنطقة الكاب بهيئة قنـاة السويس كان هؤلاء الرجال يقبلـون على القيام بنجدة الرفـاق وكأنهم يقدمـون قربانـا يدخلهم الجنـة ويمنحهم رضوان الله.. أمطروا مسـامعهم بعبارات الإشـادة والمديح ونعتوهـم بألقاب البطـولة والفروسيـة.. لحظة لايمكن لأحد وصفها.. لايمكن تسجيلهـا.. لحظة هى بـالعمر كلـه.. أغلى من ذلك بكثير.. أخيرا شملهم الله بـرعايتـه وخصهم بعنـايتـه.. إنها حقـا معجـزة بجميع المقـاييس والمعـايير.. بل لاشك أن استمرار حيـاتهم مع ماتحملـوه من أخطار ولاقـوه من آلام معجزة وأى معجزة.. ان عظمـة الخالق أن يجرى معجزاتـه على أيدى رجـال بسطاء ليس لهم سلطة ولاجـاه.. وصدق رسـول الله إذ يقول: «رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

حمل كل رجل من هيئـة القناة واحـدا من أفـراد الجماعة على ظهـره وقطع به المسافة العرضية التى تفصلهـم عن حافة القناة.. ولم يصدقوا أنفسهم أن الله أنقذهم من هذا المستنقع الذى كاد يقضى عليهم.. وجدوا

قــوارب ولنشات راسيــة على الشاطىء الشرقــى للقناة.. أنـزلوهم إليهـا بـرفق وحرص شـديـدين.. كانت الـدمـاء تنزف من جـروحهم المنتشرة بأقدامهـم وحتى أعلى الفخذين كانـت جلودهم أشبه بلـون الطماطم من أثر الالتهاب.. لم يقو أحد منهم على أن يضع قدمه على حافة القارب من فـرط الإرهاق.. ارتموا كـالجوالات وحـرصـوا فقط على تغطية عـوراتهم بأيـديهم بعـد أن استنفدوا ثيـابهم فى ربط سيقـانهم وأرجلهم ولم يبق منها سوى الغيار الداخلى السفلى.

تحركت اللنشات حـاملة الـرفاق صـوب معسكر الكـاب على الضفة الغـربية.. أنعشتهم نسمات الهواء الـرطبـة وشحذت أفكـارهم ودفعتهم لتخيل ماهم عليـه الآن.. لايمكن أن يصدقوا أعينهم كانـوا يتخيلون تلك اللحظـة وكأنها حلم بعيـد المنـال.. بل هـو معجـزة لايمكن أن تتحقق.. وكيف تتحقق وقـد ضرب اليأس أطنـابـه بينهم وسيطـر على مقـدراتهم وأحـال عـزيمتهم إلى وهن وقـــدرتهم إلى هـزال وتصميمهم إلى خيـال.. أقلتهم اللنشات سريعـا إلى استراحة هيئة قنـاة السويس بمحطـة الكاب حيث استسلموا لفريق من الأطبـاء وبعض الحكيمات استقدمتهن الهيئة من الإدارة الطبية المركزية لهذا الغرض.. أخذ الرجال والسيدات يطيبون جراحهم ويضمـدون قروحهم ويلفون سيقـانهم وأقدامهم بعد إضـافة المساحيق والـدهانات المطهرة.. كـان الرفاق يخجلون من الظهـور أمام السيدات دون أغطية وقد كشفت عوراتهم إلا القليل منها.. لكن إخواتهم الحكيمات كن يشجعنهم ويخففن من شعـورهم بالخجل قـائلات «نحن إخـواتكـم.. وإنكم فى حـالـة إجبــاريـة تعجـزون معهــا عن التصرف وتواجهـون فيها مصـاعب كثيرة وتتجرعـون آلاما خطيرة فما عليكم من محاولـة تغطية عـوراتكم ولو على حسـاب آلامكم.. فنحن لن نعبأ بمثل هذه الأمـور ولن ينال منـا الخجل ويقعدنا عن القيـام بواجبنـا نحوكم» قام الرفـاق بالارتواء من المياه المثلجـة السلسبيل كانوا قد حـرموا منها بعـد أن رشـوهـا على وجوههم لإفـاقتهم وافتقـدوهـا لأكثـر من عشرة ساعات كاملة.. فليشربـوا هنيئا وليرووا ظمأهم بعد أن استقر بهم المقام

وشعـروا بحـالـة من الأمـان.. لاترهبهم مـواجهـة اليهـود ولا تفـزعهم معسكـرات الأسر التى يتوقعـونها بين كل لحظة تمر عليهم ولن يفكـروا فى إزهاق أرواحهم بأيديهم.. أعادت قطـرات المياه المثلجة التى توافرت لهم بكثـرة الحيـاة إلى أوصالهم وبعثـت النشاط فى أبـدانهم فـانـدفعت الدمـاء غزيرة فى عـروقهم وعادت القـوة إلى عضلاتهم.. باتـوا يشعرون بقـدرتهم على السير من جـديـد مئـات الكيلـومترات.. ولـو طلبـوا منهم معـاودة السير من بـورسعيـد إلى القـاهـرة لما كلت أقـدامهم ولما وهنت عزائمهم ولما خارت قواهم.

وقف الرجال ونساء محطة الكاب يـودعون الرفاق والعربة تقلهم إلى بورسعيـد حملوهم بين حنـاياهم وأجلسوهم على مقـاعدهم وأحـاطوهم بعنـايتهم ورعايتهم وكأنهم فلـذات أكبـادهم.. لم يستطيعوا أن يمنعـوا زفرات ساخنة أن تنهمر على وجـوههم بعد أن نشأت بينهم وبين الرفاق عـلاقـات أخويـة سريعـة سـاعـدت ظروفهـم الصعبة على تـرسيخهـا وتعميقها.. حمل الـرفاق معهم من محطـة الكاب سجـلا بأسماء كل من أعـانهم على استعادة قـواهم وأرقـام تليفونـاتهم مع وعـد أكيد بتبـادل الاتصـال.. قطعت العربة المسافة بين الكاب وبورسعيد فى دقائق معدودة كان الرفـاق يضجعون على مقاعدهم وكأنهم يركبون وسيلـة مواصلات لأول مرة فى حياتهم.. كانت سيقـانهم قد تعودت السير ونست ذاكرتهم وسائل المواصـلات المعروفة..آخـر مرة شاهـدوا فيها سيـارة كانت تلك العـربة المصفحـة الطائشـة التى طاردهم بها اليهـود عدة كيلـومترات.. ولـذلك كان آخـر عهدهم بـالسيـارات ذكرى غير طيبـة سـاعـدتهم على النسيان.

كان الرفـاق أسعد الناس برؤيـة شوارع مدينة بـورسعيد الجماهير يغدون ويروحون دون تحفظ أو قيود..

الحيـاة تسير فى مجراها الطبيعى رغم أن الليل أرخى أستـاره وأطبق جوانحه على جنبـات المدينة.. اصطدمت أعينهم بالألوان الـزاهية بعد أن اعتادت لفترة طـويلة على اللون الأصفـر فقط.. هذا اللـون الكئيب الذى

انطبع فى ذاكـرتهم وسيطـر على أعينهم طـاردا كـل مـاعـداه من ألـوان أخرى.. الصحراء المترامية الأطراف هى التى كانت مآقيهم تشـاهدها فى كل اتجاه تطلع إليـه.. تباب ووهـاد ورمال وجبـال وكثبان رمليـة.. إنها فقط العملة المتاحة وسط هذه الدياجير الكئيبة.

وصلت قافلتهم الصغيرة إلى أحـد المبانى اتخذتـه الأجهزة التنفيـذية بالمحافظـة معسكرا لإيواء الشاردين.. كتب على واجهتـه مدرسة الجميل الإعداديـة.. ذكرتهم اللافتة بحـرب ٥٦ عندما أسقطت القوات المتحـالفة إنجلترا وفـرنسـا وصنيعتهما إسرائيل مظليين بمطـار الجميل.. عنـدمـا اشتعلت المقـاومـة وقضوا على الجنـود الهابطين عن بكـرة أبيهم.. كـان الاعلام المصرى وقتهـا إعلاما صـادقا فتحـرى الدقة.. وتـوخى الصدق لم يكذب على الجماهير وصارحهم بالحقيقة.. حتـى عندما توالى إسقاط المظليين ونفدت مقـاومة أهل بـورسعيد البـواسل.. نقل الاعلام المصرى نبأ استسـلامهم وكـان أول من بث إلى الجماهير سيطـرة المحتل على المطار.. بادرهم رجل العلاقات العـامة الذى استقبل السيارة التى أقلتهم بالترحيب والتهنئة بسلامة الوصـول.. وأبلغهم أنهم سيلقون كل الرعاية وأنهم سينعمون بـاستكمال العلاج وسيجدون الخدمة الطبيـة والنفسية المكاملة وسيمدون بالملابس والأحذية وكل مايحتاجون إليه.

هبطـوا من العـربـة بترتيب جلـوسهم لابأقـدميتهم.. أحـاط رجل العلاقـات العامة وسـائق العربة بشوقى لمسـاعدته على الهبـوط بعد أن ضعفت قدماه عن حملـه.. فوجىء المارة بالرجـال يهبطون وقد انحسرت مـلابسهم إلا عن جـزء ضئيل من عـورتهم.. وتقدم أحـدهم بـدافع من شهامـة ووطنية فطـرية عـارضا على شـوقى ملابسـه قائلا لك يـابطل هديتى المتـواضعة إنه لشرف لى أن أمنحك مـلابسى وليسعنى منزلى إذا لم يكن لدى بدل منها.. وحاول شـوقى الاعتذار بكياسة دون أن يصدم مشاعر الـرجل وتدخل مسئول العلاقـات العامة بالمحـافظة لكن أبدا لم تفلح الجهـود فى إثنـاء الرجـل عن قراره وأقسـم إلا أن يرتـدى شـوقى ملابسه فـاكتفى بارتداء سترته فقط وحصل على عنوانه لإعـادتها حالة

استلامه لزى كامل بالداخل.. آمن شوقى ساعتئذ أن الدنيا مازالت بخير وأن الشهامة والمروءة لم تصبحا من العملات البالية المندثرة. وأن هناك أقـوامـا كثيرة يتحلـون بهذه السمات النـادرة وهـذه مكـارم الأخـلاق العزيـزة.. وليعلم اليهود أن شعبـا كهذا بـرجولتـه وعطائه وتضحيـاته لايمكن أن يستسلم وأن تخور قـواه أمام جحـافلهم وجيـوشهم.. ليعلم اليهود أن إرادة الـرجال أقـوى من صلابـة الفولاذ.. عزيمتهـم أشد من متانة الصلب.. أن حديد المدرعات اليهودية قد يلحق به الصدأ أو تسيحه النيران.. لكن المعادن النفيســة للرجـال لايلحق بها الصدأ ولا تنـال منها الظروف والعوامل المناخية الطارئة.

دلف الـرفـاق إلى أروقـة معسكـر الشـاردين تحوطهم كـوكبـة من العاملين فيـه حاولوا مساعـدتهم وأحاطوهم بكل رعايتهم وبـذلوا معهم غايـة طاقتهم.. حملوهم على أكتـافهم وصعدوا بهم عدة درجـات للطابق الثانى واسكنـوهم أحد العنـابر الفسيحـة المجهزة بأسرة عليهـا ملاءات بيضـاء جديـدة.. وبمجرد دخـولـه استلمتهم أيد خبيرة لبعض الأطبـاء المتطوعين أعادوا فك أربطتهم وعاملوا جـروحهم وقروحهم بأسلوب أكثر تخصصا.. وطافت بأسرتهم مناضد العمليـات المكتظة بأنواع عديدة من مساحيق المطهرات والدهانات والأربطة الطبية المتنوعة.

وفى لحظـات استسلم جميعهم لنـوم عميق هـادىء بعد أن تنـاولـوا جرعـات مكثفة من المهـدئات والمطمئنات أعـادت لهم سكينتهم المفقودة وبعضا من معنوياتهم المنهارة.

أفاق الرفاق من نومهم على أصـوات استغاثات وهتافات صدرت من معظمهم بـالتنـاوب من «كـوابيس» ألمت بهم.. بعضهـا يطلب النجـدة.. والبعض الآخر يعبر عن جزعه وهلعه من مـواجهة اليهود وما تعرض له خلال تـواجده فى معسكـرات الأسر من صنوف العـذاب وألوان الهوان.. وللحقيقة كان صلاح أقدمهم يهب لإيقاظ الرفاق من كوابيسهم وغفلتهم ولم ينس قط أنه مسئول عنهم أو أنه أب لهم.

استقبل الرفاق جوقة مـن «الحائكين» استقدمتهم أجهزة المحافظة فى

صباح اليـوم التالى لأخـذ مقاسـاتهم وإعداد مـلابس جـديدة لهم.. وفى لحظات قصيرة استلم الـرفاق أفرولات كاكى أعـدت على عجل وتم تدبير أحـذيـة كـاوتشوك مـن «باتـا» ذات مقـاسـات كبيرة.. كما قـام بعض الحلاقين بحلق شعورهم الكثـة وذقونهم التى لم تلمسها شفـرات زهاء الشهـر فطالت دون إرادة وحـولت هيئـاتهم وكأنهم بعض رجال الـدين والعاملين بالوعظ والدعوة.

وبعـد أن تناولـوا وجبة الغـداء حـرص على زيارتهم محافظ المدينـة ومعه نخبـة من المسئولين بـالمحافظـة ووعدهم بتسهيل نقلهـم فى أقرب فرصة إلى القاهرة عن طـريق تخصيص قطار خاص يقلهم وحتى الكلية الحربية التـى خصصتها القوات المسلحـة كمعسكر لتجميع الشـاردين العائدين من مسرح العمليات بسيناء.

حب ..
وحرب ١٢٨

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الـمـرائـق

السرادق

عقدت الدهشة ألسنة الرفاق.. وأدارت المفاجأة رؤوسهم.. وجدوا العقيد عاطف بين ظهرانيهم بمعسكر الشاردين.. انشقت الأرض عنه وظهر بينهم فجأة قبل ساعات من رحيلهم بقطار خاص إلى القاهرة.. هجموا عليه.. أمطروه بوابل من القبلات الحارة واستسلموا لأحضانه الأبوية الدافئة وعانقوه لفترات طويلة.. تبادلوا معه كلمات الترحيب.. حمدا لله على سلامتك.. ظنناك على رأس قائمة الشهداء.. توقعنا أنك لقيت حتفك مع الرائد رمسيس والنقباء سيد ياسين وسيد عبدالغفار وحلمى كامل وغيرهم وغيرهم.. إننا نعلم أنك لاتخشى التضحية بنفسك فى سبيل المجموع.. تصورنا أنك افتديت الكتيبة وتقدمت الرجال كأول الشهداء حتى بعد أن رأيناك لم نصدق أعيننا فى بادىء لقائنا معك.

استمرت مراسم الترحيب وحفاوة اللقاء فترة طويلة.. تنقل العقيد عاطف بين الرفاق واحدا تلو الآخر.. عانقهم طويلا.. وشد على أيديهم.. لم يفته أن يصنع مع الجنود مافعله مع الضباط.. كان دائما يشعرهم أنه لافرق بينهما.. ألم يكونوا فى خندق واحد.. لم تفرق بينهم رصاصات اليهود.. كانوا رفقاء الدرب والمشوار الطويل.. جاءت كلماته لهم موحية معبرة كما هى عادته معهم دائما.. وابتدرهم قائلا: تودون معرفة كل شىء .. تدور بأذهانكم استفسارات كثيرة.. لن أزيد

حيرتكم.. فأنا اعلم أنكم تسألون عن زملائكم من استشهد ومن كتب له النجاة.. وكيف نجـوت بنفسي.. ومتى وصلت ماذا أعرف عن السـاعات الأخيرة قبل انهيـار دفـاعاتنـا.. لاتتعجبـوا إذ قلت لكم أننى تصـورتكم جميعا فى عـداد الشهداء.. لقـد رأيت بعينى عربـة شوقى وهـى تنفجر.. صحيح لم أتأكد من وجوده بداخلها لكنـه ولو حتى كان بجوارها فلعله أصيب إصـابة بـالغـة.. صـلاح ورستم تأكدت مـن استشهادهما بعـد سقـوط مواقع السريـة الثالثـة.. وأمير كان معهما كتفـا بكتف.. الوحيـد الذى ظننتـه فى مأمن من نيران اليهـود كان همام لـوجوده أثنـاء القتال فوق قمة جبل لبنى..

لاتتصوروا كم كانت سعادتى عنـدما علمت بنبأ وصولكم كنت أتابع يوميا كشف بأسماء الشاردين الـذين وصلوا إلى مدن القناة الثلاث.. لن تصدقونى إذ قلت لكم أننى قبلت تلك القائمة التى حوت أسماءكم ذرفت الدمـوع غزيرة سـاعتها.. كنت أتمنى أن ألحق بكم فـور وصولكم.. لكن إجـراءات إعـادة تجميع وتجهيـز الكتيبة من جـديـد حـالت دون ذلك.. حـددوا لنا مقـرا مؤقتـا فى الماظة.. وضـمـوا علينا عـدة مئات من جنـود الاحتيـاط وكنت أرنو إلى وصـول أحدكم كم استنشق عبيركم وأهفـو إلى لقيـاكم.. وهاأنــذا أحمد الله على وجودى بينكم وعلى عـودتكم من جديـد لبيتكم الغـالى .. كتيبتكم العـريقة.. لم يفت العقيـدعـاطف أن يقص على الرفـاق قصة نجـاته وقال: كنت أقـود المعركة من مـركز قيـادة الكتيبة وغير مصـدقـا للبسالـة النـادرة والقـدرة الفائقـة التى دافع بها رجـال سريتك ياصلاح.. كانت نيرانهم تخرج من فـوهات بنادقهم للأمام فكنت استنتج أن اليهود لايزالون متقدمين صـوبهم.. لكن عندما مالت نيرانهم يمينا ويسـارا أيقنت أنهم تمكنوا من اقتحام الحدود الأمـامية لدفـاعات الكتيبة وعندمـا رأيت نيران رجالنا تتجه نحونا آمنت ألا أمل بـاقيا.. لقد سقطت المواقع وانهارت المقـاومة وتمكن اليهـود من الكتيبـة.. شـاهـدت الرائد رمسيس وهو مـدرج بدمائه وكذلك المرحومان سيـد ياسين وسيد عبدالغفار.. وساعتئذ أفـاقنى سائقى.. وقال لى فيم تفكر ولماذا السبات؟

لابد أن تتصرف لابـد أن تحاول حضرتك أن تنجو بنفسك بعـد أن عزت النجاة على الـرجال.. كنت أعرف أن لنـا قواتا صـامدة بالحسنـة.. قدت عـربتي بنفسي وبجـوارى سـائقي وتـوجهت إلى هنـاك.. وبعـد بعض المداولات مع القادة اتخذوا قرار انسحـاب جزئى لبعض القوات ووصلت فى نفس اليوم إلى الضفة الغربية للقناة.

ظل العقيـد عـاطف يـروى والـرفـاق ينصتـون وكأن على رؤوسهم الطير.. كنت أتلمس وأتحسس أخبـاركم.. ذهبت للسـؤال على كـل فـرد فيكم بمنـزلـه أقف على مشارف المنـزل وأبعث بسـائق ليسأل ذويكم.. أصابنى بعض الحرج ذات مرة عندمـا تتبع زوج شقيقة شوقى السائق ولقيتـه واجهنى بحدة وعنـف وطلب أن أريحهم جميعا من حـالـة القلق والتوتر التى يعايشـونها منذ أن وضعت الحرب أوزارها ولم يعد ابنهم.. أقسمت لـه أننى لاأستطيع أن أجزم بشىء ولم أعـرف أى معلومـة عنه سـوى أننى شاهـدت عربتـه تحترق ولست أدرى أكـان بداخلهـا أم لا. وتكرر نفس الشىء عنـد همام لكنى فى هذه المرة أكدت لشقيقته نجـاته وأنه لابد فى الطريق إليهم.

أزف موعد الـرحيل.. عاود الزملاء عنـاقهم وتقبيلهم لقائدهم وكأنهم يودعـونه بلا أمل فى لقـاء تال.. اتفقـوا على التجمع بعد عدة أيـام بمقر الكتيبة الجديد بألماظة.. اقتنعوا بكلمات وتوجيهات العقيد عاطف إذا كان أهلـــوكم فى احتيـــاج إليكم.. فـإن مصر كلهـــا تنتظـــركم.. أرض مصر تناديكم.. هلمـوا للخلاص.. فلتعملوا على تطهير تـرابى من براثن المحتل الغاصب أنا اعلم أنكم بحـاجة ماسة للـراحة.. الجروح التى فى سيقانكم تستلزم عـلاجا لعـدة أيام.. لكنهـا أبدا لن تصل إلى أسابيـع.. لن أحدد موعدا مؤكدا لعودة.. لكن يكفينى تقديركم للمسئولية.

غادرهم العقيد عاطف واستقل عربته الأميرية إلى القاهرة بينما ركبوا هم القطار يمنون أنفسهم بقرب لقاء الأهل والأحباب ويتخيلون أحضـان أمهـاتهم الدافئـة وقبـلاتهن الحانية.. آه قـالها شـوقى لو لم يكن هـذا السرادق اللعين الذى حـال بينه وبين حضن أمـه لكن الآن ينعم بالهدوء

والسكينة فيه.. لكانت تمطره بقبلاتها. وتلثمه بشفتيها وتغمره بعناقها.. آه يا أمـاه كم اشتاق إليك.. كم أهفو إلى لحظـة بين أحضانك ولتكن هى النهاية.. وليكن بعدها الفناء.

وهو فى غمرة أفكاره وفى ذروة شروده.. كان ينظر إلى السرادق وكأنه غريمه لو أن بندقيته فى جنبه لاطاح به بعيدا عن طريقه نحو حضن أمه. ولكن ماذا يفعل.. وقد قاربت الساعة على منتصف الليل.. وكأن المعذبين يتشبثون بـالبقاء فى هـذا السرادق اللعين.. ماذا يعجبهم فيـه.. إنه حتى خافت الإضاءة.. غير مسقوف لكنه طويل وزاخر بالناس.. يعج بالمعزين من كل حدب وصـوب من كل الفئات والأعمار.. الشبـاب والشيوخ ذوى الطبقة الغنيـة.. والعمال من أصحاب الحرف.. لم يكن شـوقى يدرى أن لأحدى شقيقتيه هذه الشعبية الجارفة وهذه الجماهيرية ذائعة الصيت.

فجأة انتفض شوقى مذعورا على صوت صرخـة مدوية بجوار أذنيه.. تـوالت الصرخـات بسرعة خـاطفـة .. بعضهـا يعبر عن الجزع والبعض الآخـر عن الفـرح.. بعضها مفهـوم.. والأخـريـات غير مفهومـة.. لكنـه استطـاع أن يميـز شيئين.. أن الذى أطلق الصرخـات مشمش المكـوجى صاحـب المحل أسفل منزلهم وأن معظمهـا تحمد الله وتشكـره على هذه المعجزة.

هجم مشمش المكـوجى على شـوقى وحملـه عنـوة من الخلف فـوق عنقـه. واندفع بـه حامـلا إياه نحـو السرادق وهو يـردد.. الله أكبر.. الله أكبر.. أحمدك يارب.. أشكـرك يالله إنه الميت الحى.. إنه الشهيـد الباقى.. ولم لا فمعجزات الله باقية.. خالدة إنه أكبر من الجميع إنه فوق الكل.

أصـابت شوقى حـالة من الـذعر أول الأمـر من مشمش.. ظنه وقـد مسه شيطان أو أصابه جـان.. إنه يهذى بكلمات كثيرة لايفهمها.. أحيانا ينظـر إليه على أنـه مـارد لدرجـة أن شـوقى اضطر لافـاقتـه وقال لـه مشمش.. مشمش.. أنـا شوقى يامشمـش ألا تعرفنى.. إننى جـارك منذ خمسة وعشرين عامـا.. مابالك وقد ارتعـدت أوصالك وتخبطت فرائسك. لكن مشمش كان فى حالة لاتسمح له بـالاستقبال كان يرسل فقط.. كان

قد ذهب فى مهمة إحضار المزيـد من البن لمواجهة جموع المعزين التى فى السرادق بعد أن نفدت الكميـة التى أعدوها لذلك.. وهو فى طـريق عودته اختصر المســافة وجـاء من الردهــة المظلمة خلف المكـان الذى قبع فيـه شوقى لعـدة ساعات.. عنـدما وقع نظـره عليه فى أول الأمر تصــور أنه مارد.. لابد أنه عفريت من الجن.. كيف يكون هو شوقى بلحمه وشحمه بينما السرادق المنصوب أمـامه أقيم من أجلـه.. لقد أبلغوهم رسميـا أنه استشهـد.. شهـد على ذلك بعض زملائه مـن الجنود والضبـاط الـذين سبقوه فى العـودة ولم ينف العقيد عـاطف نفسه هـذه المعلومـة بل لعله أكدها عنـدما قطع بأنه شاهد عربتـه وهى تنفجر.. إذن كيف يطلع عليه عفريت شـوقى وقد استشهد فى سينـاء.. إنه لم يقتل فى الردهــة المظلمة كى يخرج علينا فيها عفريته.. تردد كثيرا قبل أن يتقدم نحوه لكنه تذكر قدرة الله فى خلقـه.. معجزاتـه التى لاتنضب.. انطلقت أعماقه تحدثـه أنه شوقى وليس عفـريته.. وترجمت حنجرتـه تلك الانطلاقة التلقـائية التى تضـاربت فيها المشاعر واختلطت الأحاسيس.. الفـرحة العارمة والدهشة الأخاذة والذهول العميق.. وتجمع كل هذا على لسانه فظل يهتف ويكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. أحمدك ياالله.. أشكرك يارب.

اقتحم مشمش السرادق حـاملا شوقى على كتفيـه.. فمالبث السرادق أن تحول فى ثـوان إلى عرس.. إلى زفـة.. موكب مشمش وشـوقى يخترق جموع المعـزين الذن التفـوا حولـه فى محاولـة مستميتة للـوصول إليـه لتقبيله.. فـإن لم يستطيعوا فللمسه للتبرك بـه وكأنه أصبـح فى لحظات من أوليـاء الله الصـالحين.. إنـه ضريح متحـرك لأحـد الأئمـة والنـاس يتجمهرون حـوله ويتدافعون تجاهــه.. البعض أصابه الـذهول فلم يحر حركة أو ينطلق بكلمة.. أما الغالبيـة فقد استمرت فى سعيها نحو شوقى بـاستماتة ولم يكن هـو قـادر على استيعاب كل مـايـدور حولـه.. انها طلاسم عويصة.. أكثر تعقيدا من طلسم السرادق الذى ظل يحاوره لعدة ســاعات.. إنـه يرى الـدهشــة فى العيون والتعجب فى الملامح.. والشكـر والحمد لله باديـان على الجميع.. إنهم ينظرون إليه وكأنـه إحدى عجائب

الدنيا السبع.. وكأنـه أحد أهرامات الجيزة.. إنـه محمول وسطهم وكأنه أبو الهول.. ماذا دهـاهم؟ ماذا أصابهم؟ إنه لم يلبث أن غـاب عنهم عدة أيام ربما طالت لشهر فقط.

زاد من دهشـة شـوقى مـراسم الفرح التى خـرجت عشـوائيـة من شرفـات المنازل المحيطـة بالسرادق على هيئـة «زغـاريد» أطلقتهـا جميع السيدات بلا استثناء.. وانهمار دموع سيدات العائلة التى تدافعت وسط جموع المعـزين.. لمح أمـه تعـدو نحـوه وشقيقتـاه تتحسسـان جـروح ساقيه.. من لم يستطعن منهن الوصول إليه كدن أن يلقين بأنفسهن من الشرفـات وهن متشحات بـالسـواد.. لم يستطع شقيقـه الوحيـد تحمل الموقف خـر فـريسـة لإغماءة طـويلـة.. ولحقت بـه أمـه ثم شقيقتـاه.. واضطر مشمش سـاعتها فقط أن ينزلـه من على كتفيه ليلتصق بعـائلته وهى فى حالة إغماء.

الفهرس

رقم الإيداع ٩٦/٥٣٢٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 08 - 0535 - L



هيئة الكتاب

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - بولاق - القاهرة
تلكس جيبو UN ٩٣٩٣٢
القاهرة ت: ٧٧٥٢٢٨ - ٧٧٥٠٠٠
فاكس: ٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢)

مجلات هيئة الكتاب الثقافية منارات مضيئة فى بحور الثقافة والمعرفة.

● تواصل هيئة الكتاب رسالتها فى باع الثقافة والمعرفة ليس بنشر الكتاب المتميز فقط ولا باقامة المعارض الدولية لكن بمواصلة اصداراتها من المجلات الثقافية التى تقف كمنارات تواصل اشعاعاتها المضيئة لكل قارىء ومثقف ومجلات الهيئة منها ماهو اصدار شهرى وماهو اصدار فصلى كل ثلاثة شهور وهى كما يلى:

اولا: مجلات تصدر كل شهر:

القاهرة

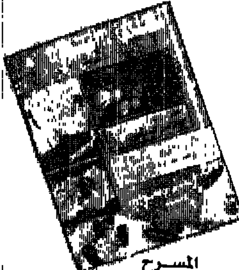


مجلة الفكر والفن المعاصر شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر تثير قضايا فكرية تشمل اهتمامات المجتمع الثقافى فى مصر والعالم العربى وتقتحم مجالات متعددة من صور الفكر المعاصر بهدف المحافظة على الايقاع العام لهذا العصر وعدم التخلف عن كل اشكال الرقى والتقدم

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
ا. د. غالى شكرى

العلم والحياة



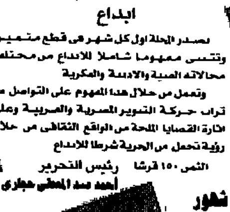
مجلة العلم والحياة تنقلك الى مواقع اهم الاحداث العلمية تتبنى القضايا البيئية وتتابع اللقاءات والمؤتمرات العلمية فى مختلف أنحاء العالم

وبجانب انها مجلة علمية فهى ايضا تحرص على تقديم العديد من الخدمات لقرائها عبر ابواب الصلاح المجانى والاستشارات الطبية الى جانب ملحق العالم الصغير المخصص للطفل والذى يقدم موسوعة علمية مبسطة للطفل

الثمن ١٠ قرش

رئيس التحرير
ا. د. محمد شرف

ابداع



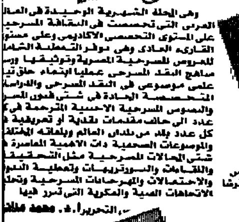
تصدر المجلة اول كل شهر فى قطع متميز وتتبنى مفهوما شاملا للابداع من مختلف مجالاته الفنية والادبية والفكرية

وتعمل من خلال هذا المفهوم على التواصل مع تراث حركة التنوير المصرية والعربية وعلى اثارة القضايا الملحة من الواقع الثقافى من خلال رؤية تحمل من الحرية شرطا للابداع

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير
أحمد عبد المعطى حجازى

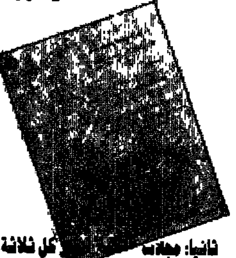
المسرح



وهى المجلة الشهرية الوحيدة فى العالم العربى التى تخصصت فى الثقافة المسرحية على المستوى التخصصى الاكاديمى وعلى مستوى القارىء العادى وهى توفر التغطية الشاملة للعروض المسرحية المصرية وتوثيقها ومناهج النقد المسرحى عمليا اهتمام خاص على موضوعى فى النقد المسرحى والدراسات المتخصصة الجادة فى شتى فنون المسرح والنصوص المسرحية الاجنبية المترجمة فى كل عدد الى جانب مقدمات نقدية أو تعريفية فى كل عدد بلد من بلدان العالم وبلغاته المختلفة والموضوعات الصحفية ذات الاهمية المعاصرة فى شتى المجالات المسرحية مثل التحقيقات واللقاءات والسوتربورتاجات وتغطية الندوات والاحتفالات والمهرجانات المسرحية وتحليل الاتجاهات الفنية والفكرية التى تبرز فيها

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير ا. د. محمد عنانى



ثانيا: مجلات تصدر كل ثلاثة شهور

عالم الكتاب

تهتم هذه المجلة بالكتاب كصناعة وفكر وتزود القارىء بأحدث البحوث والمعلومات والمقالات الفنية والاحصاءات فى مجال الكتاب وتهدف المجلة الى مسايرة التطور الببليوجرافى المصرى والعربى وتقدم نماذج لتقنيات الوصف الببليوجرافى للمكتبة العربية

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير
ا. د. محمد محمد الهادى

فصول



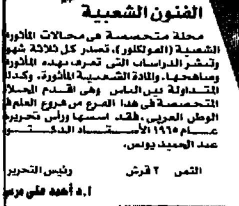


وهى المجلة الادبية والثقافية التى حققت انتشارا فى مصر والعالم العربى حيث انها تعنى بشئون الادب والنقد الادبى كما انها المجلة الوحيدة التى اعيد طبع اعدادها بعد نفاد الكميات المطروحة منها بالكامل وقد وفرت لها الهيئة كل الامكانات الى جانب الطباعة الراقية التى يربو فيها عدد الصفحات لاكثر من ثلثمائة صفحة ويقوم على تحريرها نخبة من اعلام الادب والفكر والثقافة من مصر والعالم العربى

الثمن ٢ قرش

رئيس التحرير
ا. د. جابر عصفور

الفنون الشعبية



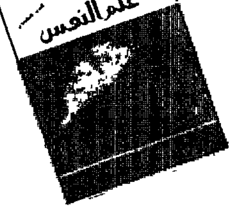


مجلة متخصصة فى مجالات المأثورات الشعبية (الفولكلور)، تصدر كل ثلاثة شهور وتنشر الدراسات التى تعرف بهذه المأثورات وصاحبها، والمادة الشعبية المأثورة، وكذلك المتداولة بين الناس وهى اقدم المجلات المتخصصة فى هذا الفرع من فروع العلم فى الوطن العربى، فقد اسسها ورأس تحريرها عام ١٩٦٥ الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس.

الثمن ٢ قرش

رئيس التحرير
ا. د. أحمد على مرسى

علم النفس

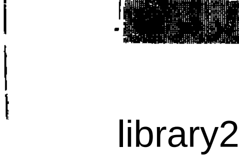


تعد مجلة علم النفس احدى المجلات الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب وهى مجلة متخصصة فى مجال الدراسات والبحوث النفسية التى تناقش قضايا الفرد والاسرة والمجتمع والطفل، فضلا عن انها تقدم ثقافة نفسية لغير المتخصصين كما انها تزود الباحث فى مصر والعالم العربى بالدراسات والبحوث فى هذا المجال

وهى مجلة فصلية تدخل عامها التاسع دون انقطاع وتعد الوحيدة المتخصصة على مستوى العالم العربى كله وتفى لاحتياجات باحثيه ودارسيه

الثمن ٢٠ قرش

رئيس التحرير
ا. د. كاميليا عبد الفتاح









هذا الكتاب

الكتاب يروى ملحمة بطولة وصمود مجموعة من الضباط والجنود خاضوا معركة غير متكافئة فى يونيو ٦٧.. واجهوا مدرعات اليهود بصدورهم وقلوبهم بعد أن عجزت نيرانهم على مواجهتها.. ورفضوا الوقوع فى الاسر مهما كانت المصاعب والعودة للانضمام الى القوات المصرية غرب القناة.

ورحلة العودة هى ملحمة أخرى ولكن ملحمة انسانية فقد ظلوا يسيرون فى الصحراء فى عز حر يونيو.. حفاة بعد أن تخلصوا من احذيتهم العسكرية.. وبدون طعام أو مياه.. ولم تكفهم كل تلك الاهوال.. بل كانت عربات العدو المدرعة التى تجوب الصحراء بحثا عن الجنود المصريين تجعلهم يتوهون أكثر فى الصحراء هربا منها.. وشاهدوا بأنفسهم كيف يقتل الجنود الاسرائيليون جنودنا الذين استسلموا!!

وقد برع شوقى حامد فى كتابة الاحداث الحقيقية لتلك الايام السوداء باعتباره واحدا من ضباط تلك المجموعة الباسلة باسلوب روائى جذاب ومشوق.

وهذه الرواية الحقيقية خير شاهد على معركة يونيو ٦٧.. وهى شهادة تنشر لأول مرة.

نبيل أباظة

طبع بمطابع أخبار اليوم

الثمن ٤ جنيهات